الجمـــــــهورية الجــــــــــــــــزائرية الديمقـــــــــــــــراطية الشـــــعبية

وزارة التعليـــــــــم العـــــــــالي و البــــحث العلمـــــــــــي

جـــــامعة الحــــــاج لخضـــــــر – بــــاتنة-

كلـــــية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية وآدابها

موضوع المذكرة:

سيميائية الحكاية في مؤلف كليلة ودمنة لعبد الله بن المقفع

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

تخصص: أدب عباسي

من اعداد الطالبة:

سعيدة بونقاب

تحت إشراف الأستاذ:

إســــــــاعيل زردومي

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د محمد منصوري	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخضر باتنة	رئيسا
د. اسماعيل زردومي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخضر باتنة	مشرفا ومقررا
أ.د السعيد لراوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخضر باتنة	مناقشا
أ.د محمد بن لخضر فورار	أستاذ التعليم العالي	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقشا

السنة الجا معية1433هـــ/ 2012

مـقـــدمــــة:

إن النص السردي مهما اختلف جنسه،وتعددت أنماطه وأساليبه،فهو نص يقبل المحاورة،وتبدأ محاورته منذ اللحظة التي ينتقل فيها من نهاية فعل الكتابة إلى عتبة القراءة،من هنا تتعدد آليات الحوار وتختلف مشاربها باختلاف الأدوات الموظفة،فلا عجب أن ينكب البحث على استنطاق النص،كأولى الخطوات لملامسته والدخول في رحابه،وذلك قصد تحويل ديناميته الكامنة إلى لغة ناطقة،لحل شفراته ودعوته للبوح بدرره وكنوزه.

ولقد ارتبط السرد منذ القدم بحكاية الإنسان مع الحياة،بجواره مع الطبيعة وسؤاله للوجود،كما امتازت الحضارة العربية بمميزات جعلتها تختلف عن باقي الحضارات،خاصة من الجوانب الأدبية،فقد برزت النزعة الشعرية أولا،ثم ظهر السرد كفضاء ثان يتنفس فيه الإنسان العربي ليختزل ضمنه همومه الوجودية،وأسئلته الإنسانية،وكذا حيرته الدائمة.

وقد كان القص حركة ينبغي إن تستمر لكي يعيش كل فرد في المجتمع حقيقة نظام الحياة، فكما عبر الإنسان العربي عن آلام حياته ومسراتها شعرا،عبر عنها كذلك من خلال النصوص السردية المتوارثة من تراثنا العربي.

إن الرغبة في تنشيط الحس الجمالي والعثور على قناعات تخفف شيئا من هول الأسئلة الوجودية للإنسان العربي كل ذلك كان محفزا على ظهور السرد،لكن في مظاهر بدائية تقوم على الخرافة،والقصة العجيبة والنادرة والحكاية.فكل هذه الأنماط

السردية إنما نشأت نتاج رغبة إنسانية ملحة في أن يكون الحكي فضاء جماليات أولا ثم وجوديا.

ومؤلف"كليلة ودمنة" يعد أحد الموروثات الأدبية العربية،الغنية بصنوف متنوعة من الدلالة،وهذا ما جعلها محل اشتغال الدارسين،بغية استكناه باطنه،مما حفزني على الانضمام إليهم،للبحث عن كوامن الدلالة فيه،علني أسهم في إعادة بعث السرد العربي وإحيائه، وإن بحظ متواضع في قراءة من التراث،من وجهة تأخذ بأسباب النقد الحديث، وذلك بمساءلتها بمناهج معاصرة،ضمن ما تقتضيه الاتجاهات النقدية الحديثة،فقد تبنيت قضية التحليل السيميائي،من خلال البحث عن البؤر القابلة للتعالق في ظل حركة فاعلة لمجمل النصوص،ومن خلال الفعل الحكائي الذي تتصدره النصوص الحكائية المتعددة على ضوء ما هو مجسم في "كليلة ودمنة".

وتتميز نظرية غريماس السيميائية بكونها جهازا دلاليا،له تجلياته ومعالمه،وبطاقة إجرائية فعالة.فهي لا تقف عند حدود القصة وحسب،بل تتجاوز ذلك لتنطبق على كل ما يتصل بالنصوص في مداها الثقافي الموازي لكل تفكير جدي،والذي يلخص الإستراتيجية النصية المولدة للحكي عموما. وهذا ما يقودنا إلى صياغة الإشكالات التي قادتنا إلى البحث في دلائلية حكايات "كليلة ودمنة"،فما السر وراء اختيارها دون باقي السرود العربية؟،ولماذا نظرية غريماس السردية بالتحديد؟،وما هي مجالات توافق تطبيق النظرية على النصوص الحكائية في "كليلة ودمنة"؟وهل تعتبر هذه النصوص فرصة ثمينة تتيح لنا محاورتها انطلاقا من أنظمة السيميائية السردية الغريماسية؟.

يمثل مؤلف "كليلة ودمنة"موضوعا متميزا للتحليل السردي،تتجلى فيه السردية على جميع المستويات،مما يجعل الولوج إلى عوالم نصوصه رحلة إلى مجاهيله

وطبقات العمق الدلالي فيه،بكونه(المؤلف كليلة ودمنة)مصنفا للسياسة والأخلاق،إذ شخص أزمة السلطة ورصد أصول الحكم الفاضل من جهة،وأحصى القيم الرفيعة التي ينبغي أن تقود عمل الإنسان في المجتمع من جهة ثانية.وقد تزينت هذه الفلسفات السياسية والأخلاقية بحلة فنية آية في الجمال والطرافة بوأته منزلة مرموقة في مسار تطور النثر الفني.

كما تعتبر نظرية غريماس السيميائية،أحد أبرز الاتجاهات النقدية المتميزة في العصر المعاصر،التي تستمد أصولها المعرفية من الدلالية التي تهتم باستقراء الدلالة انطلاقا من الظروف الحافة بإنتاجها،ووسيلتها في ذلك تفجير الخطاب وتفكيك الوحدات المكونة له ثم إعادة بنائها وفق نظام متسق .

ومن هذه المنطلقات ،نظمت البحث في ثلاثة فصول،اتسمت بطابع نظري مسايرة لمنهج التحليل والبناء، ومقاربة تطبيقية لنماذج حكائية من "كليلة ودمنة" للوقوف عند دلائلها الكامنة وللتأكيد على مدى تطبيق أصول النظرية الغريماسية الغربية على نصوص تراثية عربية.وأسبقت هذه الفصول بمدخل.

تناولت في المدخل استفاضة حول السيميائية السردية عند غريماس،ثم تطرقت إلى أهم الخصائص التي تميز السرد العربي عن باقي السرود،من خلال كليلة ودمنة،من إسناد وتضمين وحكاية على لسان الحيوان....الخ.

أما في الفصل الأول والذي وسمته "بالبنية العاملية"،فقد تتبعت كيف نشأ العامل،ثم العناصر المكونة للبنية العاملية،ومختلف العلائق المشكلة للنموذج العاملي،وكذا الحالات والتحويلات التي تميز البرامج السردية،والعلاقة التي تربط

الثنائية"موضوع/القيمة"،وأنواع الانتقال التي تنشأ من مضاعفة البرامج السردية،وكذا موجهات الفعل التي تسمح بنمو المفاهيم وتطورها، وأتبعته بمقاربة تطبيقية،تطرقن فيها إلى كيفية تقطيع النصوص من منظور سيميائي بغية تحليلها،ثم حللت نصوصا من "كليلة ودمنة" بدراسة البنية العاملية فيها.

وفي الفصل الثاني والذي عنونته بـــ"المربع التصديقي"،تناولت كيفية نشأته انطلاقا من مبدأ المحايثة،ووقفت من خلاله عند مفهومي "التحريك"و"التقويم"،بالإضافة إلى مفهوم الكيفية ونظام الكيفيات التصديقية التي تشكل المربع،وظهوره في نسق متمايز والذي يهدف إلى إبراز العملية المعرفية كحقيقة دلالية،ثم تليه مقاربة تطبيقية تحصل دراسة مربع التصديق والحقيقة على بعض الحكايات المثلية من "كليلة ودمنة".

وفي الفصل الثالث والمعنون بـــ"البنية الدلالية الأولية "،عملت فيه على إبراز مفهوم المربع السيميائي وكيف نشأ على أساس مبدأ الاختلاف والمفارقة،والذي يقوم على تشخيص التضاد والتناقض والتضمين،والتي من خلالها يتولد المعنى في أشكال تصويرية مختلفة،ويتمظهر على السطح بصيغ تعبيرية على النصوص،واخترت نصوصا حكائية من المؤلف بغية مقاربتها سيميائيا بتطبيق المربع السيميائي عليها.

ويتخلل كل فصل من هذه الفصول بعضا من الانتقادات التي وجهت إلى صاحب النظرية"غريماس"،في شكل ملاحظات على مختلف الصياغات والنماذج التي شكلت مبادئ أساسية في نظريته .

وأنهيت هذه الفصول بخاتمة،جمعت فيها النتائج المستخلصة من البحث،والتي استنتجتها كحوصلة لما ورد في الجوانب النظرية والمقاربات التطبيقية التي وقفت

عندها في كل فصل.ثم أردفتها بفهارس المصادر والمراجع التي كانت لي الرفيق الدائم،والجليس الصالح الذي يسهم في توجيهي لتنسيق عناصر البحث.

وكما أن لكل بحث صعوبات تواجهه وتعترض طريقه للوصول إلى المعارف، فقد واجهت بعضا منها، بينها صعوبة الحصول على المراجع وكذا صعوبة ترجمتها من لغتها الأصل إلى اللغة العربية،باعتبار أن المنهج المطبق هو منهج غربي،وأغلبية المصادر هي بلغة أجنبية،كما أن صعوبة أخرى اعترضتني أثناء تطبيق المنهج الغريماسي،تتمثل في كوني واجهت حشدا هائلا من المصطلحات التي يصعب رصدها أو الإحاطة بها جميعا،وذلك باعتبار أن "غريماس" لم يؤلف دراسة تستوعب في نظرة تأليفية جامعة جهازا نظريا يتيح للدارس مرجعا ميسور التناول.فنظريته تمتد على مجموعة هامة من الدراسات المنشورة في مؤلفات مستقلة أو ضمن مجلات مختصة،وهي علاوة على هذا على حظ وافر من الثراء والنفاذ،بحيث تتطلب مجهودا مضنيا لمعرفتها و فك شفرات رموزها.

وأخيرا أتمنى أن يسهم هذا البحث في استيعاب فكر "غريماس "في مجال السيميائية السردية وتطبيقاتها،والتي ظلت مستعصية في بعض مسالكها،وقد سعيت قدر الإمكان إلى تزويد هذا البحث بما وجدته متصلا بمفاهيم صاحب النظرية في أصوله،ومعارفه في جوهره(البحث).

وأتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف"إسماعيل زردومي" الذي صبر على تقصيري،ومنحني كل مساعدة توفرت لديه،كما أنه أعانني بأهم كنوز الدنيا وهي نصائحه المشجعة لي على خوض المغامرة في المحاورة بمناهج معاصرة غربية

لنصوص حكائية عربية.فكانت الثمار التي جنيتها هذا العمل.وإلى كل من كانت له يد العون لي في انجاز هذا البحث،من أهل وأصدقاء.

مدخل

مـــــدخـــــــــــل:

اختلفت الآراء حول تعريف المحكي، وقدّمت له تعريفات مختلفة، إلاّ أنها اتفقت على أنه مجموعة من الأحداث أو الأفعال المتسلسلة التي ترمي إلى تحقيق هدف ما، أو غاية معيّنة، تتحدّد وفق أبعاد زمنيّة و منطقيّة، والمحكي هو في الأصل« بنية معقدة يمكن تفكيكها واستنباط العلاقات التي تربط بين مختلف وظائفها في مسار قصصي معين[1]». ومن هذا المنطق بدأ الرّواد عمليّات البحث والتنقيب في هذا الحقل، فجاءت طروحات الشكلانيّين الرّوس القاعدة الأساسية لانطلاق هذه العمليّات في المجال الشكلي والوظائفي للمحكيّ.

ومن هنا ظهر موضوع جديد في ميدان البحث الأدبي لدراسة الحكاية، خصوصا من حيث مميزاتها وخصائصها، وصولا إلى أعمق مكنوناتها باستنباط وظائفها واستخلاص أصولها المترسّخة في أغوار الدّلالة.

هذه الحكاية التي كانت قبل زمن من الأزمان، مجرّد حقيقة طبيعيّة غير قابلة للتحليل، أصبحت تشغل حيّزا هامّا من الدّراسات الأدبية، كيانا مستقلا قائما بذاته، لها نظامها الخاص الذي يجعلها ترقى إلى تشييد نماذج لها كفايتها العلميّة. والمحكيّ هو النصّ الأوسع، يظل متنامي الأطراف، لا متناهي الحدود، يضمّ الحكاية والأسطورة، والملحمة، والرواية والقصّة، ومختلف أنماط الحكي، يخضع لنظام من المقاطع التي تربط بين الأحداث برباط زمني ومنطقي ليحمل معنى أو دلالة يراه بريمون (Brémond) على أنه:« تقارب لعدد من المقاطع التي تتطابق، تتعقد، تتقاطع وتتداخل فيما بينها مثل ألياف العضلات أو غرائس صغيرة[2]». ومن المؤكد أنّ هذا المحكي يحمل حيزا،

---

[1] - سمير المرزوقي، جميل شاكر- مدخل إلى نظريّة القصّة، الدّار التونسية للنشر 1985، ص23

[2] -ناديةبو شقرة، مباحث في السيميائية السرديّة، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ص27

أو بالأحرى رسالة ما (Message). تفسر صلاحيّته في عمليّة التواصل،التي من شأنها تبليغ تلك الرّسالة، والمتبلورة في جملة من المعاني والدّلالات التي يمكن دراستها نقديّا.

ويعدّ سيميائيات المحكيّ الحقل الأوسع في الدّراسات النقديّة باعتباره حافلا بالموادّ ومشحونا بأنماط و أشكال متعددة، وقد أفضت البحوث الحاليّة في الأبنية السرديّة عموما، والحكائيّة على وجه الخصوص، والتي ابتدأ تقاليدها بروب (V. Propp)، في كتابه (مورفولوجيا الحكاية الشعبيّة)، وتابعها الشكلانيون والبنيويون، إلى تصوّرات جديدة عن الأبنية السرديّة وتقنياتها التحليليّة، بحيث برز الطابع الدلالي والإشاري لها، ولم تعد تقف عند سطح النصّ، وتجري على عيّنات منه، بدلا من تناوله بأكمله في إطار ما يطلق عليه بعلم "السردّيات"*، أو علم القص أو حتى نظرية القصّة، أو السردانيّة، وهي في مجملها مصطلحات تفضي إلى مفهوم واحد هو "Narratologie" الذي يحيل على تحليل مكوّنات وميكانيزمات المحكيّ، فالسرديّات« تعمل على دراسة النصوص الحكائيّة قصد استنباط مجموع الأجهزة الشكلانيّة، التي تمثّل النواة المولّدة لمختلف أشكال الخطابات القصصيّة، ويعني هذا أنها منهجيّة هيكليّة (Structural)، لها أكثر من علاقة بمشكلة المعنى أو الدّلاليّة (Sémantique) والعلاميّة »(Sémiotique)[1]

إذن فمجال السرديّات ليس ضيقا، بل تطمح في أن تكون علما كليّا، مادامت تهتم بالبنيات الحكائية في إطارها الشكلي، غير المحدود، والمعبر عنه سيمائيّا بالبنية السّطحيّة، قصد الكشف عن اللّغة الباطنة المعروفة بالبنية العميقة.

وخصوبة السرديّات أفضت أيضا إلى تعدّد المناهج والإتجاهات في درسها،

[1]- سمير المرزوقي، جميل شاكر، مدخل إلى نظريّة القصّة، الدّار التونسيّة للنشر 1985 ص18

فهناك من يتناولها من خلال القائم بفعل السرد أي السارد (Narrateur) وعلاقته بالمسرود له (Narrataire)، وذلك من حيث التبئير وزمن السرد ووظائفه....، في إطار الدّراسة الخارجيّةللمحكيّ، وأهم من مثل هذا الإتجاه جيرار جنيت (G. Genette)، جيرالد برنس (G. Brens)، بوريس أوزبنسكي (B. Ozbenski) وغيرهم.

وهناك من يدرسها من حيث المضامين السرديّة من مكوّنات ودلائل، أي يهتم بالمحكي دون الوسيلة الحاملة له، وبشكل أدق من خلال تحليله داخليا، وذلك في إطار ما يسمّى بالسيمائيّة السرديّة، يقول ناجي مصطفى:«هناك اتجاهان للسرديّات، علم السرد الأوّل [وهو الذي يهمّنا] المسمّى عادة السيمائيات السرديّة، يمثله بروب، بريمون، غريماس... ويهتم بالسردية (Narrativité) الحكائية، دون اهتمام بالوسيلة الحاملة لها- رواية، فيلما أو رسوماــ مادام نفس الحدث يمكن ترجمتة بوسائل مختلفة، إنه يدرس مضامين السرديّة بهدف إبراز بيناتها العميقة التي تعتبر عادة كونيّة، دون إعتبار للجماعات اللسانية[1]»، ومن هذا"قامت السيميائيات كغيرها من المناهج النقدية النصانية،باقتحام عالم السرد والإبداع القصصي،مستخلصة رموزه وعلاماته،سابرة غوره،مستخرجة مختلف التأويلات الممكنة،لكنها مرت قبل ذلك بتاريخ طويل،استطاعت بفضله نفض التراب عن أهم نفائسه ،إلى أن استوت مناهجه او أدوات تحليلها وغزت مجالا لسرد حتى يومنا هذا"[2]تستمد هذه النظريّة (السيمائيّة السرديّة)، أصولها المعرفيّة من الدّلاليّة، التي تهتم في المقام الأوّل باستقراء الدّلالة،انطلاقا من الظروف الحافة بإنتاجها ، ووسيلتها في ذلك تفجير الخطاب الحكائي، وتفكيك الوحدات المكوّنة له، ثمّ إعادة بنائها وفق جهاز نظري متسق التأليف.

---

[1]-ناجي مصطفى، نظريّة السرد من وجهة النظر إلى التبئير، منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي، ط1، الدّارالبيضاء 1989 ص97.
[2]-فيصل الأحمر، معجم السيميائيات،الدار العربية للعلوم ناشرون،بيروت،ط1431،1هـ - 2010م،ص206.

وقد حدّد السميائيّون موضوع بحثهم بدقة، والمتمثل أساسا في المحتوى، بغية الوصول إلى اكتشاف المعنى. كما تنظر جماعة أنترفرن (G. D'entervernes) للسرديّة على أنها «ظاهرة لتتابع الحالات والتحويلات المسجّلة في الخطاب والمسؤولة عن إنتاج المعنى[1]»، وهذا ما يؤكدّه غريماس(Aljiradas Julien Griemas) في جلّ مؤلّفاته التي أثرى بها مجال السيميائيات السرديّة، على أنّ:

«السرديّة هي تحويل أو مجموعة تحويلات، تحقق الفعل بموضوع القيمة، وتدخل في هذه العمليّة برامج لا حصر لها، وصور وتجسيدات تعد بتحليل

متأنٍ للسرديّة ولنظريّة السرد، التي تسعى إلى الاهتمام بالشكل السيميوطيقي للمحتوى[2]».

ومن هذه المنطلقات فإن التحليل السيميائي للنصوص الحكائيّة، يتناوله من زاويتين، زاوية سطحيّة وأخرى عميقة، وبمعنى أدق فإن سيميائيّة الدّلالة أو السيميائيّة السرديّة في تعاملها مع النصّ الحكائي أو السردي، تدرسه على المستوى السطحي بالتركيز على البرنامج السردي ومكوّناته الأساسيّة، كالتحفيز والكفاءة والإنجاز والتقويم، وكذا التركيز على صيغ الجهات، ودراسة الصور باعتبارها وحدات دلاليّة معجميّة مع إبراز مساراتها، والأدوار بأنواعها مع ربطها بالبنية العامليّة والإطار الوصفي هذا من جهة، ومن جهة ثانية دراسة المستوى العميق من خلال الكشف عن المكونات الدّلاليّة والمنطقيّة، عن طريق استقراء التشاكل والمربع السيميائي الذي يولّد المتمظهرات النصيّة السطحيّة سردا وحكيا.

وبالتالي فإن البنية السطحيّة تستدعي البنية العميقة، لما تحمله من شفرات وإشارات ، تقتضي حلّها دلاليا من خلال عوامل التقابلات الضديّة الكامنة وراءها

[1] - Roup d'entervernes, Analyse sémiotique de texte, pul lyon 1984 p1

[2] -نادية بوشفرة، مباحث في السيمائية السرديّة، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2008 ص31.
نقل عن:A.J. Griemas, du sens2 : Essais p59

(البنية السطحيّة)، والعكس صحيح. حيث تشكل البنيتان كُلاًّ متكاملا، من الصّعب تناول بنية واحدة دون الأخرى، نظرا للأهميّة التي تحظى بها كل منها، حيث نجد على مستوى البنية السطحيّة المكونيين السردي و الخطابي، فهي (البنية السطحية) ترتبط بطبيعة الحالات والتحويلات المنظّمة لهيكل المحكـــــيّ، في حين يستعمـــــــل المكوّن الخطابي لتحديد المسارات الصوريّة المتحرّكة في النصّ، أما على مستوى البنية العميقة نجد نظاما وشبكة للعمليّات، والمتضمّنة أساسا للمربع السيميائي بحكم أنه يوجّه العلاقات المنطقيّة، ويضبطها بين الوحدات المعنويّة الصغرى، ممّا يجعل فعاليّة في عمق النصّ السردي، تسيّر وتجسّد شكل المعنى المراد إدراكه في التحليل، فهو بالتالي يسعى لتفجير الدّلالة، واكتشافها في عمقها المؤسس للنصّ السردي.

ويمكن تقديم ملخّص لمسار تولد الدّلالة في النصّ السردي والحكائي والمؤطر لنظرية السيميائية السرديّة التي أرسى دعائمها غريماس(Greimas)، بأفكاره التي استوحاها من نموذج بروب(V.Propp) والشكلانيين الرّوس (Formalistes russes)، والتي توسع في إثرائها من جاء بعده أمثال جوزيف كورتيس (Joseph Courtés)، جون كلود كوكي (Jeun Claud Couquet)، كلود بريمون (Claud Brémond)، آن هينو (Anne Hennault)، جماعة أنترفون (Group d’entervernes) وغيرهم .

خصائص السرد العربي من خلال مؤلف "كليلة ودمنة":

إنّ المتتبع الدقيق للسرد العربي ذي النزعة الكتابية، يلحظ أن بنيته تتحكم فيها خصوصيّات عدة، تستحضر في كلّ نصّ سردي، ضمن مستويات مختلفة بدرجات متفاوتة، نحاول تقصي هذه الخصوصيّات السرديّة مع ربطها بنيتها الثقافية بالمجتمع العربي، ذلك أن كل نمط إبداعي هو في حقيقته إفراز نمط من الثقافة والحضارة، وذلك بأخذ "كليلة ودمنة" كنموذج للسرد العربي.

1- **السرد العربي سرد طلبي**: ويعني ذلك أنه في حقيقته «وليد الرغبة من قبل الآخر الذي يبدأ شغفا لسماع الحكي، فيتحفّز السارد للسرد، ومنه يتحفّز القارئ[1]». وبهذا تأخذ علميّة القراءة شكل الاستقصاء عن سرّ هذه الرغبة، يشعر القارئ بدافع كمون هذه الرغبة أنّ السرد يخفي شيئًا ما، ويحيل على أسرار، فتغدو عمليّة التشفير، رغبة أخرى تضاهي رغبة الطلب. "فبَيدَبا" الفيلسوف لم يؤلف كتابه "كليلة ودمنة" من تلقاء نفسه، أو محبة في تأليف الكتب، وإنما: «استجابة لرغبة عبّر فيها دشبليم الملك، دشبليم هو الذي أمر بيدبا بتأليف الكتاب[2]»، وهذا ما يشرك دور المتلقي في التأليف، فلولا المتلقي لما كان هناك سرد، أي أن هناك تحفيزا من المتلقي للسارد، ليباشر العمليّة السرديّة، ويختص هذا النوع من طلب بالبنية السرديّة للنصّ وهو ما يعرف ب «الطلب الدّاخلي[3]».

2- يمكن اعتبار حكايات "كليلة ودمنة" رغبة سماع الملك دبشليم لنصوصها، إذ يطلب من الفيلسوف بيدبا باستمرار أن يحكي له، محدّدا له في كل مرة إطار الحكي، والعبرة منه، ففي باب "الثور والأسد" على سبيل المثال يأتي الكلام: قال دبشليم

---

[1]- الموقف الأدبي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 25 أيار 2005، العدد: 409 – 412 ص127.

[2]-عبد الفتاح كليطو، الحكاية والتأويل "زعموا أن"، دار توبقال للنشر- ط1، 1988، الدار البيضاء- المغرب ص33.

[3]-الموقف الأدبي ص128

الملكلبيدبا الفيلسوف وهورأس البراهمة «اضرب لي مثلا لمتحابين يقطع بينهما الكذوب المحتال حتى يحملها على العداوة والبغضاء[1]».

«فهناك قاعدة شبه تامّة، وهي أنّ السرد يكون جوابا عن سؤال، أي تلبية لرغبة أو طلب يكتسي صيغة الأمر، والمتلقي في أغلب الأحيان، هو الذي يطلب السرد من الرّاوي[2] »، وهذا ما يجسّده فعل الأمر"اضرب الذي يتردد على مستوى كل الحكايات،فهو يرد في مقدّمة كل واحدة منها،مما يجسّد طلب الملك لسماعها.

وعند تتبّع الإبداع العربي، وموقعه ضمن الثقافة العربيّة يتبيّن لنا أنّ «العمليّة الإبداعية، لم تنفصل عن البنية السياسية والدينيّة، فثمّة ترابط ملحوظ بين البنيتين، هناك سلطة ما سواء سياسيّة أو دينيّة، توجه حركة الإبداع وتحدّد مساره[3]»، فبفعل وجود سلطة تسعى إلى الحفاظ على مؤسساتها ضمن هذا الإطار يمكن قراءة خصوصيّةالطلبية في السرد العربي، إنهّا تؤول في آخر المطاف إلى سلطة الواقع الثقافي، وهيمنة الأجهزة الدينيّة والسياسيّة، والمعوّقات الإيديولوجية، فيكون تحدّي هذه الأجهزة والسلطات بواسطة فعل السرّد، يتحوّل في النهاية إلى: «محاول لتدجين السلطة العليا، وإرغامها على الرضوخ إلى سلطة المثقف عبر آليات التحليل السردي[4]».إن: «الكتابة تتم تنفيذا لطلب من سلطة،وسواء كان هذا الطلب فعليّا أم لا،فالمهمّ أن الكتاب يتوجّه في النهاية إلى هذه السلطة،على شكل إهداء،الكتاب يؤولفي النهاية إلى مكتبة السلطة[5]»،وهذا ما نلمسه مع كليلة ودمنة،عندما ألّفه الفيلسوف بأمر من سلطة الملك"دبشليم"،الذي استفرد بالكتاب لنفسه، ووضعته في مكان يصعب بلوغه...«أحببت أن تضع لي كتابا بليغا،تستفرغ فيه عقلك،يكون ظاهره سياسة

---

[1]-عبد الله بن المقفع، كليلة ودمنة، شرح خليل اليازي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،ط1، 1428-1429هـ، 2008م، ص81.
[2]- عبد الفتاح كيليطو،(دراسة في مقامات الحريري)،دار توبقال للنشر والتوزيع ص49.
[3]-الموقف الأدبي ص128.
[4]-المرجع السابق ص128.
[5]-كليلة ودمنة ص31.

العامّة،وتأديبها على طاعةالملك،وباطنه أخلاق الملوك وسياستها للرعيّة[1]»،وليس مجانا أن تدور فعليّات النصوص السردية في كليلة ودمنة،في نمط ثنائي:السارد مثقف والذي يتمثل في الفيلسوف بيدبا،ومتلق صاحب سلطة "الملك دبشليم".

فالقراءة الظاهرة توحي برضوخ الجانب الثقافي للجانب السلطوي السياسي، خاصة عندما يلبّي السارد المثقف أوامر المتلقي المتسلّط، وذلك عندما وضح بيدبا للملك، ونفذ له طلبه في تأليف الكتاب، لكن القراءة المتقصيّة تكشف عن صراع مستديم، ثبت من خلاله الفعاليّة الثقافيّة على أنها قادرة على ترويض الفعل السلطوي، ودفعه إلى التخلي عن شروره، وبهذا تعمد بيدبا سرد حكايات اليافعين، وبسطاء العقل و التفكير، وكأنه يحشر الملك ضمن هذه الزمرة.

3- **<u>السرد العربي يعتمد الإسناد</u>:** تحتفي معظم النصوص السرديّة العربيّة بمقدمة اسناديّة تحرص على ثباتها طيلة المسار السردي للنـــــــــــص، «فالسرد يحتاج إلى الإعلان عن نفسه، بصيغة من الصّيغ تكون بالنسبة إلى الحكاية كالإطار بالنسبة إلى اللوحة[2]». وتتنوع الصّيغ الإسنادية من نصّ إلى أخر، ويبدو أن «الإسناد آلية سرديّة، يحرص المؤلّف على توافرها في النصّ استجابة لنزوع ثقافي حربي، يؤثر الصدق والواقعيّة[3]»، فهاجس الإسناد الأساسي هو الإقناع بصدق الكلام وحقيقة الحدث، ومن هذا فإنّ عبارة "زعموا أنّ" في مؤلّف "كليلة ودمنة"، تعلن للمتلقّي أنّ السرد قد بدأ وتحدّد نوعه، وقد احترم بيدبا هذه الافتتاحية، وكرّرها بصفة ملحوظة،ولا شك أنّه اخترع تلك الحكايات لدبشليم الملك مع ذلك فإنّه يسندها إلى الآخرين عبر الفعل "زعموا"، المسند إلى ضمير الجمع إمعانا في تعميق مصداقية الحكايات، فهو عندما يستعمل هذه الصيغة يربطها بالحكي الخرافي، فكأنّه يفترض أن الملك لا تسعفه

[1]-كليلة ودمنة ص31.
[2]-عبد الفتاح كليطو، الحكاية والتأويل ص34.
[3]-الموقف الأدبي ص129.

معارفه وثقافته كي يتلقى الموثوق به، فهو ضمن زمرة بسطاء العقل، في نظر بيدبا، فذلك يفترض أنّ كل ما يتلقاه، يجب أنّ يكون من قبيل الخرافي، وبهذا يحقق الإسناد وظيفتين هامتين هما: تحقيق المصداقية الحكائيّة، والتوثيق السردي من ناحية، وممارسة السارد (بيدبا) لسلطته على المتلقي (الملك) التي ليست في نهاية الأمر إلا جدلية الثقافة والسياسة، إنّ الراوي في النصوص السرديّة العربية مسكون بها جس التوثيق الواقعي، إنّه يستعمل كافّة الصيّغ الإسناديّة: حكى، بلغ، زعم....، كي «يمنح الشمول لحكايته وخبره، الذي ينقله حيث يدخل جماعة من المحكي لهم في زمرة المتلقين أو المشاركين في التلقي[1]».

وهذا ما جرى بين الفيلسوف (بيدبا) والملك (دبشليم).

3-<u>**آليّة التضمين السردي**</u>:تخضع الكثير من النصوص العربيّة السرديّة إلى منطق التضمين السردي، فثمّة حكاية إطارية تشكل محور النصّ العام وبؤرة العمليّة السرديّة تتناسل منها عبر الخيط الحكائي، مجموعة من الحكايات. «تتكوّن ضمن هذا الإطار، وتتفرع هذه القصص إلى عشرات أخرى غيرها، بصورة عنقود من الحكايات القصيرة التي يغذّيها ذلك الإطار[2]».ويشكل التضمين في نصّ كليلة ودمنة شبه بنية ثابتة، إذ لا تخلو قصّة من تواجد حكاية إطار، تتفرّع عنها حكاية أخرى أو أكثر، ليعود المسار السردي في الأخير إلى نقطة الحكاية الأم، فمن أجل دعم فعاليّة الحكي، يلجأ بيدبا إلى إقحام حكايات أخرى، لكن ضمن إستراتيجية سريّة، يأخذ فعل التشويق والإبهار فيها شكلا ثابتا ودائما.

لا ينتقل بيدبا من الحكاية الإطار إلى حكايات أخرى دون تحفيز المتلقي (الملك)، ووضعه في موقع التأهّب والرغبة والفضول: "ومن فعل كذا و كذا سيكون مثله

1- مصطفى الضّبع، الاستهلاك السردي في الحكاية، مجلة القصّة، العدد 81، يوليو- أغسطس- سبتمبر 1995،ص108.

2-عبد الله إبراهيم، المتخيّل السردي، مقاربة نقديّة في التناصّ و الرّؤى والدلالة، المركز الثقافي العربي،بيروت، الدّار البيضاء 1990، ص58.

مثلكذا..." وتأتي هذه الصّيغة باستمرار كآليّة تحفيزيّة، لتؤدي الوظيفة: لفت الإنتباه، فيكون ردّ فعل الملك: " وكيف كان هذا؟" يبدو أن هذا المسار السردي الذي رسمه بيدبا يطمح إلى الوصول لهذا التساؤل، ليكون فعل التوالد السردي فعلا مشروعا، لأن الملك (دبشليم) يرغب في ذلك حقا، «إذ يحرص بيدبا على أن تتكوّن عند دبشليم رغبة في السرد، وذلك حتّى يضمن متابعة يقظة ومتحمسّة، ويجعل المتلقّي يشارك في العمليّة السرديّة[1]».

وهكذا يأتي فعل التضمين الحكائي في كليلة ودمنة مؤطرا استراتيجيا، بحيث تسهم فيه فعاليّة السرد وفعاليّة التلقي على حدّ سواء.

1- <u>الحكاية على لسان الحيوان</u>: تحقق الحكاية الرّمزية للنصوص السرديّة مقروئيتها، ووظيفتها التعليميّة، الأخلاقية، والسياسية والاجتماعية،والفكريّة، وأبرز تقنية في الترميز لمؤلف كليلة ودمنة، هي تنشيط الحكاية الرمزيّة على لسان الحيوان،فهي تندرج ضمن فن التخريف و"إن فن التخريف أدب رفيع قائم بذاته، ينهج نهج الحكمة،ضاربا الأمثال للعبرة والتعليم. يعتمدها لأديب للتسلية أوالسخرية أوالتحقير، بأسلوب يجري على لسان الحيوانات خشية الحاكم الظالم"[2] حيث «تستعمل الحيوانات الحيلة لقضاء مآربها، كذلك الحكماء يصوغون الحيل من أجل القيام بدورهم التعليمي، وأعظم حيلهم تأثيرا في النفوس وضع الأمثال على ألسنة الحيوانات[3]». فالحيوانات في كليلة ودمنة هي ذوات ناطقة، تتحدث في كلّ مجالات الحياة: السياسة، والأخلاق، والصداقة....الخ، كما أنّها ذوات مفكرة، تستعمل مختلف مظاهر الحيل والحجاج للدفاع عن وجهة نظرها. والغرض من ذلك هو الكشف وفضح طبائع الناس السيئة والحميدة، على أنّ أهمّ القصص الواردة في الكتاب نوعان: نوع إنساني تقع فيه الحوادث ويجري

---

[1]- عبد الفتاح كليطو، الحكاية والتأويل ص33

[2]- د حسين الحاج حسن،أعلام في النثر العباسي،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت،ط1،1413هـ - 1993م،ص67.

[3]- عبد الفتاح كليطو،الحكاية والتأويل ص36.

فيه الحوار بين شخصيات آدمية، ونوع خرافي تقع فيه الأحداث بين حيوانات، أو بين الحيوانات والإنسان، فسرد القصص على ألسنة الحيوانات وسيلة أساسية لتفادي التهمة بأنّ السرد ينتقد الملك، وينتقد انحرافاته السياسية مع رعيّتة،وإبداء النصائح له بغية إصلاح رأيه وحكمه. "فابن المقفع استعار للأشخاص الحقيقيين لباس الحيوان فباتوا بشرا في جلد حيواني،وقد يغفل أحيانا فيجعل الحيوانات تتحدث عن عالم البشر.وفي بعض القصص يمازج بين الحيوان الإنسان في الحكاية نفسها"[1]

وقد عمد "بيدبا" إلى وضع الكتاب "للملك دبشليم"، جاعلا حكايته تدور بين الحيوانات، متخذا إياها رموزا، لأنماط من البشر،ممثلا الظلم والجهل والحسد والبخل والعدل والإخلاص والمودة وكل ما يتميز به الإنسان من فضائل ورذائل في سياق ظريف من الحكايات"غرض الكتاب هو العيوب البشرية،وكل غريزة رمزها حيوان:فالأسد متكبر ضعيف الرأي،ودمنة داهية طموح،وكليلة طيب نصوح،والثور بصير مستقيم،وأنثى الأرنب ماكرة أريبة،والغراب ذكي محتال،والجمل ساذج غفل،والقملة جانية على نفسها"[2]كأن الحيوانات أساس أمثال الكتاب،غير أن هم الكاتب الوحيد هو الإنسان"فإذا كان هذا الحيوان الضعيف المهين احتال بمثل هذه الحيلة حتى تخلص من عدوه،ودفع الضرر عن نفسه،فما يجب أن نقطع الرجاء من الإنسان الذي هو أكيس الحيوان وأكمله وأحكمه،أن يدرك من عدوه ما أراد بحيلته وتدبيره"[3] وقد نجح في: «تصوير حيوان أعجم، ناطقا بالحكمة الإنسانية العالية، ومفكرا تفكيرا بشريًّا ساميًا[3]».

وكلما تم التوغل في قصص ابن المقفع الإنسانية،وجد عنده الخيال الواسع الحذق،الذي يمزج بين الإنسان و سائر الحيوان بحيث لا يفرق بين كل ما هو حي الا

---

[1]-د حسين الحاج حسن،أعلام في النثر العباسي،ص68.
[2]-تدية حفيز،ابن المقفع وكتابه كليلة ودمنة ،دراسة تحليلية،دار هومة للنشر والتوزيع،الجزائر،2005،ص220.[2]
[3]-كليلة ودمنة ص263

بالنطق .فالإنسان بعقله والحيوان بغريزته،يصل كل واحد منهما الى غايته،ولا حرج أن يأخذ النصيحة والعبرة من الحيوان."ان التشاكل المهيمن هو المتعلق بالبعد الإنساني(النطق والتصرفات الآدمية)،ولم يوظف البعد الحيواني(فانون الغاب والغرائز البشعة) الا لتعميق البعد السابق ،وشحنه بالدلالات والرموز(غلبة الطبيعة على الثقافة)"[1]

2- **الصّراع**: إن بين مغامرة ابن المقفع السياسية وموضوعات "كليلة ودمنة"، وشائج متينة، وإن التباين في حلقات تجربته في بلاطات الأمراء، تعكس ما توصل إليه في تعدّد الفصول واختلاف مضمونها في الكتاب: «ولاشك إذن أن "كليلة ودمنة" مصنّف في السياسة والأخلاق، إذ شخّص من جهة أولى أزمة السلطة، ورصد أصول الحكم الفاضل، وأحصى من جهة ُ آنية القيم الرفيعة التي ينبغي أن تقود عمل الإنسان في المجتمع[2]».

من هذا المنطلق فإنّ أول بؤرة للصّراع تظهر بين الحاكم و المحكوم، وهو ما يجسّده الصراع بين الملك والفيلسوف هو في عمقه بين الإصلاح والفساد أو بعبارة أخرى: صراع بين الفكر والسلطة، وهنا يكمن السرّ في وضع الكتاب على ألسنة الحيوانات، واللّجوء إلى الرّمز للكشف عن دسائس الحاشية (دمنة)، والإنفراد بالسلطة (مثل الأسد والثور)، وإرهاق الرعيّة بالأوامر الاستبداديّة، كما الحال في حكاية "الأرنب والأسد". ممّا ينشئ قيما متعالقة في شكل ثنائيات: (الإصلاح/ الفساد)، (التعاون/ التفرقة)، (الصداقة/ العداوة)، (حسن التدبير/ التفرّد بالرأي)، (الدفاع عن الحق/ الظلم)، (الوفاء/ الغدر)، (الغضب/ الحلم)، (القوة/ الضعف)، (إعمال العقل/ تعطيله)، وغيرها من القيم التي تجسد الصداقة والعدل، والتعاون....الخ.

1- عالم الفكر، المجلد 40، 1يوليو - سبتمبر ص 114- 115.
2- عبد الله الرقيق، أدبيّة الحكاية المثلية في كليلة ودمنة، دار صامد للنشر والتوزيع، ط1، 2007، ص25.

وتستند المادّة الحكائيّة السرديّة في (كليلة ودمنة)، على تعاليم الأخلاق والوعظ، المنبثقة بدورها من ثنائيّة الخير والشر، وهي أسمى بؤر الصّراع في الحكايات، وذلك انطلاقا من العنوان "كليلة" الذي يمثّل جانب الخير الواعظ، المرشد، و "دمنة" جانب الشر الذي يمتاز بالخبث والدّهاء والدّناءة، فكانت قيمة الأمثال والحكم والعبر والمغامرات على ألسنة الحيوانات البريّة والطيور والقوارض، على امتداد المتون الحكائيّة في الكتاب، تمثل الجانبين (الخير والشر) وتعكس شخصيتّي كليلة ودمنة.

وتعد هذا أهمّ خصائص السرد العربي من خلال مؤلف "كليلة ودمنة".

الفصل الأول: البنية العاملية

لقد استمد غريماس(AJ Greimas) أصول نظريته من الدلالية، التي تهتم في المقام الأول باستقراء الدلالة، انطلاقا من الظروف الحافة بإنتاجها، ووسيلتها في ذلك تفجير الخطاب و تفكيك الوحدات المكونة له، ثم إعادة بنائها وفق جهاز نظري متسق التأليف، يلتزم النص و يتقيد به وذلك بكشف شبكة العلاقات القائمة في صلبه وفنيات تأليف الوحدات الدالة فيه.

ويعد الخطاب السرد ي في نظره (AJ Greimas) مشروعا منظما وفق الغايات القصوى المقصود بلوغها، يكتسي هذا المشروع طابعا حسابيا يوحي بوجود عمليات دلالية كامنة في المستوى العميق، أما على المستوى السطحي فيقدم الخطاب السردي:"مجموعة من الكائنات الحية أو غير الحية مكسبا إياها تدريجيا جملة من المقومات"[1] تسمى معانم، تنقسم حسب الوظيفة إلى عوامل و مستندات، مجلا بذلك العملية السردية في مرتبة نظام حسابي"تقوم السردية على مجموعة من الملفوظات المتتابعة و الموظفة المستندات

فيها لتشاكل-لسانيا-جملة من التصرفات الهادفة إلى تحقيق مشروع"[2]. مما يجعل تتابع الأحداث في المحكي خاضعا لوحدة متكاملة، منسجمة النظام، متجانسة التركيب لقول غريماس (A J greimas): "الوحدة الخطابية التي هي المحكي نمثلها كعملية حسابية، بمعنى ملفوظات متتابعة، حيث تشكل فيها الوظائف ــ المسندة ألسنياــ مجموعة من التصرفات الهادفة إلى تحقيق غرض ما "[3]، معتبرا أن السردية في تصوره:"قائمة على نموذج منطقي، ليس سوى بنية دلالية صغرى تتحول (تتسرد)على إثر تدخل ذات الخطاب إلى عناصر مشخصة"[4]

---

[1] - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي، نظرية غريماس، الدار العربية للكتاب، تونس2006، ص 31.
[2] - المرجع السابق، ص29.
[3] - A J Greimas .Elément pour une théorie de l'interprétation du récit mythique.in communication N°8p35.
[4] - فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة سعيد بن كراد، دار الكلام، الرباط ط1، 1990م، ص59.

وقد تجاوز غريماس (AJ Greimas)مفهوم الشخص والشخصية إلى مفاهيم لسانية جديدة مأخوذة من اللسانيات كالفاعل والممثل و العامل، وعوضت الأحداث بالوظائف، بينما استبدلت الشخصيات بالحوافز أو العوامل أو الفواعل، على غرار ما فعله الشكلانيون و البنيويون و السيميائيون من أمثال:فلاديمير بروب (Propp Vladimir)، و إتيان سوريو (Etienne Souriau) ، ورولان بارت(R Barthes)، وكلود بريمون (B claud)، وغيرهم.واستنادا إلى مفهوم الشخصية عند أرسطو الذي يعده مفهوما ثانويا، خاضعا كليا لمفهوم الفعل " سعادة الانسان و شقاؤه يتخذان صورة الفعل و غاية ما نسعى إ ليه في الحياة هو ضرب معين من الفعل "[1]، وهكذا ينسجم هذا التعريف مع التعريف اللساني للشخصية فهذا تودوروف(Todorov)يجرد الشخصية من محتواها الدلالي ويتوقف عند وظيفتها النحوية، فيجعلها بمثابة الفاعل في العبارة السردية، لتسهل عليه بعد ذلك المطابقة بين الفاعل و الاسم الشخصي للشخصية، بل إن فيليب هامون يذهب إلى حد الإعلان عن أن مفهوم الشخصية ليس مفهوما أدبيا محضا، بل هو مرتبط أساسا بالوظيفة النحوية التي تقوم بها الشخصية داخل النص، أما وظيفتها الأدبية فتأتي حين يحتكم الناقد إلى المقاييس الثقافية و الجمالية" [2]، وبالعمل الذي يعمله، أو الفعل الذي يفعله، ينبع من مفهوم صرفي نحوي، وعليه فإن" الشخص من وجهة نظر لسانية لا يحدد بميوله النفسية، واستعداداته البيئية، و خصاله الخلقية، وإنما بمكانته،

أو بالأحرى بموقعه داخل القصة"[3]

إن تحديد الشخص من وجهة نظر نحوية، فعل من دون فاعل، أو فاعل من دون فعل، إن الفاعل النحوي على مستوى الجملة هو الذي يقوم بالفعل، وهو ذاته الفاعل الفني على مستوى القصة، ومن هنا يقول موريس أبو ناضر :"الكلام عن الشخص

---

1 - أرسطو، فن الشعر،ترجمة ابراهيم حمادة،مكتبة الأنجلومصرية،القاهرة،1983،ص97.

3- AJGreimas,Jcoutés,sémiothque ,dictionnaire raisonné de la théorie du langage, T1.La rousse ,1972 p33

4 - د.حميد حمداوي، العامل والفاعل و الممثل، سيميائية الأدوار، دروب DOROOB-htm، 03- 09 -2010

داخل القصة يعني بكلمة أخرى الكلام عن شخص يعمل عملا ما، عن شخص يلعب دورا ما، وبالتالي يتم النظر إلى هذا الشخص أو ذاك كوظيفة نحوية ولا شيء آخر"[1]وهذا المفهوم اللساني للفاعل قابل للتطبيق في مجال القصة باعتبارها مجموعة أفعال "مجموعة أعمال تقوم بها العوامل ...وهذه العوامل موجودة في كل فعل تواصل، أكان فنيا أم فلسفيا أم سياسيا"[2]، فنظرة البنائية المعاصرة للشخصية "مستمدة في مجموعها من مفهوم الوظائف في اللسانيات، ذلك أن الكلمة في الجملة لم ينظر إليها على أنها تحمل دلالة ما خارج سياقها، بل إنها لا تأخذ دلالتها إلا من خلال الدور الذي تقوم به وسط غيرها من الكلمات، ضمن النظام العام للجملة، حتى لقد وصفت الكلمات على أنها بمثابة أعضاء ــ على غرار ما هو حاصل في جهاز عضوي أو هيئة اجتماعية ــ يقدم كل منها مساهمته الخاصة من أجل تحقيق مهمة جماعية"[3]، و لقد نظر إلى النص الحكائي وفق هذا التصور، ذلك أن ما هو أساسي فيه هو الأدوار التي تقوم بها الشخصيات، فعن هذه الأدوار ينشأ المعنى الكلي للنص، و هذا هو سبب تحول الدراسات الشكلانية و البنيوية معا إلى الاهتمام بالشخصية الحكائية، من حيث الأعمال التي تقوم بها، أكثر من الاهتمام بصفتها ومظاهرها الخارجية.وبهذا تظهر إشكالية العامل و تقاطعه مع الشخصية و الممثل والوظيفة، وبظهور كتاب "مورفولوجيا الحكاية الشعبية" لفلاديمير بروب(V Proop) الذي يعتبر "أول من شكلن القصة واعتبرها مجرد وظائف تظهر وتختفي بحسب خصوصية النص"[4]، ليكون منعطفا هاما في تحول المفاهيم والمصطلحات السيميائية التي بلورها غريماس (AJ Greimas) مشكلا ما عرف بالبنية العاملية أو ما اصطلح عليه"بالنموذج العاملي"[5]

---

[1] - د موريس أبو ناضر، الالسنية و النقد الادبي، في النظرية و الممارسة، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ص60.

[2] - AJGreimas,sémoitique,dictionnaire raisonné,p370

[3] - د موريس ابو ناضر، الاسنيةو النقد االادبي، ، ص 60 - 61 .

[4] - السعيد بو طاجين، الاشتغال العاملي، دراسة سيمسائية "غدا يوم جديد"لابن هدوقة عينة، رابطة كتاب الاختلاف، ط1، اكتوبر 2000، ص14.

[5] - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي، ص34.

لأن" الشخصية لا تتحدد فقط من خلال موقعها داخل العمل السردي (فعلها) و لكن من خلال العلاقات التي تنسجها مع الشخصيات الأخرى .إنها تدخل في علاقات مع وحدات من مستوى أعلى (العوامل) أو وحدات من مستوى أدنى(الصفات المميزة).بناء على هذا يمكن تحديد بنيتين تشيران إلى مستويين متباينين من التحليل"[1]:

ــ بنية الممثلين.

ــ بنية العوامل.

1ــ عناصر البنية العاملية:

اهتم غريماس J Greimas)A) بمثال بروب(V Propp) الوظائفي اهتماما بالغا، دفعه إلى تعميق مفاهيمه و بلورتها في تصور منطقي شامل

. للأجناس السردية، كيفما كانت طبيعتها الدلالية، و استوعب المنهج البروبي معيدا النظر في بعض المفاهيم الوظيفية و صياغتها "صياغة جديدة موسومة بالاختزال و التجريد"[2]، وأسس تصورا لمثال توفيقي، يؤلف فيه بين الأداة و المانح للحصول على عامل "المساعد"، و بين المعتدي والغادر المحققان لعامل "المعارض"، فيما يشخص البطل في دور الفاعل أو ما اصطلح عليه بـــ"الذات"، التي تسعى للبحث عن المطلوب وهو عامل "موضوع القيمة" المرغوب فيه، ويحدد في الأخير عاملي "المرسل و المرسل إليه"وعلى أساس هذه المعطيات استخلص ثلاثة أنماط من العلاقات، علاقة الرغبة، وعلاقة التواصل، و علاقة الصراع."لقد سبق وأن قلنا، يكتب غريماس بأننا ذهلنا لملاحظة (تينيار) التي تقارن الملفوظ القاعدي بمشهد.إ ذا تذكرنا بأن

---

[1] - فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ص10.

[2] - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي، ص8.

الوظائف حسب النحو التقليدي ليست إلا أدوارا تؤديها الكلمات ــ الذات فيها "هي من يقوم بالفعل"و الموضوع "هو من يتلقى الفعل "[1].

ومن هنا فقد شهدت نظرية العامل عدولا آخر مع مجيء غريماس(AJ Greimas) دون أن تتخلص من تأثيرات بروب(V Propp)و تينيار (Tesnire)، بحيث عمل على تقليص العوامل إلى حدها الأدنى و ضبطها بشكل مؤسس معرفيا وبنائيا، كما عمل على إقامة مقابلة من منظور نحوي بين العوامل التركيبية المسجلة في برنامج سردي معين مثل ذات الحالة وذات الفعل، وبين العوامل الوظيفية التي تؤدي أدوارا عاملية في المسار السردي، ليصوغ كل هذه المعطيات فيما سماه بالنموذج العاملي."ويستفيد غريماس أيضا في تصوره للنموذج العاملي من مفهوم العامل في اللسانيات، إذ ينطلق من ملاحظة تسنير (Tesnièr) التي شبه فيها الملفوظ البسيط(L'énoncé élémentaire) بالمشهد، والملفوظ عنده هو الجملة".[2]

أــ مفهوم العامل في الحقل السيميائي:

لم يظهر مفهوم العامل إلا مع الشكلاني الروسي فلاديمير بروب(V Propp)و إتيان سوريو(E souriau)، و"العامل هو الذي يقوم بالفعل أو يتلقاه"[3]، ويرى غريماس(Greimas)أن الأول كان قد أوضح مفهوم العوامل دون أن يضع بالضرورة المصطلح نفسه، وذلك عندما وزع الوظائف المتعددة على سبع شخصيات أساسية، ويقول بهذا الصدد:"إن العوامل تمتلك إذن قانونا «ميتا لسانيا» (Métalinguistique)، بالنسبة للممثلين، إنها تفترض بالإضافة إلى ذلك التحليل الوظيفي، أي التكوين التام

[1]- جوزيف كورتيس، مدخل الى السيميائيةالسردية والخطابية، ترجمة د جمال حضري، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1428هـ - 2007م، ص103.
[2] - د حميد حمداني، بنية النص السردي، ص18، نقلا عن Greimas ;sémentique structural ,recherche de méthode , larousse 1966,p 172.
[3] - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، عربي - انجليزي - فرنسي، دار الحكمة، تلمسان، الجزائر، فيفري، 2000ص15.

لدوائر نشاطها."[1] والعامل هو الذي"ينجز فعلا أو يخضع له في استقلال عن كل تحليل آخر(دلالي أو إديولوجي) وقد يكون كائنات إنسانية أو حيوانات أو أشياء أو مفاهيم"[2]، وحسب رأي غريماس(Greimas)دائما يعتبر العامل"وحدة تركيبية ذات طابع شكلي بغض النظر عن أي استغلال دلالي أو إديولوجي"[3]، و أيضا يرىأن "العامل قد يكون فرديا أو جماعيا، كما يمكن أن يكون مجردا، مشيّئا، أو مؤنسنا، بحسب تموضعه في المسار المنطقي للسرد"[4].، ويحل العامل في السيميائية الأدبية محل الشخصية لشموليته"فهو لا يغطي الكائنات الإنسانية فحسب، بل يغطي أيضا الحيوانات والأشياء والمفاهيم"، لكن هناك من يعترض على هذا"إن مقترحات غريماس فيما يتعلق بالشخصية، لا ترقى إلى ما يطرحه بناء الشخصية فهي تتجاوز بكثير الصياغة التجريدية الخاصة بالبنيات العاملية وتنويعاتها"[5]..

ويتموقع العامل في نظرية غريماس(Greimas)في البنية السطحية، و بالضبط في المستوى السردي التركيبي، حيث ينجز مجموعة من الأفعال و التحولات، و يرد في شكل حالات متنوعة في علاقة بموضوع الرغبة اتصالا و انفصالا، ويعني كل هذا أنه يرتبط ارتباطا شديدا بالبنية العاملية، باعتبارها مبنية على منطق الحالات والتحويلات والجهات.هذه الأخيرة التي تحضر عند شارل فليمور، الذي تأثر به غريماس(Greimas)، ومن هنا يمكن أن" يتحدد العامل أيضا في علاقته بالتصور الذي أعطاه شارل فليمور لنحو الحالات، وإذا لم تكن هناك إشارة واضحة عند غريماس في

[1] - د حميد حمداني، بنية النص السردي، ص22، نقلا عن Greimas, sémantique structural p 175.
[2] - د محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، دار التنوير للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص152.
[3] -السعيد بو طاجين، الاشتغال العاملي، ص19، نقلا عن Greimas, dictionnaire de la théorie du langage, p3
[4] - المرجع السابق، ص16.
[5] - سعيد بن كراد، السيميائيات السردية، منشورات الزمن، الرباط، المغرب، ط1، 2001، ص 119-120.

كتابه «علم الدلالة البنيوي 1966 »، فإنه يشير في المعجم مع كورتيس (J Courtés) إلى أن مفهوم العامل يمكن أن يؤول في إطار نحو الحالات"[1].

بيد أن البنية العاملية لم تكتسي بعدها المنهجي والإجرائي إلا مع غريماس(Greimas)هذا الأخير الذي عمق مفاهيمها في العديد من كتبه السيميائية النظرية و التطبيقية، وذلك من خلال تطبيقها على مجموعة من الأنشطة البشرية، سواء أكانت حكايات أم قصصا أم روايات، أم مشاريع سيميائية مختلفة عامة أو خاصة، هذا وتتحدد البنية العاملية عنده في ثلاث محاور و ستة عوامل.

ب ــ مفهوم النموذج العاملي وعناصره:

تعد البنية العاملية أحد مستويات التحليل السيميائي للنصوص السردية، تقوم على أساس « النموذج العاملي » الذي "يعد تشخيصا غير تزامني، و استبدالا لعالم الأفعال"[2]، وباعتبار أن السرد ينبني على الاستقرارو الحركة، فإن النموذج العاملي يعد نظاما خاضعا لعلاقة قارة بين العوامل، و صيرورة قائمة على تحولات متتالية لأن "مضمون الأفعال يتغير باستمرار، و القائمون بالفعل يتغيرون كذلك، لكن الملفوظ العرض يظل ثابتا .إذ أن الاستمرار يضمنه توزيع الأدوار مرة واحدة"[3]، و قد أشار جوزيف كورتيس(J Courtés) في مقدمته إلى أن أهمية النموذج البروبي "لا تكمن في عمق التحاليل التي تدعمه، ولا في دقة صياغته، بل في قوته الاستفزازية وقدرته على صياغة الفرضيات"[4]، و من هنا تمكن غريماس (Greimas) من كشف الملابسات التي سقط فيها فلاديمير بروب(V Propp) ، و استنبط من عملية تصنيف العوامل نموذجا عامليا، تكمن" بساطته في أنه كله متمحور حول موضوع الرغبة الذي يسعى الفاعل

---

[1] ـ صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الادبي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط3، 1985، ص162.
[2] - د أحمد طالب، المنهج السيميائي من النظرية الى التطبيق، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ص23.
[3] - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي، ص32 نقلا عن Greimas ,sémantique structurale p173.
[3] - J courtés, introduction à la sémiotique narrative et discursive, méthodologie et application, classique hachette - 1986, p144 , Paris.

لأجله، والذي في موقع للتواصل بين المرسل و المرسل إليه، و برغبة الفاعل من جهته الموجهة وفق إسقاطات المساعد والمعارض"[1]، مما يجعل البنية العاملية تبدو في تعريفها البسيط طريقة"لتنظيم مواطن الخيال البشري وعرض مختلف العوالم الجمعية والفردية"[2]، كما يعتبر ــ النموذج العاملي ــ بنية قارة جامعة لحركة العلاقات بين العوامل باختلاف أنواعها، حيث يمكن أن تكون "الفواعل أبطالا أو موضوعات للقيمة، مرسلين

أو مرسلين إليهم، معارضين معتدين أو مساعدين بقوى نافعة"[3]، وفي هذا الإطار استطاع (غريماس) أن يضع نموذجا للتحليل يقوم على ستة عوامل تأتلف في ثلاثة علاقات أو محاور، وجاءت ترسيمته الشهيرة على النحو التالي":[4]

المرسل ← موضوع ← مرسل اليه *

↑

مساعد ← ذات → معارض

إن النموذج العاملي "المتحصل عليه من خلال البنية الإبدالية لقائمة العوامل يتأسس إذا على التمفصل التركيبي التقليدي، مع التكيف مع الكون الدلالي الذي يجب أن يتكفل به"[5].

هـــذا النموذج "يؤدي، و عمل بهذا الصنيع على تصحيح مكامن الخلل وتعزيز مكامن القوة، حتى تغدو نظريته خطابا منسجما و شاملا" إن المنطقة الأكثر فاعلية في المسار التوليدي هي الفضاء بنية تقوم فيه، في الوقت الـــذي يبدو محكوما بالبنية

---

[1] - نادية بو شفرة، مباحث في السيميائية السردية، دار الامل، تيزي وزو، الجزائر، ص49، نقلا عن Greimas, sémantique structurale p180.

[2] - السعيد بو طاجين، الاشتغال العاملي، ص 19.

[3] - نادية بو شفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص49، نقلا عن Greimas,du sens1,p 192.

[4] - جوزيف كورتيس، مدخل الى السيميائية السردية و الخطابية، ص102.

* نشير هنا إلى أن المرسل إليه لا علاقة له بمتلق لرسالة أو خطاب، ولكنه عامل يدخل في تشكيل بنية الحكي الحديثة، و يحدد وظيفة من الوظائف داخل هذه البنية، لذلك ينبغي استبعاد اعتبار المرسل إليه هنا مثلا على أنه القارئ.

[5] - المرجع السابق ص 103.

العميقة، وكأنه صلة وصل بين العالم المتأصل والعالم المتمظهر، وهو ما سماه غريماس (A J Greimas) نموذج العوامل".[1] فقد أعاد النظر في تنظيم المسار التوليدي الذي يمثل حالة افتراضية، و نشاطا قيد الإنجاز الوسطي الذي يتموضع بين البنيتين السطحية (المكون الإبستيمولوجي)، و العلاقات العامة التي تحكم النص...في مستواه الظاهري المعبر عنه بالمستوى السطحي، و البنية العميقة (المكون الخطابي)، ويهم أساسا النمذجة السردية وتنظيمها العاملي، أي ما يميز العامل بفعله وحده (وليس برواسبه النفسية)"[2]

غير أن الكاتبة آن أوبرسفالد(Anne Ubersfeld) وبعد صدور كتابها المسرحيlire le théatre، أعادت النظر في ترسيمة غريماس(Greimas) العاملية من حيث مقروئيتها إذ لم تكن مقنعة من وجهة نظرها بفعل خلل في موقعة العوامل في خاناتها الحقيقية"ثمة جملة مفتاحية لقراءة الشكل:المرسل يطلب من الذات تحقيق موضوع لفائدة مرسل إليه، وهذا يعني أن السهم يجب أن يمر من المرسل إلى الذات ثم إلى الموضوع، إذ يصبح من المتعذر قراءة الترسيمة على هذا النحو، لأن المرسل لا يمكن أن يطلب شيئا من الموضوع من حيث أنه مسعى ليس ذاتا "[3]ويتمثل الخلل الثاني حسب رأيها في"إمكانية وجود مساندة أو معارضة للموضوع وليس للذات، أي فرضية انزلاق السهام المتجهة نحو الذات التي قد تغدو شكلا أجوفا لا قيمة له من دون موضوع يشحنها دلاليا و قيميا، ومع ذلك لا يمكن إغفال حالات كثيرة تكون فيها المساندة أو المعارضة للذات كوجود، وللتدليل على ذلك يمكن دراسة العصبيات وممارسات الجماعات الرعوية ".[4]

[1] - سامي سويدان، في دلالية القصص وشعرية السرد، دار الآداب، بيروت، ط1، 1991، ص26.
[2] - د محمد الداهي، تقديم كتاب سيميائيات الأهواء، الموقع/htz://www·arabpahtal·info.
[3] - السعيد بو طاجين، الإشتغال العاملي، ص16 -17.
[4] - المرجع السابق، 17.

ومن أجل ترميم الخلل الذي رأته، وتصحيح النقائص حسب اعتقادها اقترحت آن أوبرسفلد(Anne Ubersfeld) ترسيمة مغايرة غيرت فيها اتجاه السهام لتبرير المقروئية فكانت على الشكل التالي "[1]

مرسل **مرسل إليه**

↙ ↖

الـــذات

↑

موضوع

↖ ↗

مساعد **معارض**

يبين الشكل أن سهم الرغبة قد غير مجراه و أصبح يوصل المرسل بالذات التي تسعى بدورها لتجسيد موضوع فرضي، وقد قدمت الباحثة وجهة نظرها مدججة بالحجج و البراهين اللازمة لتأكيد ذلك من خلال دراسات و نماذج خصت بها المسرح الإغريقي، كما برهنت أن هذا البديل بإمكانه أن يحل محل النموذج الغريماسي."وليست هذه الفجوات سوى تفاصيل لا تؤثر كثيرا على دراسة الاشتغال العاملي في القصة"[2]. و لـــ جان كلود كوكي(J C Coquet)رأي في السياق ذاته إذ يقول:"كان ينبغي أن يتم تحوير الرسم العاملي، تبعا لقيود التلفظ ويرد من هذا المنظور كل خطاب إلى هيآته اللافظة، أذكر منها ثلاثا:المرسل (العامل الثالث)، الفاعل واللافاعل".[3] ويبقى الكشف عن المنطق العاملي يستدعي دراسة العلاقات التي تنتظم وفق إستراتيجية سردية محددة وهذا ما تسعى إليه السيميائية منذ تطور البحوث الغريماسية في هذا المجال، "ويمكن أن نتساءل الآن إذا كانت محاور المشروع السيميائي الأساسية قد رسمت بشكل ثابت ؟.

---

[1] - نفسه ص17

[2] - السعيد بو طاجين، الإشتغال العاملي ص18.

[3] - جان كلود كوكي و آخرون، السيميائية، الأصول، القواعد، والتاريخ، ترجمة رشيد بن مالك، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط، 1، 1428ه، 2008م، ص263.

ولكن ليس هناك أخطر من محاولة الانغلاق ما يقره البحث وما ننتظره منه، هو قدرة الخلق و الصرامة".[1]إن هذا الانتظام ليس اعتباطيا وإنما هو نتاج لتحليل يأخذ بعين الاعتبار الاستثمارات الدلالية المتنوعة، فهذه الأزواج الثلاثة التي يستخلصها غريماس من الجرد العام للفواعل يقدمها في نموذج يريده شاملا و عاما، لا يقتصر على المجال السردي فحسب، بل يمكن تطبيقه في مجالات كثيرة من الحياة.

ج ــ عناصر النموذج العاملي:

تبين مما سبق أن النموذج العاملي يخضع لنظام التقابلات تشكل ثلاث ثنائيات رئيسية من العوامل وهي:"(المرسل/ المرسل إليه)، (الفاعل[الذات]/ الموضوع)، (المساعد/المعارض)"[2]، تنتظم هذه العوامل فيما بينها وتتفاعل في علاقات تثبت صلاحية الصلة من تعارض واتصال المكونة للنموذج " لنعتبر في البداية النموذج العاملي في المستوى النظامي، لدينا هنا تنظيما مجملا، متمفصلا إلى ثلاثة أزواج من العوامل، محورها يتكون من العلاقة (ذات/موضوع)"[3]

إن هذه العلاقات المدركة في فهرس العوامل تتمثل في: "أخذ(الفاعل/الموضوع)، أعطى (مرسل/مرسل إليه)

هيمن (فاعل/معارض)".[4]

و يذكرغريماس:"إن توجه الذات إلى الموضوع(ذ← م)هو من نمط غائي يستخدم كتصبيغ للقدرة، وإن علاقة المرسل بالمرسل إليه(م ← م)هي من نمط تعليلي يستخدم للمعرفة، في حين يصلح المساعد والمعارض (م ← م) كتصبيغ للإرادة"[5]، وعلى هذا الأساس تأتلف العوامل الستة في ثلاث علاقات هي :

---

[1] - المرجع السابق ص339.
[2] - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي، ص34.
[3] - جوزيف كورتيس، مدخل الى السيميائية السردية والخطابية، ص105.
[4] - آن إينو و آخرون، السيميائية، الأصول، القواعد، والتاريخ، ص169.
[5] - سامي سويدان، في دلالية القصص و شعرية السرد، دار اللآداب، بيروت، لبنان، ط1, 1991ص325.

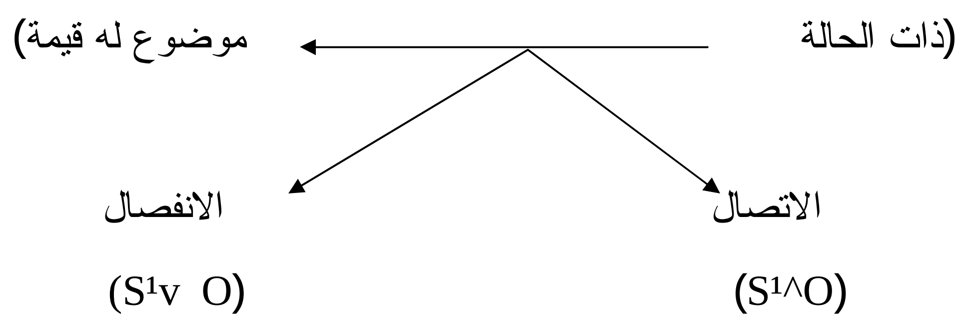
***ــ العلاقة:الذات (الفاعل) والموضوع:**

تعد هذه العلاقة بؤرة النموذج العاملي وتمثل العنصر الحيوي فيه لأنها تستقر في وضع غائي، و هي ذات طبيعة استتباعية تحدد نوع الصلة بين الفاعل و الموضوع بحيث"تجمع هذه العلاقة بين من يرغب (الذات)، و ما هو مرغوب فيه"[1] .فوجود الأول يستدعي وجود الثاني و هذا ما يوضحه غريماس(Greimas) بقوله:"الصلة بين العاملين تعالقية وهذا من شأنه إتاحة النظر إليهما من حيث أن أحدهما موجود دلاليا للآخر

و به"[2]، و تمر علاقة الرغبة بين الذات (الفاعل) و الموضوع بالضرورة عبر ملفوظ الحالة(énoncé d'état)الذي يجسد الاتصال أو الانفصال، كما تمر بعد ذلك عبر ملفوظ الإنجاز(énoncé de faire) الذي يجسد تحولا اتصاليا أو انفصاليا، فإذا كانت الذات في حالة انفصال عن موضوع القيمة فإنها ترغب في الاتصال، والعكس صحيح إن كانت في حالة اتصال فإنها ترغب في الانفصال، وقد ميز جان ميشال آدام(Jean Michel Adam)استنادا إلى أعمال غريماس(Greimas) بين تناوبين:"

- ــ تناوب على مستوى ملفوظ الحالة:"[3]

ملفوظ الحالة



[1] - د حميد حمداني، بنية النص السردي ص24.
[2] - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي ص34، نقلا عن Langage N31 p19.
[3] - د حميد الحمداني، بنية النص السردي، ص24.

ويقرأ على النحو التالي:إن ملفوظ الحالة لابد أن يحتوي على ذات الحالة (sujet d´état S1)، وهي ذات تتجه ← نحو موضوع له قيمة(Objet de valeur O)، وهذا الاتجاه هو الذي يحدد رغبة الذات، وتتناوب ملفوظ الحالة حالتان:فإما أن تكون ذات الحالة في حالة اتصال مع الموضوع(S1^O)، وإما أن تكون في حالة انفصال عن

الموضوع(S1vO).

- تناوب على مستوى ملفوظ الانجاز:

ملفوظ الانجاز

ذات الانجاز(S2)

↙ ↘

تحول اتصالي تحول انفصالي

$$(P.N=FT(SF)\Rightarrow[S1\vee o)\rightarrow(S1\wedge o)]$$

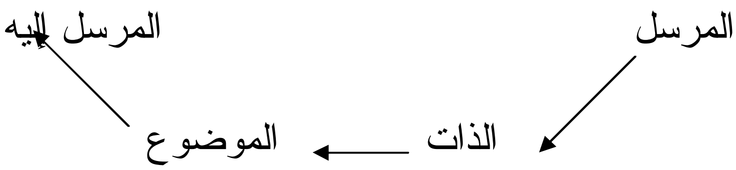
$$(P.N=FT(SF)\Rightarrow[S1\wedge o)\rightarrow(S1\vee o$$

ويقرأ هذا التناوب الثاني على الشكل التالي إن ملفوظ الإنجاز (E.F) يمكن أن يأتي في شكل تحول اتصالي، فيكون البرنامج السردي (P.N) مجسدا في الإنجاز المحول (TF.)وممثلا بذات الإنجاز (S.F)، عاملا على تحويل حالة الانفصال إلى حالة الاتصال

وهكذا نرى أن علاقة الرغبة بين الذات و الموضوع تمر بالضرورة عبر ملفوظ الحالة الذي يجسد الاتصال أو الانفصال، كما تمر بعد ذلك عبر ملفوظ الإنجاز الذي يجسد تحولا اتصاليا أو انفصاليا.

***- العلاقة: مرسل ــ مرسل اليه:**

تعد هذه الثنائية الزوج الثاني من العوامل الذي يدخل في تشكيل النموذج العاملي، و تتأتى العلاقة بينهما إلى قيادة المرسل للمرسل إليه، بحيث تبوئه سلطة الزعامة والقدرة على على إصدار الأوامر و الأحكام في إطار علاقة التواصل التي تجمعهما، والتي تمر بدورها عبر محور الرغبة، ففهم علاقة التواصل ضمن بنية الحكي ووظيفة العوامل، يفرض مبدئيا أن كل رغبة من لدن ذات الحالة، لابد أن يكون وراءها محرك أو دافع، الذي يسميه غريماس (Greimas) مرسلا، كما أن تحقيق الرغبة لا يكون ذاتيا بطريقة مطلقة، ولكنه يكون موجها أيضا إلى عامل آخر يسمى مرسلا إليه وهذا ما تمثله الترسيمة التالية:"[1]



إن المرسل هو الذي يجعل الذات ترغب في شيء ما، والمرسل إليه هو الذي يعترف لذات الإنجاز بأنها قامت بالمهمة أحسن قيام ومن هنا فعلاقة التواصل لها صلة وثيقة بعلاقة الذات بالموضوع.وبتعبير غريماس(Greimas)الاصطلاحي فإن علاقة المرسل بالمرسل إليه موجهة من "الكل إلى الجزء، فيما نجد علاقة المرسل إليه بالمرسل في اتجاه معكوس مناقض له أي من الجزء إلى الكل"[2]، فوظيفة كل منهما هي تأطير مسار المرسل إليه/الذات، حيث يكسبه المرسل قيما موجهة تؤهله لاكتساب الكفاءة اللازمة لإنجاز الأداء المكلف به، والذي تقييمه في النهاية من قبل المرسل نفسه.

[1] د حميد حمداني، المرجع السابق ص26، نقلا عن J M Adam ,le récit p61.

[2] A J.Greimas,J Courtés,dictionnaire raisonné p94

*- العلاقة :مساعد ـــ معارض:

تنتظم هاتان الوحدتان العامليتان في سياق العلاقة بين الفاعل(الذات) والموضوع، "تتحدد وظيفة المساعد في تقديم العون للفاعل بغية تحقيق مشروعه العملي والحصول على الموضوع، فيما يقوم المعارض حائلا دون تحقيق الفاعل موضوعه وعائقا في طريقه"[1]، و بهذا يعتبر المساعد قوة مؤيدة للفاعل، إذ يتدخل لتقديم المساعدة له بغية تسهيل السبل لبلوغ أهدافه، فيما يقوم المعارض بقوة مناوئة له، تعترض طريقه فتخلق له جملة من العوائق المعرقلة لاتصاله بموضوع القيمة المرغوب فيه، وهنا تنشأ علاقة الصراع، و ضمن علاقة الصراع يتعارض عاملان"أحدهما يدعى المساعد(Adjuvant)

و الآخر المعارض (L'opposant).الأول يقف إلى جانب الذات، و الثاني يعمل دائما على عرقلة جهودها من أجل الحصول على الموضوع"[2]، حيث"تتميز هذه العلاقة بخلق الحواجز و العراقيل، بين كل من رغبة(إرادة) الفاعل وعلاقة التواصل(نقل موضوع القيمة)، لنجد العامل المساعد مساندا، يدفع الفاعل إلى ممارسة و مواصلة ما كلف به، من دون يأس أو خضوع أو استسلام، بينما يظهر المعارض ليقف دون ذلك، جاهدا لتوريط الفاعل في مأزق، تشكل حدة في الصراع وزيادة في التوتر"[3]، وينتج عن هذه العلاقة"إما منع حصول العلاقتين السابقتين(علاقة الرغبة و علاقة التواصل)وإما العمل على تحقيقهما"[4] .

وبهذا يتم رصد الوحدات المؤسسة للنموذج العاملي من حيث هو نظام قائم ــ كسائر الأنظمة ــ على وحدات متعالقة و ثابتة، وهو نموذج يتكون ــ كما رأينا ــ من

1 - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي، ص40.
2 - د حميد حمداني، بنية النص السردي، ص 26.
3 - J M Adam,le récit, puf, paris, p 60- 61
4 - د حميد حمداني، بنية النص السردي، ص26.

ستة عوامل رئيسية، هي التي تشكل البنية المجردة الأساسية في كل حكي أو خطاب، ترتبط و تتعالق فيما بينها مشكلة النظام العاملي الغريماسي.

2ــ الــبــنــيـــة الـســــرديــة:

أــ الحالات والتحويلات:

يقوم السرد في أساسه على التحول من طور إلى طور، و الانتقال من حال إلى حال، وهذا ما يفسر الانتقال من النظام الثابت للنموذج العاملي إلى الحركة و الإجراء، ويعني ذلك توظيف مختلف العلاقات بين الوحدات المؤسسة له"نسلم في البداية بأن البنية السردية في النص بوصفها للحالات و التحويلات المتنوعة التي تؤطر العلاقات القائمة بين العوامل"[1]

ذكرنا سابقا أن العلاقة بين الفاعل (الذات) والموضوع هي من طبيعة تلازمية متراوحة بين الاتصال والانفصال، وهذا ما يعني الانتقال من حالة إلى أخرى، فالحالة "في النظرية السيميائية تعبر عن الكينونة أو الملك وللدلالة على العلاقة /الوظيفة التي تصل الفاعل بالموضوع"[2]، ومن هذا فالتحليل السردي أساسه التمييز بين الحالات والتحويلات، بمعنى التمييز بين الحالة للدلالة على الكينونة أو الامتلاك وبين الفعل المنجز، لذلك "يقوم التحليل السردي للنص بأتّباع ترتيب ملفوظات الحالة وملفوظات الفعل."[3] و من الواضح أن التمثيل المنطقي للنص السردي "ينهض على ملفوظ الحالة الذي يستعمل للدلالة الموجودة بين الفاعل وموضوع القيمة [صلات (وصلات وفصلات) الفاعل بـــ/عن الموضوع]"[4]، وبما أن العلاقة بين الذات والموضوع من طبيعة فصلية أو وصلية فان ذلك ينشئ ملفوظا سرديا "فإن طالعنا ملفوظ يتضمن تحولا

[1] - رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، ص 1.
[2] Groupe d'entrevernes ,analyse sémiotique des texte, p u l, lyon ,1984, p 14
[3] Ipid p14
[4] - د رشيد بن مالك، المكون السردي في النظرية السيميائية، موقع فيلادلفيا الثقافة، ص90.

في علاقة العاملين من الاتصال إلى الانفصال أو العكس، سميناه ملفوظا سرديا أساسيا"[1]، وهذا ما يبرز نوعين من الملفوظات: ملفوظات الحالة وملفوظات الفعل، كما يظهر نوعان من الفواعل (الذوات):فاعل الحالة وفاعل الفعل.

ــ مفهوم ذات الحالة وذات الفعل:

يقول غريماس (Greimas) وكورتيس (J.Courtés) "إن الذات تبدو في الملفوظ الأساسي كعامل تتحدد طبيعته وفق الوظيفة التي يحتلها"[2]، وحسب جان كون" توجد الذات في مجموعة أفعالها وكلماتها وسلوكاتها، وتتجسد في شبكة من الدوال"[3]، ومن هذا فيمكن اعتبار ذات الحالة من خلال موقعها من الموضوعات (اتصال أو انفصال) كمالكة للقيم، في حين تكون ذات الفعل في قيامها بالفعل تقوم في الوقت نفسه بعملية الاتصال أو الانفصال التي تخص ذات الحالة، من هنا يمكن فهم ذوات الحالة في وجودها السيميائي بكونها تمتلك مواصفات (أي صفات و نعوت)، "فهي لا تتحدد كذوات إلا من خلال علاقتها بموضوع القيمة وفي مشاركتها في عوالم أخلاقية متنوعة، وموضوعات القيمة هي بدورها ليست كذلك إلا إذا كانت هدفا للذوات، وبتعبير آخر ليس هناك تعريف ممكن للذوات دون وضعها في علاقة بالموضوع، وكذلك الشأن بالنسبة للموضوعات "[4]، نفهم من هذا أن العامل في النظرية السيميائية يتفرع إلى فاعلين اثنين تقوم بينهما فروق جوهرية "ينخرط الفاعل الأول (فاعل الحالة) في علاقة الصلة (فصلة أو وصلة) التي تحكمه بموضوع القيمة، أما الفاعل الثاني (الفاعل المنفذ) الذي يتمظهر من خلال العمليات التحويلية التي يضطلع بها، فإنه يحيل على كيان ديناميكي قادر لا على امتلاك المؤهلات فحسب بل على ممارسة الأفعال"[5]

[1] - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي، ص41.
[1] - Greimas ,dictionnaire raisonné, p36
[3] - السعيد بو طاجين، الاشتغال العاملي، ص16.
[4] - طرائق تحليل السرد الادبي، منشورات اتحاد كتاب العرب، الرباط، ط1، ص190.
[4] - Greimas, dictionnaire, raisonné, p382

ــ ملفوظ الحالة وملفوظ الفعل:

إن الانتقال من الهيئة النظامية للنموذج العاملي إلى الحركية والإجراء، يعني توظيف العلاقات المثارة سابقا، انطلاقا من العلاقة الرابطة بين الذات (الفاعل) والموضوع، والتي ــ كما رأينا ــ تتراوح بين الوصل والفصل، نجد بان ذات الحالة تأخذ شكل ملفوظ حالة تتحدد وظيفته من خلال العلاقة السابقة (الذات بالموضوع)، ويمكن صياغته رمزيا كما يلي: (ف^ م) أو(فVم) وتكمن أهمية هذه الصيغة في أنها تسمح بتحديد كل عامل داخل الترسيمة السردية في لحظة ما من السرد، لمجموع ملفوظات الحالة التي تميزه، وخلافا لملفوظ الحالة، "يستمد ملفوظ الفعل علة وجوده من التحويل، ويشتغل ضمن مسار سردي يبدأ بوضع أولي يفضي إلى وضع نهائي. يضمن الفعل في هذا السياق الانتقال من حالة إلى أخرى وفق التتابع والاختلاف"[1].

إن التحويل بوصفه انتقالا من حالة إلى أخرى يأخذ شكلين متمايزين:

أ ــ التحويل الوصلي: يحقق الانتقال من حالة يكون فيها الفاعل منفصلا عن موضوع القيمة إلى حالة يدخل فيها في وصلة به، ونصوغه رمزيا كالآتي:

(فVم) ← (ف^م).

ب ــ التحويل الفصلي: ينتقل فيه الفاعل من حالة وصلة بالموضوع إلى حالة فصلة عنه، ونرمز إليه بما يلي:(ف^م) ← (فVم).

وتأسيسا على هذا يمكن أن نصوغ أربعة نماذج من التحويلات التي تحكم علاقة الفاعل بالموضوع، وهو ما سنراه لاحقا.

ومن هذا نلاحظ أن وجود ملفوظات الفعل لدليل واضح على التحويل وتغيير مجرى ملفوظات الحالة، لتكون ما سماه غريماس(Greimas) بالبرامج السردية، وبناء على ما سبق يتضح أن الفاعل وموضوع القيمة، يعتبران عنصرين أساسيين في تشكيل

[1] - د. رشيد بن مالك، المكون السردي في النظرية السيميائية، ص90.

البرنامج السردي، يستمد الأول وجوده من العلاقة التي يقيمها مع القيمة المستهدفة، "ومن ثم فان الاقتراب المنهجي من المفهوم الذي يحمله مفهوم القيمة يعد أمرا بالغ الأهمية "[1]، لذا وجب الوقوف عند هذه المحطة الدلالية لتعميق المفاهيم.

- *مفهوم القيمة*:

يحمل مصطلح القيمة مفاهيم جد متنوعة، وقد استعمل في مجالات علمية مختلفة، في الألسنية، المنطق، الاقتصاد، علم الجمال، علم الاجتماع...الخ.وانطلاقا من هنا، نجد أن القيمة تأخذ عدة مظاهر.

-القيمة في الدراسات اللسانية:

يرجع الفضل إلى فرديناند دوسوسير (F.D Saussure) الذي أدخل مصطلح القيمة الألسنية، حيث طرح مسألة الدلالة على أساس القيم المناسبة والتي تتحدد في علاقاتها ببعضها البعض بقوله:"لا تجسد المعنى إلا الفوارق الملتقطة بين الكلمات"[2]، ففهم المسألة الدلالية الخاصة بالنظام السيميائي للقيمة يتم بإدراك أصولها في اللسانيات، من خلال كتاب"دروس في اللسانيات العامة"لفرديناند دوسوسير، الذي كان له عميق الأثر في إضفاء المشروعية العلمية على الممارسة الدلالية. والقيمة اللسانية في مظهرها المفهومي من وجهة نظره (سوسير) تبدو محكومة في مجملها بهذا المبدأ المفارق، ذلك أنها تتشكل دائما من:"[3]

ـــ شيء متباين يمكن أن يبدل بشيء تحدد قيمته بعديّا.

ـــ بأشياء متشابهة قابلة للمقارنة بتلك التي قيمتها قيد الفحص.

---

[1] - د. رشيد بن مالك، المكون السردي في النظرية السيميائية، ص91.

[2] - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي، ص248.

[3] - رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، ص7.

وعليه فإن القيمة ترتهن في وجودها إلى هذين العاملين.

أما القيمة في مظهرها المادي لا تتجلى في الكلمة بوصفها صوتا لذاته بل في الفوارق الصوتية التي تمكن من تمييز هذه الكلمة عن الكلمات الأخرى.ومن هنا فإن اللغة لا تغطي الأفكار والأصوات السابقة في الوجود على النظام اللساني، بل تتضمن فقط الفوارق المفهومية المستمدة من هذا النظام، وعن القيمة في المجال الإقتصادي فهي تستعمل للدلالة على ما يسند إلى العتاد الإقتصادي، ويضمن تناقله بين المتعاملين من خلال الأساليب الإقتصادية، من تبادل وتفاوض والهبات و الهبات المضادة، بالاستناد إلى قانون العرض والطلب.من هذه المنطلقات تتحدد اللغة داخل مجتمع بوصفها نظاما منتجا فهي تنتج المعنى بفضل تشكلها الدلالي و بفضل الشفرة التي يحتكم إليها هذا التنظيم".[1]

إن السيميائية في اقترابها من الموضوع و القيمة تقوم بتوليفة هذه المفاهيم، وتولي أهمية قصوى إلى تشكل المعنى في الخطابات، وتسلم بأن ضبط تدوير القيم بين الفواعل، يتم في صلب البنيات السردية. واستنادا إلى المنطلقات اللسانية السابقة يشير غريماس (Greimas) في كتابه "في المعنى" إلى أن مزج مفهومي الموضوع و القيمة كلما جرى الحديث عن الحكايات الفولكلورية، إذ تتماهى القيمة مع الموضوع المرغوب، حيث تخلص نظريته إلى أن "الموضوع لا يدرك في استقلاليته بل في تحديداته، وأن هذه التحديدات ترتسم في المظهر الخلافي للموضوع الذي يؤسس قيمته اللسانية، ويعد في الوقت ذاتها سنادا مرهونا بوجود القيم.تأسيسا على هذا، فإن التقاط المعنى لا يلقى في طريقه إلا القيم التي يرتهن إليها الموضوع في وجوده". [2]، " لقد ساد الاعتقاد بأن القيمة تنصهر في الموضوع لتشكل مفهوما واحدا كلما جرى الحديث في

[1] - عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الادبي وقضايا النص، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2006، ص101.
[2] - رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، ص9.

أثناء معالجة سردية عن موضوع الافتقار أو الرغبة، ومن الواضح أن الشكل الصوري للموضوع هو بمثابة الضمانة على حقيقته، وأن القيمة تتماهى في الموضوع الذي ترغب في الاستحواذ عليه الأطراف المتصارعة في نص سردي معطى"[1].

ب ــ البرنامج السردي:

استنادا إلى ما سبق، إن ملفوظات الفعل بوصفها تحويلات تحكم ملفوظات الحالة وتشكل في الوقت نفسه البرنامج السردي. ويمارس هذه التحويلات المتموضعة بين حالات الفاعل المنفذ (المنجز) بإحداث تغيير يجسد انتقاله من علاقة إلى أخرى، تنهض عليها حالتان متمايزتان وصلية وفصلية، يملك فيها الفاعل موضوع القيمة أو يفقده. يتم الامتلاك في البرنامج السردي الأول من خلال عملية الانتقال من وضعية افتقار إلى تعويضه، ويعبر البرنامج السردي الثاني عن وضعية يفقد فيها الفاعل موضوعه. من هذه المنطلقات تتحدد"البرامج السردية على أنها جملة الانجازات الهادفة إلى تحقيق تحول رئيسي"[2]، فهي وحدات سردية مستمدة من تركيب عاملي وارد في أشكال الخطاب "يعمل على وصف نظام البرامج السردية التي تحوي تلك الحالات والتحويلات المتمفصلة والمتدرجة وفق تسلسل منطقي في البنية السردية"[3]، فالبرنامج السردي تصوّر مجرد قابل للتجسّم بطرق مختلفة، لكن جوهر العلاقة (اتصال أو انفصال) قائم دوما"[4]، إن الانتقال من حالة إلى حالة يستلزم اللجوء كما رأينا إلى عملية التحويل، ويتم هذا التحويل بواسطة فاعل محول أو ذات فاعلة" فالتحويل لا يمكن أن يحصل إلا باستحضار ميتاذات منجز، لا تتضح وضعيته الشكلية إلا في إطار ملفوظ فعل من نمط: ت (تحويل)(ف1 ← م1).حيث ف1هو الذات المنجزة للتحويل، و م1هو ملفوظ

---

1 - المكون السردي في النظرية السيميائية، ص93.

-2 نادية بو شفرة، مباحث في السيميائية السردية، دار الامل، تيزي وزو، 2008، ص54.

Groupe d'entreverns, analyse sémiotique des texte, p16 - 2

4 - الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة، دار الجنوب للنشر، تونس، 2000، ص 93.

الحالة الذي ينتهي إليه التحويل" [1]، بهذا يتحدد البرنامج السردي في الصياغة الرمزية التالية:"[2]

ب س:و(ف1) ⇐ [(ف2Λ م)←(ف2Vم)].

أو: ب س:و(ف1)⇐[(ف2Vم)←(ف2Λم)].

وبالتالي يفهم من البرامج السردية المختصرة في (ب س) "هي وحدات بسيطة ولكن قابلة للتوسع والتعقيد الشكليين دون أن يغير ذلك شيئا من وضعيتها كصيغ تركيبية قابلة للتطبيق على الأوضاع السردية الأكثر تنوعا"[3]، وإذا كان ف1 وف2 في مستوى التمظهر العاملي يحيلان على نفس الشخصية يكون الفعل انعكاسيا "تلاحظ أن الفعل يوصف بأنه انعكاسي إذا كان الفاعل المنجز لعملية التحويل هو الفاعل بالوضع الموصول بالموضوع في نهاية العملية، وبأنه متعد إن كان مختلفا عنه"[4]، إذ يكون متعديا في الحالة العكسية.

وتتضاعف البرامج السردية، بظهور ذوات أخرى مهتمة بموضوع القيمة، أو بإدخال مواضيع قيمة جديدة، وتظهر بذلك أنواع جديدة من الانتقال مختلفة باختلاف الحالة، سواء كان ذلك بوجود فاعل آخر أوموضوعات أخرى. وقد تم التحليل السابق على افتراض وجود فاعل واحد (ف1) في علاقة بموضوع واحد "فإن أدرجنا فاعلا ثانيا (ف2) معنيا بالموضوع نفسه غير القابل للاشتراك فيه تبينا توسعا في أنساق العلاقات"[5]، وهذا ما تميزه الصيغ التجريدية التالية:

1 ـ (ف1 Λ م V ف2).

2 ـ (ف1 V م Λ ف2).

---

[1] - جوزيف كورتيس، مدخل الى السيميائية السردية و الخطابية، ص112.

[2] - نادية بو شفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص55.

[3] - جوزيف كورتيس، مدخل ىالى السيميائية السردية و الخطابية، ص30.

[4] - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي، ص42.

[5] - المرجع السابق، ص43.

فعندما ينتقل الموضوع من ملكية أحد الفاعلين إلى ملكية الآخر، تتحول العلاقة الوضعية في اتجاهين متقابلين، فيصبح الفاعل بالوضع المتصل بالموضوع في البداية ينفصل عنه في نهاية البرنامج السردي، والذي انفصل عنه في بدايته يتصل به في النهاية. ونحصل بذلك على الصياغة التالية:

1ـ (ف1 Λ م V ف2)←(ف1 V م Λ ف2).أو: 2ـ (ف1 V م Λ ف2)←(ف1 Λ م V ف2).

وتسمى هذه العملية بـ**الربط الإبدالي** الذي يحدد "تضايفا منطقيا ضروريا لملفوظي وصلة وفصلة، يخص ذاتين مختلفتين مهتمتين بنفس الموضوع"[1]، وستخلص غريماس (Greimas) مما سبق نتيجة مفادها "إن خطابا سرديا على جانب من البساطة يتأسس على مشروعين متلازمين. ومن ثم يجوز للراوي أن يركز على أحدهما جاعلا الآخر ضمنيا في اتجاه معكوس"[2]، ويجري انتقال الموضوع من فاعل إلى آخر في عالم منغلق محكوم بقواعد تعاملية قارة، فإذا امتلك فاعل موضوعا أفضى ذلك إلى سلبه من فاعل آخر يسمى فاعلا نقيضا، كما يؤدي سلب موضوع من فاعل إلى امتلاك فاعل آخر له ويتم في حركة دائرية مغلقة.هذا البرنامج المضاعف في شكله البسيط"لا يمكنه بداهة أن يشتغل إلا في نوع من الكون المغلق بحيث ما يعطى للواحد يكون على حساب الأخر، وما يؤخذ من الواحد يكون في صالح الأخر، يكون لدينا آنيا تحويل وصلي (مصور بالاكتساب) لـــ ف1، وتحويل فصلي (مصور بالحرمان) لـــ ف2"[3]. إن في اتصال الفاعل بموضوع ما يفرض بالضرورة انفصال فاعل أخر عنه، وهنا يبرز الفاعل المهيمن والفاعل المهيمن عليه الذي يسمى بالفاعل المضاد، وهذا ما أكده غريماس (Greimas) في قوله: "نخص بالذكر إن كل محكي قائم على الجدل في

1 - جوزيف كورتيس، مدخل الى السيميائية السردية و الخطابية، ص114.
2 - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي، ص44.
3 - جوزيف كورتيس، المرجع السابق، ص 115 - 116.

إطار تحقيقه لبنية استبدالية، تمكن من حضور عامل وعامل ضديد له، يسير وفق برنامج سردي مزدوج، حيث تتواجد الملفوظات ــ في مجملها أو في جزء منها ــ متجاورة ومتلازمة"[1]، وبهذا نحصل على وجهين من وجوه التحويل، تحويل اتصالي ويتجسد في صورة الامتلاك الذي "يمثل التحول الذي يتم على إثره الاتصال بين الفاعل والموضوع"[2]، وتحويل انفصالي نتمثّله في صورة الاستلاب أو ما يسمى بالفقدان" ويمثل التحويل الذي تقوم عليه الفصلة بين الفاعل وموضوعه وذلك انطلاقا من الوصلة السابقة"[3].

وباستخدام مفهوم الفعل الانعكاسي والفعل المتعدي يمكننا إحصاء أنواع انتقال أربعة، تنتظم في:

أ ــ نوعان من التحويل الوصلي: والذي يؤدي إلى الاتصال:

*ــ **الاكتساب**: ويكون في حالة الفعل الانعكاسي إي أن الفاعل القائم بعملية التحويل هو نفسه الفاعل بالوضع الموصول بالموضوع في النهاية **(ف = ف2).**

* ــ **المنح**: ويحصل إذا كان الفعل متعديا، ومعناه أن الفاعل المنجز للفعل هو غير الفاعل بالوضع المتصل بالموضوع في النهاية **(ف ≠ ف2).**

ب ــ نوعان من التحويل الفصلي الذي يؤدي إلى الانفصال: ويتمثلان في:

*ــ **التنازل**: وينتج إذا كان الفعل انعكاسيا، ويفترض في ذلك أن القائم بعملية التحويل هو نفسه الفاعل بالوضع**(ف = ف1).**

* ــ **الانتزاع** (أو السلب): ويحصل إذا كان الفعل متعديا، أي أن القائم بفعل التحويل هو غير الفاعل بالوضع المنفصل في النهاية عن الموضوع **(ف ≠ ف1).**

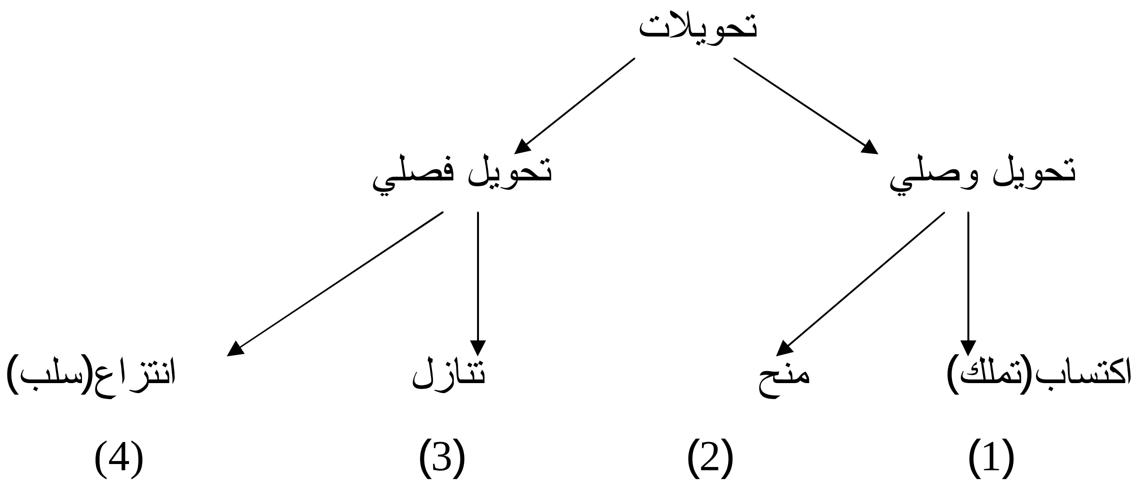
ويمكن لهذه التحويلات الأربعة أن تمثل من المنظور النظمي في الرسم الآتي:

---

4 - A JG reimas,moupassant,la sémiotique de du texte,exercices pratiques ,seuil, paris ,1976 ,p 163

2 - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي، ص15.

3 - المرجع السابق ص 145.



وترتبط كل هذه الأنواع من الانتقال بمفهوم الاختبار و كذا الهبة، واستنادا إلى هذه الأصناف خلص غريماس (Greimas) إلى تحديد مفهومي **الهبة** و**الاختبار** بقوله: "لو حدّدنا باسم الاختبار، التحويل الذي يعطي المجال لتملك وانتزاع متضايفين، وبالهبة ذلك الذي ينتج بالتضامن منحا وتنازلا، نحصل على الصورتين التي يتمظهر بهما تواصل القيم في السطح"[1]، فالأولى (الهبة) كسب النص السردي طابع الاتزان، والاختبار سمة التوتر والصراع و يمكن تلخيص هذا في الجدول الأتي: "[2]

	امتلاك	فقدان
اختبار	اكتساب	انتزاع
هبة	منح	تنازل

ويزيد غريماس(Greimas) في توضيح مفهوم الاختبار انطلاقا من تصور بروب (V Propp) لمورفولوجية الحكاية فيبين أنه يجري على مراحل ثلاث أساسية هي "الاختبار الترشيحي الذي يكتسب البطل خلاله الكفاءة وطاقة الانجاز، يليه الاختبار

[1] - جوزيف كورتيس، مدخل الى السيميائية السردية، ص116.
[2] - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص26.

الحاسم وهو المصلح للافتقار، وأخيرا الاختبار الممجّد الذي تقع فيه معرفة البطل الحقيقي ومكافأته."[1] ومن هذا فالاختبار الأول (الاختبار الترشيحي أو التأهيلي) ينتهي في العادة باكتساب الفاعل القدرة المؤهلة لتحقيق الموضوع، والاختبار الذات الفاعلة مطابقا لما تم الاتفاق عليه بموجب العقد كوفئت الذات وإلا أنزل به العقاب. وفيما تكتسي هذه المرحلة مسحة معرفية، تكتسي المرحلتان الأوليتان مسحة عملية"[2].

تمت معالجة ــ فيما سبق ــ أنماط الانتقال المفترض حدوثها، حيث يتقابل فاعلان للظفر بموضوع قيمة واحد، ولأن حركية الموضوع قد تتعدى الصنف الواحد، وجب التطرق إلى أنواع العلاقات وذلك بإدراج موضوعين بين فاعلين اثنين هذا ما يحدث **عملية التبادل**.

التبادل: هي عملية من شانها أن تخضع الفاعل في علاقة اتصال بموضوع (م1) ومنفصل عن الموضوع الثاني (م2) في الوقت ذاته أو العكس كما تبينه الصياغة الرمزية الآتية:"[3]

(م1 Λ ف1 V م2) أو (م1 V ف1 Λ م2).وينتج عن عملية التحويل السردي ما يلي:

ف ت(ف) ⇐[(م1 Λ ف1 V م2) ←(م1 V ف1 Λ م2)].

انفصال الفاعل عن الموضوع الأول واتصاله بالموضوع الثاني، بعد أن كان منفصلا عنه و متصلا بالأول قبل عملية التحويل والعكس صحيح في الافتراض الثاني بعد فعل التحويل، كما هو موضح في الصياغة التالية:ف ت (ف)⇐[(م1 V ف1 Λ م2)←(م1 Λ ف1 V م2)].وفي حال انتصاب فاعل ثان متصل بأحد الموضوعين، ومبادلته إياه بموضوع أخر بحوزة فاعل أول نحصل على الصياغة التجريدية التالية:

[1] - سمير المرزوقي، جميل شاكر، مدخل الى نظري القصة، الدار التونسية للنشر، ص 71.
[2] - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي، ص48.
[3] - المرجع السابق، ص49.

ــ الحالة الأولى: (م1 V ف1 Λ م2)، (م1 Λ فـV2 م2).

ــ الحالة الثانية:(م1 Λ ف1 V م2)، (م1 V ف2 Λ م2)

وهذا بعد عملية التحويل طبعا، و"تعد هاتين العمليتان التحويليتان إنجازا ثنائيا منبنيا على الهبة، ويستوي كل من الفاعلين قائما بفعل التحويل وفي الآن ذاته فاعلا حاليا"[1].

ومن الواضح إن البرامج السردية السابقة التي تستمد حركتيها من طاقات يملكها الفاعل تتبني على أساس رسم سردي"ينظم تعاقب الملفوظات في شكل أطوار أربعة، متماسكة البناء ومرتبطة فيما بينها ارتباطا وثيقا خاضعا لمبدأ التدرج و الافتراضات المنطقية: التحريك، الكفاءة، الأداء، والتقويم"[2].

ويكتسي البرنامج السردي في كليته بعدين اثنين هما: "بعد عملي وبعد معرفي"[3]، يبسط البعد العملي في البنية الفعلية المحصورة بين الثنائية: الكفاءة والأداء، بينما يقع البعد الأخر في البنية التعاقدية بين التحريك والتقويم. وفي إطار التحليل السردي للكشف عن سيميائية الخطاب يستوقفنا "إنجاز فاعلين (بمعنى المحققين لجملة من التصرفات المبرمجة) هم في حاجة امتلاك أو اكتساب كفاءة ضرورية لتحركاتهم : يتشكل إذا المسار السردي للفاعل من تركيبين يحملان اسمي الكفاءة والأداء"[4].

1- Groupe d'entreverne, analyse sémiothque des textes, p 27. [1]

[1] رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، ص26.

[3] - نادية بو شفرة، مباجث في السيميائية السردية، ص59.

4- A J Greimas,Jcoutés, dictionnaire raisonné, p54 [-4]

1ــ الكفاءة:

تستدعي الكفاءة ضرورة تحقيق الانجاز أو الأداء من قبل الفاعل العملي المتميز بملكة الفعل في بعض تجلياته، ويهدف هذا الطور إلى إبراز "كينونة الفعل" و"تتشكل كفاءة الفاعل المنفذ بامتلاكه لشروط، بدونها يتجمد النشاط المقيد في بداية التحريك، إن الفاعل المنفذ يجد نفسه هنا في علاقة مع القدرة على الفعل ومعرفة الفعل، يعني ممتلكا للوسائل التي تمكنه من القيام بالفعل"[1] وتسمى هذه التجليات بموجهات الفعل، وتتمثل فيما يلي:ــ معرفة الفعل، ــ القدرة على الفعل، إرادة الفعل، ووجوب الفعل، وإذا تعلق الأمر بموجهات الفعل فإن المحددة للكفاءة منها وافرة العدد ولا يمكن حصرها، فقد "حدّ غريماس منها وأرجعها ــ استجابة لما يتطلبه المنهج الاستقرائي القائم على إخضاع المادة المشتتة إلى قواعد قليلة جامعة ــ إلى ثلاثة رئيسية، وأضاف إليها أتباعه واحدا جاعلين إياها أربعة، وهي:

الشعور بوجوب الفعل، والرغبة في الفعل، والقدرة على الفعل، والمعرفة بالفعل"[2]. ومن هذا فإن الاهتمام بمسألة "مكيفات الفعل يؤدي"إلى دراسة كفاءة القائم بالفعل، إن كانت بإرادته، أم بقدرته، أم بمعرفته، أم بهذه المقومات جميعا.

2 ــ الأداء:

يعمل هذا الطور على توضيح فعل الكينونة، يفضي الحدث الذي يقوده الفاعل المنفذ إلى تحويل الحالة، ويرتبط فعل الفاعل على هذا الأساس بــــكينونة الوضعية، في هذا الطور أيضا يدخل الفاعل المنفذ في علاقة مع تحويل، يستند بدوره إلى علاقة بين فاعل الحالة وموضوعه."

1 - ان اينو و اخرون، السيميائية، الاصول، القواعد، والتاريخ، ص236 .
2 - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي، ص54.

ج ـ نظام مكيفات الفعل:

إن دراسة مكيفات الفعل تسمح بتدقيق الترسيمة السردية العاملية بإعطائها انتشارا أوسع، و إمكانيات توليفية جديدة في بناء تركيب سردي سطحي، إذ يمكن أن ترتبط المكيفات بالوحدات المنفصلة التي هي العوامل حيث "الإرادة توافق المحور (ذات/ موضوع)، والمعرفة محور (مرسل/مرسل إليه)، والقدرة محور (المساعد/المعارض)"[1]، فالإرادة تميز محور الذات/الموضوع ترتكز على علاقة الحالة (وصلية، فصلية) بينما المعرفة والقدرة ينخرطان في مستوى الفعل التحويلي. ويمكن دراسة هذه المكيفات مثنى مثنى، بحسب لحظات الإضمار والتحيين والنتيجة، التي من شأنها أن تكشف عن مدى كفاءة الفاعل عبر كل مستوى من تلك اللحظات. حيث ترتكز مكيفات الإضمار على الثنائية(وجوب الفعل/إرادة الفعل)، ويشتمل مكيفات التحيين على الثنائية(معرفة الفعل/القدرة على الفعل)، وتحقق مكيفات النتيجة اللحظات الحاسمة التي يكشف فيها عن كفاءة الفاعل العملي.

وانطلاقا من المعطيات السابقة فمكيفات الفعل تحدد كفاءة الذات الفاعلة ذلك لان"الدور العاملي للفاعل يوصف ابتداء من تنسيق مختلف الموجهات ...إن بناء الصور بواسطة تنسيق الموجهات الأولية يسمح بوجود عدد لا يحصى من الفواعل العملية التي تظهر في المحكيات"[2].

ـ موجهات الإضمار:

وتتمثل في الثنائية (/إرادة الفعل/، و/وجوب الفعل/): وترتكز هذه الموجهات على قوة الفاعل بحكم استباقها للفعل، من خلال الوجوب والإرادة الممهّدين لتحقيق الفعل "هذه الجهات تسهم في تأسيس الفاعل تتأطر باللحظة التي يدرك فيها الفاعل أنه/**يجب**/

---

[1] - جوزيف كورتيس، مدخل الى السيميائية السردية والخطابية، ص123.

[2] - 1 Groupe d'entreverne, analyse sémiotique des textes , p37

أو/**يريد/** تنفيذ برنامج معطى. غير أن هذه القيم المدوزنة للفعل لا تأتي من العدم، فهي تستمد حضورها من وجود مرسل تسند إليه مهمة "[1]، على نحو ما نلحظه في الصياغة الإضمارية الآتية:

ف(ف2)$^{2\Leftarrow}$(ف1 V م ج)$^{\Leftarrow}$(ف1 Λ م ج).

ويتم تبليغ مواضيع الجهة وفق إحدى الإمكانيتين:

ـ تواصل انعكاسي: حيث يمثل القائم بالفعل الفاعل العملي والمرسل في الوقت نفسه، دون تدخل أي طرف أجنبي في البرنامج السردي(ف1 = ف2) "يتحقق التبليغ الانعكاسي بإسناد دوري المرسل والفاعل إلى الممثل الواحد الذي يأخذ على عاتقه ومن تلقاء نفسه، و بعيدا عن أي ضغط أو تأثير تنفيذ برنامج معطى"[3].

ـ تواصل متعدي: حيث تتدخل مجموعة من القائمين بالفعل، فتتعدد الأدوار ويتقاسمها هؤلاء، ويمتد بذلك البرنامج السردي (ف1 ≠ ف2≠ ف3) "و يصدر التبليغ المتعدي عن قوى فاعلة في كفاءة الفاعل"[4].*

ـ جهات التحيين:

وتشتمل على الثنائية (معرفة الفعل/القدرة على الفعل)، وتعد امتدادا لجهات الإضمار، لأنها تعرف بمدى قدرة الفاعل على إنجاز الفعل، نلحظ هذا الامتداد من خلال تطور سردي معلن عنه باكتساب الفاعل للقيم الموجهة قصد تحقيق العملية "إنها موجهات تأهيلية تحدد نوعية فعل الفاعل العملي واستطاعته في إرادة الفعل/معرفة الفعل، هي قدرة التنبؤ وبرمجة العمليات اللازمة لتحقيق برنامج سردي، تمثل/القدرة

---

[96] - 2 2-Ipid, p 35.

2 - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص 22.

A J Greimas Courtés, dictionnaire raisonné, p220 - 1

*يجسد القوى الفاعلة الإيعاز الذي يعد طورا أوليا في النظرية السيميائية ويستعمل للدلالة على فعل يمارسه إنسان على إنسان ممارسة تلزمه تنفيذ برنامج معطى.انظر المرجع السابق.

على الفعل/و/معرفة الفعل/كيفيتين أو ترشيحين مختلفين للفعل بحسب الموجه، يلتزم الفاعل العملي بفعل معين يتسم به"[1] يبدو التحيين مربوطا بقيمتين أساسيتين:

ــ **معرفة الفعل:** تتشكل هذه القيمة المتقدمة على الفعل من تراكم الأفعال و التجارب العديدة التي يكتسبها الفاعل على امتداد المحور الزمني، اكتساب قدرته على توقع وبرمجة العمليات الضرورية لتنفيذ برنامج معطى، و تتموضع هذه القيمة على الصعيد المعرفي.

- **القدرة على الفعل:** تكشف هذه القيمة عن الطاقات التي يملكها الفاعل وعن استعداده لتنفيذ الأداء.

ــ جهات التحقيق (النتيجة) الفعل:

تحقق هذه الموجهات اللحظات الحاسمة التي يكشف فيها عن كفاءة الفاعل العملي، من خلال أداء أساسي محول للحالات، حيث يظهر الفاعل المضاد بدل المرسل الذي يختفي في هذه الأجواء العصيبة، والمتميزة بالمواجهة بين الفاعل والفاعل المضاد، وفي هذه الإثناء تظهر قوة أحدهما من ضعف الآخر، باسترجاع ملكية موضوع القيمة الذي يشكل موضوع النزاع بينهما.

وانطلاقا من نفي موجهات الإضمار تمكن غريماس (Greimas) من صوغ نتائج رياضية، تُحيل على أنماط مختلفة لكفاءات الفواعل مؤداها ما يلي":[2]

- **/**إرادة الفعل**/ +/**وجوب الفعل**/=**تجسد هذه العملية الطاعة النشيطة للفاعل.
- **/**إرادة عدم الفعل**/+/**عدم وجوب عدم الفعل**/=**يكون الفاعل في حالة تردد.
- **/**عدم إرادة عدم الفعل**/+/**عدم وجود عدم الفعل**/=**يلتمس من الفاعل إرادة سلبية.

---

[2] - Groupe d'entreverne analyse sémiotique des textes, p35- 36

[2] - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي، ص57 - 85.

▪ /عدم إرادة الفعل/+/عدم وجود الفعل/=هذه العملية المقاومة النشيطة التي يتميز بها الفاعل دون غيره.

وتعد هذه المواقف من مكتسبات كفاءة الفاعل، فهي ضرورية للتطور السردي لأنها توضح اتجاهه، إن كان يرمي إلى السلب أو الإيجاب وتتواجد خاصة في المحكيات القابلة للانتقال والإقناع.

وقد حاول غريماس (Greimas) تصوّر أنماط الأعمال والعلاقات والأنظمة المتحكمة فيها والتحويلات المختلفة التي تحدث على مستواها وذلك من خلال البرامج السردية، ولم تكن غايته من ذلك دراسة نصوص معينة وإنما محاولة منه إيجاد نحو سردي، أي تصور نظام عام مجرد لفهم منطق حركة الأحداث داخل القصص، وقد كان منطلقه في إضاءة مفهوم المعنى، كان تصوره للبرنامج السردي على أنّه سلسلة:"[1]

1ـ التحريك: وتكون بالتكليف أو بإبلاغ الرغبة أو بالإحساس بالواجب، وهذا هو منطلق طلب الساعي لمسعاه.

2ـ الكفاءة: حصول الساعي على كفاءة لازمة لما يريده من فعل، وهذه الكفاءة قد تكون معرفة أو مهارة وقد تكون قدرة عملية.

3ـ الإنجاز:هو القيام بالعمل وإنجازه.

4 ـ الجزاء: إنهاء الفعل وما يتبعه من تقدير لقيمة فاعله.

ويعتبر عبد المالك مرتاض البرنامج السردي الذي توصل إليه غريماس، مجرد سلسلة من المفاهيم المعقدة حيث يحيل بعضها على بعض، ويتداخل بعضها ببعضها الأخر، لدرجة التيه والوقوع في إشكالات لا حصر لها، لقوله: "أن مثل هذه التقريرات لا تقوم لها قائمة في منظورنا، لأنها ترتبط بشبكة من المفاهيم الأخرى التي

[1] ـ الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة، دار الجنوب للنشر، تونس، 2000، ص93.

تحتاج أيضا إلى تقديم وتفسير. وفي بعض الأطوار لا يكون لها تفسير مقنع، فتظل معلقة في الهواء دون عناء. ويبدو أن غريماس أراد أن يعلمن السردانية (السرديات)، كما كان فعل ذلك فلاديمير بروب، فلم يفدها كثيرا."[1]

ويرى أيضا أنه لا يمكن للنصوص أن تذعن للقيود السيميائية وفق تصورات غريماس، فإنه قد يحدث "أن تنطبق نظريته على بعضها دون بعضها الآخر، فإن أطبقت عليها كل التقنيات، فتبا لها من نصوص وسحقا، إذ خضعت للقواعد وأذعنت للقيود" [2]

ورغم كل الانتقادات التي مست جوانب النظرية السيميائية الغريماسية، إلا أنها استطاعت أن تشق طريقها، في ميادين التحليل للنصوص السردية، كما أنها استطاعت أن تصوغ قواعد إجرائية فعالة، قادرة على الوصف والتفسير والتحليل بدرجة عالية من الدقة، وكان ذلك نتيجة حاجة مختلف فروع المعرفة لمثل هذه القواعد إذ نراها تصلح حاليا "لأن تكون وسيلة فعالة لاستقصاء أنماط متنوعة من عمليات الاتصال والتبليغ، إذ أنها أصبحت تمتلك عدة من المفاهيم المجردة، تتيح لها استيعاب ما هو مشترك بين كثير من هذه العمليات".[3]

[1] - عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، ط1، ص 246- 247.
[2] - المرجع السابق ص251.
[3] - عادل فاخوري، تيارات في السيمياء، دار الطليعة، بيروت، 1990، ص 8.

المقاربة التطبيقية:

1ـ المعايير السيميائية لتقطيع النصوص السردية.

2ـ دراسة سيميائية للبنية العاملية للحكايات:

ـ العلجوم و السرطان.

ـ الذئب وابن آوى و الغراب مع الأسد والجمل.

سنتناول في منهج التحليل المتبع للدراسة التطبيقية إبراز البنية العاملية في بعض النصوص الحكائية من مؤلف ‹كليلة ودمنة›، وذلك بمراعاة نظام التجزئة لأقسامها، من حيث هي مقاطع، وهو نظام قد يحتمل عدد لا متناهيا من ضروب التقسيم وأوجه التصنيف.على هذا الأساس، فإن كل تشريح نصي من تقطيع إلى تحليل، لا يستقيم بالضرورة على نمط واحد ووحيد، في مجال البحث العلمي الذي تصبو إليه السيميائية، من خلال تطلعاتها على أفق المعرفة بشتى فروعها، يجعلها لا تتميز بمعايير ثابتة تضبطها ولا بأحكام تقييمية تتقيد بها.

1 ـ المعايير السيميائية لتقطيع النصوص :

لقد أولت السيميائية عناية كبرى لعملية التقطيع لما لهذه العملية من فوائد عملية وعلمية ومعرفية ومنهجية حيث تساعد السيميائي بصفة خاصة، والباحث عموما، على تحليل النصوص تحليلا دقيقا ومضبوطا، ومقاربة الخطابات تفكيكا وتركيبا، وذلك قصد استخلاص دلالاتها التيماتيكية والغرضية، واكتشاف وحداتها المعنوية، وتحصيل أثار المعنى المباشرة وغير المباشرة.

ا ـ مفهوم التقطيع:

يعتبر تقطيع النص أو الخطاب إلى مجموعة من المقاطع الصغرى أو الكبرى "عملية منهجية ناجعة للإحاطة بدلالات النص الظاهرة أو العميقة، كما إن هذه العملية خطوة بيداغوجية أولية ضرورية.

لاستخلاص الوحدات المعنوية، وحصرا للبنيات الصغرى والكبرى التي تتحكم في بناء النص وتعمل على تمطيطه و توسيعه إطنابا وتكثيفا وإسهابا"[1] ويفهم من التقطيع "تجزيء النص إلى مقطوعات نصية، و تتم هــذه العملية على المحور النظمي" فهو بمثابة المرحلة الأولى للتحليل تجري على مستويات مختلفة ترمي إلى تجزئة النص إلى وحدات مرنة. ومن ثم يخضع تقطيع النصوص السردية بصفة خاصة والخطابات بصفة عامة، لعدة معايير تساهم في تذليل الصعوبات الباحث على اختلاف توجهاته، وذلك أثناء عملية الاحتكاك مع المعطى الإبداعي مهما كان نوعه. وبذلك يتم تقسيم النص إلى مجموعة من المقاطع والوحدات والبنيات والمتواليات والفقرات، ومن أهم الذين اهتموا بتقطيع النصوص في مجال سيميائيات السرد، نلفي الشكلاني الروسي فلاديمير بروب وذلك في كتابه مورفولوجية الحكاية، والــذي يقول فيه: "حين نحلل نصّا، يجب أن نحدد بدءا عدد المقاطع التي يتألف منها. إن المقطع يمكن أن يتلو مقطعا أخر مباشرة، بيد أنهما يجوز أن يتشابكا، وذلك حينما يتوقف التطور المبدوء تاركا المكان لإدراج مقطع أخر، إلا أن عزل مقطع ليس بالأمر السهل دائما، لكنه ممكن وبدقة كبيرة"، وجاء من بعده غريماس، وكلود بريمون، ورولان بارت، وتودوروف، وجوليا كريستيفا، وجوزيف كورتيس، وجماعة إنتروفيرن، وغيرهم من الباحثين الغربيين الــذين اهتموا بتقطيع النصوص اهتماما بالغا. إلى جانب عدد من الباحثين العرب في نفس المجال أمثال محمد مفتاح، سعيد بن كراد، وعليه فيمكن تحديد المعايير السيميائية لتقطيع النصوص في الضوابط التالية: المعيار البصري، المعيار التركيبي، المعيار الفضائي، المعيار العاملي أو الفاعلي، المعيار الدلالي أو التيماتيكي، معيار

---

[1] - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي، ص 53.

التشاكل، المعيار المناصي، المعيار الإيقاعي، معيار المنظور السردي، معيار الالتفاف، المعيار التداولي[1].

ب ــ المعايير السيميائية للتقطيع النصي:

نلاحظ أن هناك مجموعة من المعايير السيميائية التي يستند إليها الباحث أو الدارس السيميائي لتقطيع النصوص بنيويا أو دلاليا، أو تفكيك الخطابات سيميائيا، والذي يهمّنا هو : المعيار التركيبي، والمعيار العاملي، والمعيار الدلالي. (وفي الفصلين الثاني والثالث نستعمل المعيارين : التشاكل والمعيار التداولي).

*ــ **المعيار التركيبي:** يستند المعيار التركيبي في تقطيع النصوص السردية والخطابات إلى مجموعة من الروابط النحوية التي تساهم في تحقيق اتساق النص وانسجامه.ومن بينها:(لكن ــ على الرغم ــ هــذا، وان، وعلى العموم، بيد أن)، هــذا من جهة، ومن جهة أخرى (ويعني هــذا، أي، والمقصود بهــذا، غير أن)وهكــذا...، وتساعد هــذه الروابط التركيبية في تبيان المقاطع النصية وتحديدها بشكل جلي وواضح، وتمييزها عن بعضها البعض، وهي بــهذا تحقق ما يسمى بالاتصال الانفصالي"والتي تستعمل على المستوى التركيبي لإبراز علاقة الاتصال بين مقطعين يوجد بينهما تعالق، لكن كل مقطع يتميز من الآخر، ويتحقق ذلك حين ابتداء المقطع اللاحق عن السابق برابط من هــذه الروابط"[2]، وهــذه الروابط التركيبية المقطعية تضفي على النص اتساقا وانسجاما يسمى الوحدة العضوية والموضوعية.

* ــ **المعيار العاملي**:يعد هذا المعيار المكون من الوحدات (المرسل، المرسل إليه، الــذات، الموضوع، المساعد، المعارض)من أهم المعايير التي يعتمد عليها السيميائيون لتقطيع النصوص السردية، لان ظهور عامل أو فاعل أو شخصية في

---

[1] - لمزيد من المعلومات حول هذه المعايير، انظر الموقع:http://alrewaia.com/show

[2] - عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002، ص15.

ساحة الأحداث، أو غيابها ليظهر أخر، يساهم بلا شك في تحديد المقاطع النصية بشكل دقيق و مضبوط.كما أن الصراع بين العوامل لتحصيل الموضوع المرغوب فيه، بالإضافة إلى ربطها بالبرامج السردية، تحفيزا وتأهيلا وإنجازا و تقويما، يمكن أن يحدد ذلك محددات أساسية في عملية التقطيع.ويسهم ربط الشخصيات والفواعل بالإغراض الدلالية و الأدوار المختلفة في مساعدة المحلل السيميائي على ضبط العملية، ويعني هــذا أن هيمنة العامل داخل متوالية نصية يجعل منها وحدة سردية مستقلة بنفسها، يمكن إن تتحول إلى مقطع.

*ــ **المعيار الدلالي:** يعتبر المعيار الدلالي أو كما يسمى التيماتيكي المعيار الأكثر اعتمادا في تحديد المقاطع النصية، وذلك بالتركيز على التيمات أو الموضوعات أو الأفكار الرئيسية كما في المقاربة الموضوعاتية، أو يتم ذلك عن طريق استخلاص الحوافز و الوظائف على غرار ما فعله فلاديمير بروب في" مورفولوجية الحكاية"، عندما استنتج إحدى وثلاثين وظيفة من مائة حكاية روسية، ويعنى المعيار الدلالي بتقسيم المعطى إلى وحدات معنوية دلالية وصور معجمية و غرضية بارزة، تجمع في بنيات دلالية شاملة تلخص دلالات النص وتكمن أهمية عملية التقطيع في:"[1]

- تسهيل عملية تطويق النص من جميع جوانبه

ــ تفكيك النص إلى مقاطع جزئية بغية الإحاطة بالدلالات الكلية للنص.

ــ تقطيع النص إلى مقاطع وأقسام عملية بيداغوجية تسعف الباحث أو المحلل أو الدارس على الانتقال من الجزء إلى الكل ومن الخاص إلى العام، وذلك ضمن منهجية قياسية استقرائية.

[1] - د جميل جمداوي، المعايير السيميائية لتقطيع النصوص والخطابات، مجلة الرواية، الموقع:.http://alrewaia.com/show، العدد 878، 2011/07/28، ص9-14.

ـــ التحكم في تمفصلات النص الكبرى عن طريق تقطيعه، وتفصيله بطريقة تشريحية تجزيئية.

التقطيع عملية منهجية إجرائية ضرورية في إطار المقاربات البنيوية و السيميائية تفكيكا وتركيبا.

التقطيع خطوة منهجية أولية أساسية، وذلك قبل الدخول مباشرة في تحليل النص، ومقاربته معنى وتأويلا.

ـــ تساهم عملية التقطيع في تحقيق اتساق النص و انسجامه، وتسهيل عملية القراءة، وإزالة الغموض والالتباس عن الخطاب و النص.

ـــ معرفة البنيات العميقة الثاوية التي تولد تمظهرات النص، واستخلاص الحبكات، والقواعد السردية و الخطابية التي يخضع لها النص أو الخطاب.

ـــ تقسيم النص إلى مجموعة من المقاطع الصغرى ضمن مقاطع نصية و خطابية كبرى وهي :

الاستهلال والوسط والخاتمة.

ـــ يسعف تقطيع النص أو الخطاب الباحث أو الدارس على استكشاف الدلالة، وتحصيل أثار المعنى استقراء واستنباطا.وبالتالي فان التقطيع"لا يقتصر على تحديد المقاطع التي يتمفصل إليها الخطاب في تعاليقها، ولكنه يحقق هدفا أساسيا هو إضاءة دلالة الخطاب بإنتاج مجموعة آثار معنى أولية و جزئية تسهم في تكون الدلالة العامة لخطاب الرواية"[1]

1- المرجع السابق ص 14.

2 ــ دراسة سيميائية للبنية العاملية في الحكاية

أــ العلجوم والسرطان.

ب ــ الذئب و الغراب وابن آوى مع الأسد والجمل.

1 ـ حكاية العـلجوم والسرطان:

تعد الحكاية حكاية صغرى متناسلة عن حكاية" الغراب والأسود"، في إطار الحكايات المضمنة في باب "الأسد والثور"، وهو أول أبواب مؤلف "كليلة ودمنة". وتعكس حكاية "العلجوم والسرطان" مثل الـذي وقع في مهلكة حيلته.

وهو ينتمي إلى سلسلة النصوص التعليمية التي يهدف من خلالها الفيلسوف "بيدبا" تعليم الملك"دبشليم" وتوعيته. بحيث يوازي فيها السعي لتحقيق المبتغى، طلب لبلوغ العبر والعرائض التعليمية المرجوة. ويسمح النموذج العاملي للعناصر الفاعلية بإعطاء تصورات واضحة عن البنية الديناميكية في هـذا النص في علاقاتها الأساسية، واعتماده يساعد في بلورة الصراعات ودلالاتها.

وحكاية "العلجوم والسرطان "هدفها كان توعية ابن آوى للغراب بغية تقديم النصيحة له والكيفية للتخلص من الأسود. بعدم مواجهته مباشرة وإلا حدث له ما حدث للسرطان، الـذي وقع مغبة حيلة استعملها ليضمن عيشه بعد أن هرم ونال منه الكبر، ولم يعد قادرا على الاسترزاق. واستعمالا للمعيار العاملي يتم تقسيم الحكاية إلى مقاطع سردية تتضمن كل منها نموذجا عامليا.

أ- الترسيمة العاملية الخاصة بالسرطان :

البقاء / استمرارية العيش ← الغــذاء ← العلجوم(الــذات).

↑

كثرة السمك ← العلجوم → الكبرفي السن.

إن العلجوم الــذي يرغب في الغــذاء، يسعى إلى موضوع رغبته ليضمن بقاءه حيا، ويستمر في العيش، وذلك يعد ضرورة قصوى تكلفه بهــذه المهمة، على أن نتيجتها ستعود عليه بالفائدة وحده، وإذ يعتبر الهرم والكبر في السن معارضا له لينجح في مهمته للحصول على الموضوع المرغوب، في حين تعد كثرة السمك مساعدا له كمؤشر على البقاء على قيد الحياة.و العلجوم هنا يجسد حالة انفصال عن موضوع القيمة الــذي كان موصولا به في أول البرنامج السردي، وهــذا ما جعله يسعى إلى محاولة إيجاد حل عاجل للخروج من الوضعية التي وصل إليها، وذلك باللجوء إلى العقل وصوغ الحيلة، التي أقنع بها جماعة السمك والسرطان ليضمن نجاح مشروعه في الحصول على الغــذاء بطريقة أسهل وأسرع. ومن هــذا نشأ مشروع آخر خاص بالسرطان وجماعة السمك.

ب- الترسيمة العاملية الخاصة بالتماس السرطان و جماعة السمك للأمن:

الأمن ← الغدير الجديد ← العلجوم./جماعة السمك.

↑

الانتقال بالطيران ← السرطان وجماعة السمك → الصيادان.

نشأت هــذه الترسيمة مباشرة بعد أن تمكن العلجوم من إقناع السرطان و جماعة السمك بضرورة الانتقال إلى غدير آخر، لأن هناك صيادان ــ حسب زعمه ــ سيأتيان إلى هــذا الغدير و يصطادا كل ما فيه من سمك، وهو مضمون الحيلة التي خدعهم بها .وتبرز الخطاطة العاملية خوف السرطان وجماعة السمك من مشروع الصيادين، وهــذا ما جعلهم يلتمسون المخرج من هــذه الورطة، ففكروا في الغدير الجديد الــذي

وصفه لهم العلجوم كموضوع رغبة وجب الحصول عليه، وقد كان لهم هـذا الأخير(العلجوم) كعامل مساعد على نقلهم إليه ونجاحهم في مهمتهم والحصول على الأمن، ويشكل حضور الصيادين وإسراعهما في ذلك عاملا معيقا ومعارضا يصعب الحصول على الموضوع. وقد استفاد العلجوم من نجاح المشروع كمرسل إليه، في حين فشلت جماعة السمك في ذلك بعد أن أصبحت طعاما له كمرسل إليه وهمي، أنشاه العلجوم ليقنعها بضرورة الانتقال، وهـذا يفسر ازدواجية المرسل إليه في الترسيمة السابقة.

وهـذا يؤكد الكفاءة العقلية و المعرفية للعلجوم الـذي وظف عقله ليستمر في العيش رغم افتقاره للقوة مشكلا بـذلك الوجه الإيجابي للعقل، في حين تمثل جماعة السمك الوجه السلبي له .

وعندما جاء العلجوم لمواصلة صنيعه بجماعة السمك، طلب منه السرطان أن ينقله هو الآخر إلى ذلك الغدير رغبة منه في العيش في مكان أحسن، وهنا اكتشف الحيلة وسعى للتملص من الورطة التي أوقع نفسه تبعا لهواه وطمعه، فكانت الترسيمة العاملية الموالية:

ج- الترسيمة العاملية الخاصة بالسرطان والتماسه المخرج من الورطة :

هوى النفس/البقاء ←الغدير الجديد/ النجاة ← السرطان./العلجوم

↑

الانتقال بالطيران/العقل ← السرطان → صعوبة التنقل/ سيطرة العلجوم.

إن الـذات (السرطان)تمضي هنا للحصول على رغد العيش في كنف الغدير الجديد والتمتع بخيراته، إلا أن المتعة المراد بلوغها هي متعة وهمية، لأنها تشكل الوجه الظاهر من الحيلة التي اعتمدها العلجوم للقضاء على جماعة السمك أولا، ثم السرطان ثانيا، ويبدو هوى النفس كمرسل يوجه موضوع الرغبة الوهمي إلى الـذات كمرسل إليه، ليبدو مآل هـذه العملية نفعيا ولا يستبعد تحقيق الخير للنفس. وتشكل صعوبة

التنقل إلى الغدير الجديد المعيق الأساسي لعدم تحقيق الــذات لرغبتها، في حين تتشكل مساعدة العلجوم على نقله إلى الغدير دور المساعد. ويمثل العلجوم دور المرسل إليه الــذي يحلم بأكل السرطان، وكان ذلك قبل أن تكتشف حيلته من قبل السرطان.

إن وعي السرطان لحجم الخطر المميت الــذي يتربص به يجعله يطرح كموضوع قيمة له الخلاص والنجاة من الفخ الرهيب، يجعله هوى النفس كمرسل و يعوضه بضرورة البقاء حيا، التي توجه موضوع الرغبة في الخلاص إلى السرطان نفسه، مع ما تمثله هــذه النتيجة من خير فعلي للــذات، و يقوم العقل في هــذه الحالة مقام المساعد للسرطان على تحقيق الخلاص، و شكلت سيطرة العلجوم على الوضع بعد أن ارتفع بالسرطان في الفضاء العامل المعارض له على ذلك. وكل هــذا يفسر طابع الازدواجية للترسيمة العاملية.

وتطالعنا الترسيمة الأولى الخاصة بالعلجوم أن الــذات كانت متصلة بالموضوع الــذي هو الغــذاء، بفضل المؤهلات التي كانت تمتلكها، ثم انفصلت عنه بفقدها لتلك المؤهلات، فبعد أن كانت تتصف بالقدرة المادية التي أكسبتها الرغبة في الإقامة ضمن فضاء يضمن لها الصيد والطعام الوفير، وهــذا ما أكسبها صفة الهيمنة على جماعة السمك في تلك الأرض، بحيث كانت تختلف إليها وتتخــذ من السمك طعاما لها لا ينفــذ، وبعد العجز الــذي أصابها فقد ما كانت تملكه، وأهم ما فقدته هو قدرتها على امتلاك موضوع القيمة .

ومن خلال الترسيمة الثانية الخاصة بجماعة السمك، فقد استطاعت الــذات أن تمتلك موضوعها من جديد بفعل التحويل الاتصالي الــذي قامت به، والــذي تجسده الحيلة لإقناع جماعة السمك بضرورة الانتقال وبالتالي أصبحت غــذاء له هــذا من جهة، ومن جهة ثانية انفصلت جماعة السمك عن موضوعها الــذي هو الأمن بعد أن كانت متصلة به، وكل ذلك بالفعل المحول الــذي قامت به الــذات الأولى (العلجوم).

وانطلاقا من الترسيمة الثالثة نلمس تدخل ذات فاعلة ثالثة غيرت سير الأحداث، فقد قامت بفعل محول مزدوج جعلت من خلاله الذات الأولى تنفصل عن موضوعها، في حين وصلت الذات الثانية بموضوعها، حيث قام السرطان (الذات الثالثة) بالقضاء على العلجوم (الذات الأولى)، وأعاد بذلك إلى جماعة السمك(الذات الثانية). وانتقال الموضوعات الثلاث بين الفواعل أكسب النص طابع الصراع من أجل تحقيقها.

ويتميز الصراع بالبعد العقلي حضورا وغيابا، فبالعقل استطاع العلجوم أن يخدع جماعة السمك من جهة والسرطان من جهة ثانية، وبغياب العقل انطلت الحيلة عليهم جميعا، وبفضل العقل تمكن السرطان من استدراك الموقف والقضاء على العلجوم وبالتالي إنقاذ نفسه والسمك من شر المكيدة، وبالمقابل نجد الدور المحدود للقوة، إذ بقيت مرهونة بالقدرات العقلية، فالعلجوم حسم أمره بكثير من العقل تجسد في حيلة متقنة الحبكة وقليل من القوة التي فقدها بعد هرمه، واستعمل ما بقي منها في نقل السمك بغية أكله، والسمك بغياب العقل انخدع بسهولة وبغياب القوة فقد الأمن، والسرطان بالعقل رد على العلجوم صنيعه به وقضى عليه بقليل من القوة الكامنة في كلبتيه، رغم صغر حجمه. وبهذا فقد يكون العقل مؤشر نجاح كما قد يكون مؤشر فشل.ومن هنا فالعلجوم امتلك عناصر الكفاءة التالية: وجوب الفعل ليضمن بقاءه على قيد الحياة، معرفة الفعل التي بفضلها خدع جماعة السمك والسرطان، وإرادة الفعل التي نفذ بها خطته، في حين كانت كفاءة السرطان كاملة بتوفر كافة العناصر:معرفة الفعل التي بها استطاع أن يكتشف الحيلة، ووجوب الفعل وإرادته والقدرة عليه تلخصت كلها في حسم الأمر والقضاء على العلجوم في النهاية.

2ـ حكاية الــذئب والغراب وابن آوى مع الأسد والثور:

تندرج هــذه الحكاية في انتمائها السردي إلى باب "الأسد والثور" تعكس بعدها التعليمي من خلال ا لوقوع في مصيدة الغدر والخيانة بسبب الحمق وغياب تحكيم العقل في الأمور كلها.فقد احتال الــذئب والغراب وابن آوى للإيقاع بالجمل، الــذي وقع ضحية حمقه وســذاجته، ليكون طعاما لـــلأسد وأتباعه، حيث جسد التحكم في الآخرين والتلاعب بهم علامة مميزة للدور المحوري الــذي يشغله العقل في النص، وعلامة تفوقه من حيث القدرة والفعالية على على أي قوة أخرى .

لقد اتفق الجمل مع الأسد على أن يصبح من أتباعه، طائعا لأوامره هــذه الطاعة تعكس طاعة الرعية للملك، وهــذا ما يجسده المخطط العاملي التالي:

أ- المخطط العاملي الأول الخاص بالجمل:

الأمان والعيش ← الإقامة في الغابة ← الجمل والأسد.

↑

الطاعة لـــلأسد ← الجمل → رحيل القطيع.

إن الجمل(الــذات)الــذي يرغب في الإقامة بالغابة، ويطلب العيش فيها بـــأمان، وذلك كضرورة حتمية بعد تخلفه عن القطيع الــذي قدم معه على أن النتيجة النهائية للحصول على موضوع الرغبة تكون لصالح الأسد والجمل معا، فبالنسبة للأول فقد ضم فردا جديدا لأتباعه، وبالنسبة للجمل فقد انضم تحت لواء ملك قوي يحتمي بحماه، ويعتبر رحيل القطيع عن الجمل و تخلفه عنه ما فرض عليه التأقلم مع الوضع الجديد كعامل معارض له، في حين جاءت طاعته وموالاته للأسد عاملا مساعدا له على الإقامة في الغابة والعيش فيها بـــأمان. ويشير هــذا المخطط إلى أن الجمل تمكن

بحلمه من كسب مودة الأسد ومصادقته والعيش تحت لوائه، وهــذا ما يفسر بقاءه حيا لمدة طويلة وبالتالي نجاحه في هــذا المشروع "فأقام الأسد والجمل معه زمانا طويلا"[1]. ولكن الأسد تعرض للأذى من جراء قتال شديد خاضه مع فيل ضخم يتمتع بقوة هائلة، وذلك في إحدى عمليات الصيد التي كان يقوم بها لتأمين الطعام له ولأتباعه من آكلات اللحوم(باعتبار أن الجمل حيوان عشبي)، وقد نال الأسد من الجراح ما أقعده عن الصيدوفقد قدرته على توفير الغــذاء لنفسه ولهم، والمخطط الموالي يوضح ذلك:

ب- المخطط العاملي الثاني الخاص بالأسد وأتباعه:

الجوع والهزال ← الغــذاء ←الأسد وأتباعه (الــذئب والغراب وابن آوى).

↑

وجود الجمل ←الأسد و الــذئب والغراب وابن آوى ←مرض الأسد وضعفه.

تمثل الــذات هنا (الــذئب والغراب وابن آوى) ذاتا سلبية، فهي ترغب في موضوع القيمة المتمثل في الغــذاء، لكنها لا تسعى إلى تحقيقه على الرغم من الجوع والهزال الــذي أصابها ويوجهها في الوقت نفسه كمرسل إلى الموضوع.لأن مرض الأسد يشكل عاملا معارضا يحول دون حصولها على الغــذاء، في حين يعد وجود الجمل بينهم عاملا مساعدا، باعتباره لا ينتمي إلى فصيلتهم الحيوانية (آكلات اللحوم وهو حيوان من آكلات الأعشاب)، مما يفتح لهم مجال التهامه كطعام للأسد أولا ثم لهم، فيشكلون جميعا بــذلك دور المرسل إليه. وإذا كانت العملية الأولى الخاصة بالجمل قد انتهت بالنجاح، فإن العملية الثانية الخاصة بالأسد وأتباعه آلت إلى الفشل، باعتبار أن الأولى قامت على العقل والثانية على مبدأ القوة.

---

[1] - عبد الله بن المقفع، كليلة ودمنة، شرح الشيخ خليل اليازجي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1428-1429هـ، 2008م، ص115.

لكن العقل لم يغب طويلا لأنه عاد وظهر مع أتباع الأسد، هؤلاء الــذين بدأوا يتلاعبون بمصير الجمل بينهم، فهم يحتاجون إليه كطعام لا كأحد ممن لا يرجون منهم نفعا، فمنفعته الوحيدة تكمن في تأمين غــذاء لهم يكفيهم حتى يستعيد الأسد عافيته، والمخطط الموالي يوضح جزءا من الألعوبة التي صاغوها للتحكم في الأسد من جهة، وفي الجمل من جهة ثانية. وذلك حين ذهب الغراب لإقناع الأسد بضرورة التخلص من الجمل، ونصوغ ذلك في الخطاطة التالية:

ج- المخطط الخاص بالأتباع:

الجوع والهزال ←أكل الجمل ←الأسد وأتباعه.

↑

وجود الجمل ←الأتباع →وفاء الأسد للجمل.

يسعى الأتباع هنا كــذات للحصول على الموضوع المتمثل في أكل الجمل والتخلص منه، يوجههم في ذلك جوعهم وهزالهم بعد ما أصيب الأسد في معركته مع الفيل، ليستفيد الجميع من أكله الأسد وأتباعه كمرسل إليهم، ويعد بــذلك وجود الجمل عاملا مساعدا، فهم لا يرون له فائدة ترجى سوى الإقامة بينهم والأكل والشرب، زد على ذلك الأمن الــذي يحظى به في كنف الأسد، في الوقت الذي يشكل وفاء هــذا الأخير للجمل عائقا حال دون تحقيقهم لمأربهم، فهو يمثل دور المعارض لهم . حين جاءه الغراب ليقنعه غضب للفكرة ورفضها "ما أخطأ رأيك وما أعجز مقالك، وأبعدك عن الوفاء والرحمة!!"[1].

ويلعب حضور العقل هنا دورا في عملية الإقناع، فقد سعى الغراب بمشورة أصدقائه إلى الأسد لينال منه الرضا على إقدامهم في افتراس الجمل، واصفا له العملية بأسلوب حجاجي مقنع، إلا أن الأسد لم يرض في بادئ الرأي، وهــذا ما جعل أتباعه يلجئون إلى أساليب أخرى للنيل من الجمل.

1 - المصدر السابق، ص116.

بعد أن لاحظ الغراب سكوت الأسد استغل الموقف، وقدم له اقتراحا يجعل الجمل يرضى بالتضحية في سبيل الأسد وأتباعه، فكانت الحيلة التي أودت إلى هلاك الجمل في نهاية المشروع. والمخطط التالي يوضح لنا تلك العملية:

د- المخطط الخاص بعملية الافتراس:

الجوع والهزال ← افتراس الجمل ← الأسد وأتباعه.

↑

ســذاجة الجمل وغباؤه ← الأتباع ← سكوت الأسد.

وذكاء الأتباع.

إن الأتباع الــذين يرغبون في افتراس الجمل وأكل لحمه، يطلبون ذلك كطعام و غــذاء لهم، وكضرورة للعيش والبقاء، وهــذا ما كلفهم عناء القيام بالمهمة، والعناء المقصود هنا ليس عناء ماديا يتطلب القوة والمكابرة، وإنما يتمثل في عناء معنوي تجسده الصعوبة في إقناع الأسد.وكل ذلك من أجل الحصول على الموضوع الــذي سيستفيد منه المرسل إليه الــذي يضمهم جميعا:الأسد والــذئب والغراب وابن آوى، وشكل سكوت الأسد إعاقة نسبية ومعارضا مؤقتا "فسكت الأسد عن جواب الغراب عن هــذا الخطاب" [1]، لأن السكوت هنا قد يكون مؤشرا عن الرضا (السكوت علامة الرضا كما يقال)، في حين يعتبر ذكاء الأتباع وســذاجة الجمل و غباؤه عاملا مساعدا على تحقيق الــذات لمهمتها التي كانت ناجحة.

نلاحظ من خلال ما سبق أن ما يحققه العقل يفوق بكثير ما تفعله القوة، وهــذا ما يفسر دورها المحدود في هــذه الحكاية وتأكيد على أن القوة وحدها لا تكفي لتحقيق المآرب و الغايات. فبالعقل استطاع الجمل أن يبقى حيا لفترة من الزمن كما عقد اتفاقا يضمن له ذلك بالمولاة للأسد، وبغيابه فقد حياته وانتهى أمره، وبالعقل تمكنت الحيوانات من

[1] - كليلة ودمنة ص 116.

إقناع الأسد والإيقاع بالجمل، وبغياب القوة فقد الأسد و أتباعه مصدر الطعام والغذاء.

ويجسد دور الأتباع المحور الأساسي للعملية، بتحكمهم وتلاعبهم بالآخرين لبلوغ أهدافهم.

إن الفعل الذي قامت به الحيوانات الثلاثة كان سببا في تغير مسار الأحداث، وانتقال الموضوعات بين الفواعل، وتباين البرامج السردية. ففي المقطع الأول من الحكاية نلمس وضعية انفصال، حيث انتقل الجمل من حياة إلى أخرى، فقد كان يعيش في وسط أليف مع القطيع، وانتقل للعيش في وسط متوحش ونقصد به الغابة، بفعل تخلفه رحل القطيع عنه، فالتخلف هنا يعد فعلا محولا من حالة اتصال بالموضوع إلى انفصال عنه. "وإن رعاة مروا بذلك الطريق ومعهم جمال فتخلف منها جمل..." [1]، وفي المقطع نفسه يطالعنا انفصال آخر يتجسد في عدم قدرة الأسد على الصيد بعد أن كان يمتلكها، وكان ذلك بفعل محول أيضا، حين جرح الأسد في معركته مع الفيل الضخم فكان قتاله معه هو الفعل المحول هو الذي أدى به إلى الانفصال عن موضوعه الصيد بعد أن كان قادرا عليه "ثم إن الأسد مضى في بعض الأيام لطلب الصيد، فلقي فيلا عظيما فقاتله قتالا شديدا و أفلت منه مثقلا مثخنا بالجراح يسيل منه الدم...ولا يقدر على طلب الصيد"[2]. كما أن هذا يعد انفصالا أيضا للأتباع عن موضوعها، فهي قد فقدت صلتها به بفعل الفعل المحول المتمثل في مرض الأسد، فقد افترقت بذلك عن مصدر غذائها "فلبث الذئب والغراب وابن آوى أياما لا يجدون طعاما"[3]. إذ كانوا يقتاتون من فضلاته، وأصابهم الجوع والهزال بمرض الأسد.

لقد رأت الحيوانات الثلاثة أنه من الضروري إيجاد حل ناجع يصلها بموضوعها من جديد، وكان لها من خلال الحيلة التي ابتدعتها لإقناع الأسد من جهة، والإيقاع بالجمل

[1] - كليلة ودمنة ص، 114 - 115.
[2] - المصدر السابق ص115.
[3] - المصدر نفسه ص 115

من جهة ثانية، فالحيلة هنا تلعب دور الفعل المحول الــذي بفضله أرجعت صلتها بموضوعها المتمثل في الغــذاء بعد أن انفصلت عنه لفترة، كما كانت عملية التحويل هــذه سببا في اتصال الأسد بموضوع الغــذاء أولا، ثم بموضوع الصيد لاحقا بعد أن يستعيد صحته وعافيته. وأدت عملية التحويل هــذه في الوقت نفسه إلى انفصال الجمل عن موضوعه الأمن والبقاء بعد أن كان موصولا به في أول الحكاية، وكان غباؤه ودهاء باقي الحيوانات ما أودى بحياته.

إن دور العقل في هــذه التحولات بارز جدا، وأمامه تتراجع القوة، فعملية التلاعب التي اعتمدها أتباع الأسد تبين الموقع الهام التي تحتله المعرفة بالفعل بين مختلف تصييغات الفعل التي تعرفها البرامج السردية إجمالا، (وجوب الفعل، القدرة على الفعل، وإرادة الفعل). بل وتتحكم فيها جميعا، ووجودها يعد شرطا أساسيا لنجاح الــذات في مهمتها.فالمعرفة التي يتمتع بها كل من الــذئب والغراب وابن آوىجعلت إرادتهم تتحقق بتوسيط إرادة الأسد التي كانت ضمنية فقط بسكوته عن اقتراح الغراب، بحيث حولوها إلى وجوب الفعل وبالتالي وجوب تحقيقه، وتمت المهمة بنجاح بالنسبة لهم، فكفاءتهم توفرت على كامل عناصرها (معرفة الفعل، إرادة الفعل، ووجوب الفعل والقدرة عليه)، أما الأسد فإن عجزه واضح لم يقتصر ولا على واحدة منها، في حين يتقدم الجمل بإرادة سلبية انعكست عليه سلبا وأفقدته موضوع البقاء والأمن، ليستغلها أتباع الأسد بتحويلها إلى إرادة إيجابية خدمت مصالحهم بالدرجة الأولى، بالإستحواذ عليه أو فعله معرفة وقدرة يفتقدهما الجمل، والــذي لو توفرت لديه المعرفة بالفعل لحسم الأمور لصالحه.

الفصل الثاني: المربع التصديقي :

1- التحريك

2- التقويم.

3- الكيفية التصديقية.

- مقاربة سيميائية للحكايات:

- باب الأسد والثور.

- حكاية الحمامة المطوقة والجرذ والغراب و الظبي .

- حكاية الحمامتين .

اهتمت النظرية الكلاسيكية للتواصل بالتبليغ الصحيح للرسالة، وكــذا تطابق الرسالة المتلقية بالنسبة للرسالة المبثوثة، ولا تتمثل مسألة صدقها إلا في ملاءتها للمرجع.وفي حالة التسليم بــاستقلالية الطابع الملازم لكل كلام، وباستحالة الرجوع إلى المرجع الخارجي،فإن النظرية السوسيرية دفعت بالنظرية السيميائية إلى التسجبل ضمن اهتماماتها ،لا مسألة الصدق"لأن قول الصدق يعني قول ما هو كائن"[1]، بل مسألة القول الصادق أو التصديق، باعتبارها نظرية تسعى إلى دراسة التجليات الدلالية من الداخل مرتكزة في ذلك على مبدأ المحايثة ـــ الــذي نتطرق إليه لاحقا ـــ لأن "الصدق يدل على العنصر المعقد الــذي يولد عناصر الكينونة والمظهر الماثلين على محور التضاد داخل المربع السيميائي للكيفيات التصديقية"[2]، فهو متموضع في الخطاب، إنه "المحصلة لعمليات التصديق، وهــذا من شأنه أن يقصي كل علاقة (أو تماثل) مع المرجع الخارجي"[3]، أو بعبارة أخرى"يعتبر الصدق المتموضع داخل الخطاب ولا بالقياس الى علاقة مع حقيقة خارجية، ثمرة أو محصلة لعمليات التصديق المشتغلة في الخطاب"[4]،في حين التصديق هو"إدراك الحكم أو النسبة بين طرفي القضية"[5].

ويمكن أن يؤول إدماج إشكالية الصدق في الخطاب الملفوظ بوصفه تسجيلا أو قراءة لعلامات التصديق، وعلى أساسها يتسم الخطاب الملفوظ بالصدق أو الكــذب،"هــذا الجهاز التصديقي الــذي يضمن في هــذا المستوى بعض الالتحام الخطابي، لا يؤمن بأي شكل من الأشكال تبليغ الحقيقة المرتبطة قصرا بالميكانيزمات الابستيمية المركبة في سلسلة التبليغ ضمن هيئتي اللافظ(المتكلم)والملفوظ

1 ـ جان كلود كوكي،السيميائية مدرسة باريس،ترجمة رشيد بن مالك،دار الغرب للنشر والتوزيع،وهران،2003،ص121.
2 ـ رشيد بن مالك ،قاموس مصطلحات التحليل السيميائي،ص256.
3 ـ المرجع نفسه، ص256.
4 ـ آن اينو وآخرون،السيميائية،الأصول ،القواعد والتاريخ،ص239.
5 ـ رشيد بن مالك،المرجع السابق ص249.

له(المخاطب)"[1]، ومن هــذا فما يعتقده المتكلم لا يكفي دون شك لتبليغ الحقيقة للمخاطب، أي ضمان أن ما يقوله الأول حقيقة"الاعتقاد بالصدق ينبغي أن يتموضع في طرفي قناة التبليغ هــذا التوازن نسميه عقد التصديق"[2].الــذي يفترض "اتفاقا ضمنيا بين عاملي بنية التواصل"[3]، من هنا لا يمكن أن يكتفي الخطاب بالتسجيل البسيط لعلامات التصديق، لأنه لم يعد معتبرا كتمثيل للصدق يكون خارجا عن إطاره، وحتى يقال ويقلد الصدق ينبغي أن ينحو نحوالمتكلم والمخاطب، فلم يعد المتكلم منتجا للخطابات الصادقة فحسب، ولكنه منتج أيضا لخطابات تحدث أثر معنى الصدق."ولئن كنا لم نلجأإلى المرجع غير اللساني لتحليل الخطاب وفحص مسألة الصدق، فلأننا ملزمون بالارتكازعلى النص ،لنلاحظ كيف أنه ينتج "أثر المعنى"الــذي يدل على الصدق أو البطلان. بعبارة أخرى أننا نعني بمعالجة "القول الصادق"في الخطاب ، ويكون مدار حديثنا حينئــذ عن التصديق"[4]، من هــذا المنظور يناسب إنتاج الصدق الفعل المعرفي الخصوصي للفعل الظاهرالصادق"تطرح مسألة الصدق أو الباطل بمجرد دخول عمليات من نوع" المعرفة" أو "تبليغ المعرفة"في نظام النص"[5].

و يوضح غريماس (Greimas) ذلك بقوله:"أصبحت المسألة ــ مسألة الصدق ــ تبسط في حدود الملفوظ الداخلية بصرف النظر عن المقاييس المرجعية .وهكــذا يمكن أن نصف موضوعا ما بأنه صادق أو باطل أو كاذب انطلاقا من آليات معرفية منتظمة في صلب البلاغ القائم بين المرسل والمرسل إليه، ذلك أن الحقيقة ليست مضمونا مستقلا بــذاته بين الحدود خاضعا إلى مقاييس خارجية"[6]، ومن هــذا يتضح أن "المصداقية تخص الأحكام التقويمية القائمة في صلب النص خلافا للمنظور التقليدي

[1] ـ المرجع نفسه ص249.
[2]ـ رشيد بن مالك،قاموس مصطلحات التحليل السيميائي،ص250.
[3] ـ رشيد بن مالك،البنية السردية في النظرية السيميائية،ص85.
[4] ـ جان كلود جيرو و آخلر،السيميائية نظرية لتحليل الخطاب، ترجمة رشيد بن مالك،دار مجدلاوي للنشر و التوزيع،ط 1428،1هـ ،2008م.ص239.
[5] ـ المرجع السابق ص239.

- 1 A J Greimas,dictionnaire raisonné,P418.

الـــذي يستند في أحكامه إلى مقاييس مرجعية خارجية"[1]،فعندما يقوم متكلم بتأكيد أن ما يتلفظ به لمتلق أنه صادق لا يكفي أن يطمئن إليه الثاني ويكون على بينة من الحقيقة متيقنا منها ،إنما وجب عليه وصل ذلك الخطاب بملابساته محددا في هـــذا الصدد الظروف المكانية والزمانية الحافة بعملية الخطاب، بمعنى البحث عن كل يكسب الخطاب سمة الصدق، ومن ثم إقناع المتلق بصحة الملفوظ والتأثير فيه وصولا إلى تحقيق النتائج المقصودة.مما يربط إنتاج الصدق بالفعل الإقناعي والـــذي يوصل اللافظ لهدف واحد هو البحث عن كسب ثقة الملفوظ له المشروطة بالفعل التأويلي الـــذي يمارسه الملفوظ له. ومن هنا يعتبر الصدق"محصلة لعمليات التصديق المشتغلة في الخطاب أو نتيجة للعمليات المعارفية كتلك التي "تقنع"أو"تؤول""[2].

و يكون هـــذا على مستوى ضمن البعد المعارفي للبرنامج السردي، الـــذي يتضمن التحريك والتقويم، وعلى مستواه يتم الحكم على ما انجر عن الكفاءة والأداء، ضمن البعد التداولي. لأن التصديق يتشكل في النص"من كل العمليات المعارفية التي تتبنى في النص إنتاج هـــذه الوضعيات، والطريقة التي يرتب بها الممثلون في سبيل تحديد الحقيقة المختارة والمقومة في الخطاب. ينبغي أن يربط التصديق إذن بالطريقة التي يمفصل بها النص وينتج التقويمات (جيدة أو رديئة، إيجابية أو سلبية) ويحدد نظام القيم"[3].

1ـ التحريك: يعتبر التحريك الطور الأول للرسم السردي، ويتعلق الأمر هنا "بفعل الفعل"ويوظف في النظرية السيميائية للدلالة على"فعل يمارسه إنسان على إنسان ممارسة تلزمه تنفيـــذ برنامج معطى"[4]، بحيث"يفعل العامل فعلا محدثا لفعل عامل

---

[1] ـ محمد الناصر العجيمي،في الخطاب السردي،ص60 - 61.
[2] ـ جان كلود جيرو وآخر،السيميائية:نظرية لتحليل الخطاب،ص239.
[3] ـ المرجع السابق ص239.
[4] ـ رشيد بن مالك ،البنية السردية في النظرية السيميائية ،ص27.

آخر، ويناسب هـــذا في النص تأسيس فاعل لتحقيق برنامج"[1]، ولا يتم التحريك بمحض إرادة الفاعل، إنما يتدخل المرسل(المحرِّك) في علاقته بالفاعل الــذي يمثل وهـــذه الحالة دور المرسل إليه (المحرَّك)، والسبيل إلى تلك العلاقة وجود فعل إقناعي والـــذي يأخـــذ أحد "أشكال الفعل المعرفي، بمعنى الفعل الـــذي يأتي نقيضا للفعل العملي (الذي يحرك موضوعات القيمة)، والـــذي يعمل في نطاق المعرفة المنسوبة إلى تلك الموضوعات"[2]، وهو بـــذلك "مرتبط بهيئة التلفظ، يرتكز على استدعاء اللافظ لكل أنواع الكيفات التي ترمي إلى جعل الملفوظ له يقبل العقد التلفظي المقترح وإلى أن يكون التبليغ فعالا"[3]، إذا يتضح التحريك بالفعل الذي يفعله المرسل في الفاعل، وهو كما لاحظنا فعل إقناعي بالدرجة الأولى، فيحمله على تبني مشروع معطى وتنفيـــذه، مشيرا في ذلك إلى المعيقات التي قد تعترض طريقه، وحلولها المتوقعة، وطبيعة الصراع الذي سيواجهه والمساعدات التي يلقاها. "وتشكل هـــذه العناصر التحفيزية الفعل الذي يمارسه المرسل على الفاعل والمولد لفعله على مستوى الرغبة"[4]. ولا يتجاوز الفعل الإقناعي الـــذي "يقع على مستوى البعد المعرفي مما يسمح له بتحمل واحد أو عدد من الإنجازات التي تشير إلى تأسيس عقد ائتماني..."[5]حدود تبليغ فكرة للمرسل إليه، عن طريق المعرفة أو الاعتقاد، مما يمهد لظهور برنامج سردي كامل، يدخل الفاعل في دوامة الصراع لتنفيـــذ مشروع المرسل، تخوله في ذلك رغبته في فعل الفعل(التحريك). ويمكن أن يمارس المحرِّك فعله الإقناعي معتمدا في ذلك على كيفية القدرة، وفي حالات أخرى يقنع المرسل إليه بواسطة المعرفة، وبهذا " فالإقناع حسب القدرة يميز الإغواء (أين يقترح موضوعا ذا قيمة إيجابية) و التهديد(هبة سلبية)،

[1] ـ جان كلود جيرو،السيميائية:نظرية لتحليل الخطاب،ص236.

3-A J Greimas,moupassant,la sémiotique du texte,lyon,P197.

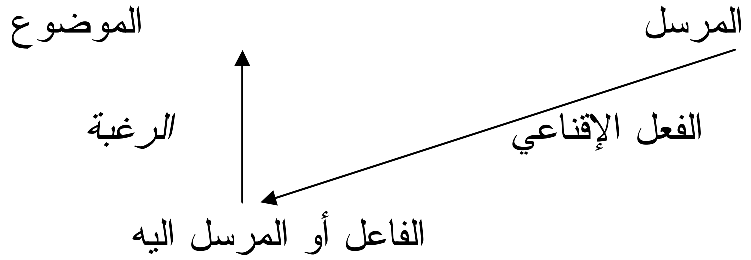
[3] ـ رشيد بن مالك ،قاموس وصطلحات التحليل السيميائي،ص137.

[4] ـ رشيد بن مالك ،البنية السردية في النظرية السيميائية"ص27- 28.

2 -A J Greimas,moupassant,P197.[5]

والإقناع حسب المعرفة يميز الإثارة (مع وضع حكم سلبي): « لاتستطيع أن...»، والإغراء (يبرز حكما إيجابيا)"[1]. فالفعل الإقناعي"يقوم به المتلفظ للتأثير في المتلقي"[2]

ويمكن تلخيص بنية التحريك في المخطط التالي:"[3]



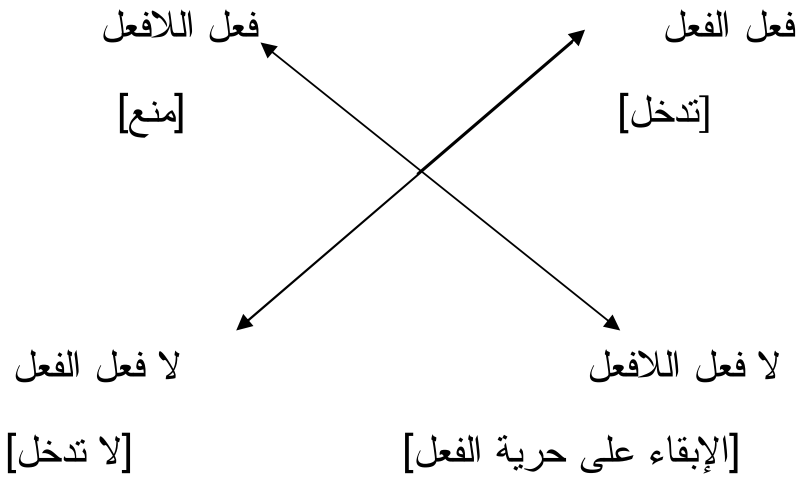
بنية التحريك ــ فعل الفعل.

ويبين هــذا الرسم بوضوح الموقع الذي المرسل والعلاقة الموجودة بينه وبين الفاعل.

ومن هــذا يكون التحريك"بالتكليف، أو بإبلاغ الرغبة، أو بالإحساس بالواجب، وهذاهو منطلق الساعي لمسعاه".[4] و"ذلك أن الشخصيات حين تقوم بأفعالها وتنشئ علاقات فيما بينها إنما تقوم بذلك بناء على حوافز تدفعها إلى فعل ما تفعل"[5].

وبإسقاط التحريك المعتبر كفعل مزدوج (فعل الفعل) على المربع السيميائي، فإن ذلك يفترض وجود نظام يحتمل إمكانيات أربع بالنظر إلى العلاقة بين المرسل والفاعل يوضحها الشكل التالي:"[6]

[1] ـ رشيد بن مالك ،قاموس مصطلحات التحليل السيميائي،ص103.
[2] ـ عالم الفكر،المجلد1،40يوليو ـ سبتمبر 2011،ص137.
[3] --A J Greimas,dictionnaire raisonné,P220.
[4] ـ الصادق قسومة،طرائق تحليل القصة،ص93.
[5] ـ د يمنى العيد،تقنيات السرد الروائي،في ضوء المنهج البنيوي،دار الفارابي،بيروت ،لبنان،ط1999،2،ص52.
[6] ـ رشيد بن مالك،البنية السردية في النظرية السيميائية،ص28.



وبهذا ففعل المرسل ينسب إيجابا إلى الفاعل إن كان في صنف الإغراء أو الإغواء وذلك بالترغيب في الموضوع، وإن كان الفعل سلبيا فإنه يعود على الفاعل في صفة التحـــذيرأو التهديد، "قد يلجأ المحرّك من خلال ممارسته فعله على الفاعل إلى الترغيب أو التهديد. في الحالة الأولى يقنعه ويغريه بالقيم الإيجابية التي يتوقع تحقيقها بتنفيـــذ البرنامج. يمكن أن يقبل العرض، حينئـــذ يكون ملزما بالدخول في وصلة بموضوع القيمة، كما يمكن أن يرفضه فيعلق البرنامج، في هـــذه الحالة قد يلجأ المحرّك إلى حمل الفاعل بالقوة فيرغمه مهددا على قبول العرض. وقد ينحو منحى آخر كأن يلعب على أوتار مؤهلات الفاعل، فيثيره أو يغريه إثارة أو إغراء مقترنين بفعل سلبي[لا تملك القدرة على...] أو إيجابي [أنك تملك القدرة...] على جهة من جهات كفاءته"[1]، وفي كلتا الحالتين يحاول المرسل أن يؤثر على الفاعل بشكل أو بآخر، ليحمله بـــذلك على تنفيـــذ الأداء الموكل إليه، وهـــذا يؤدي إلى نتيجتين هامتين:"[2]

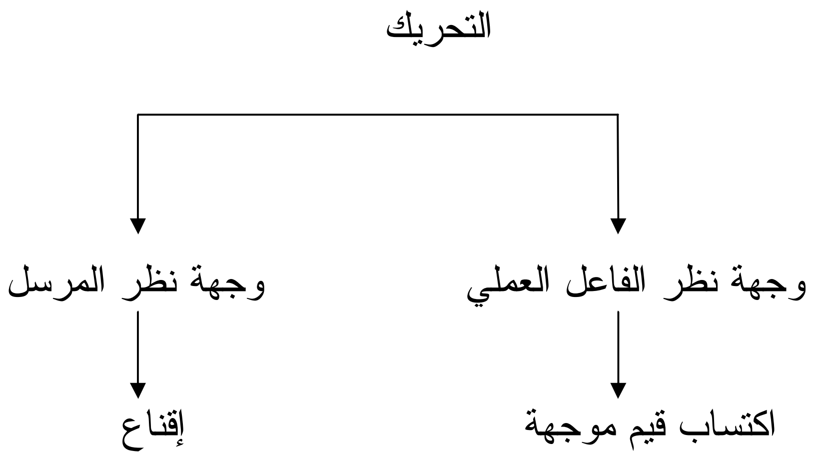
ــ الحالة الأولى: تخص علاقة المرسل بالفاعل، وهي ذات بنية تعاقدية، تهدف من وراء عملية الإقناع إلى امتلاك موضوع القيمة، أي عملية القيام بالفعل "يرتبط التحريك ببنية تعاقدية وبنية كيفية يتعلق الأمر بالتبليغ المخصص للإشعار من خلاله

[1] ـ رشيد بن مالك،المرجع السابق ص29.

[2] ـ نادية بو شفرة ،مباحث في السيميائية السردية،ص72.

يضع المرسل الفاعل في وضعية يفقد فيها حريته إلى حد يضطره إلى قبول العقد المقترح."[1]

ـــ الحالة الثانية: وتتعلق بعلاقة الفاعل بفعله، وهي علاقة ترمي إلى اكتساب قيم موجهة، تقوده إلى فعل الفعل، وهـــذا ما يوضحه المخطط التالي:"[2]



بناء على ما سبق نلاحظ أن التحريك بوصفه طورا أساسيا تتشكل فيه كفاءة الفاعل، وتتهيأ ضمنه الشروط الضرورية لقيام البرنامج السردي، يشتغل على الجهات المعتبرة كممر اضطراري يفضي إلى ممارسة الفعل الحاسم، وتتمثل هـــذه الجهات في التقويم حيث"يقوم التحريك المتموضع من الناحية النظمية بين إرادة المرسل وتحقيق البرنامج السردي من طرف المرسل إليه أو الفاعل على الإقناع المفصل للفعل الإقناعي للمرسل، والفعل التأويلي للمرسل إليه"[3]، لهـــذا يرتبط التحريك بالتقويم، فالأول يختص بالإقناع، والثاني بالتأويل. "فالفعل الإقناعي والفعل التأويلي ما هما إلا إجراءان معرفيان، ينتهيان في الحالة الأولى بالحمل على الاعتقاد، وفي الحالة الثانية

[1] ـ رشيد بن مالك ،قاموس مصطلحات التحليل السيميائي،ص103.

2-Groupe d'entervernes,analyse sémiotique des texte,P57.

[3] ـ رشيد بن مالك،قاموس مصطلحات التحليل السيميائي،ص103.

بالاعتقاد (أو بعبارة أخرى بالفعل الإيبستمي). وعلى المستوى العميق والمجرد للغة، يمكن أن يختزل هذا النموذج التفسيري إلى عدد قليل من العمليات البسيطة.لكنه ــ على المستوى السيميا حكائي ــ يمكن أن تطرأ تمديدات مركبيه تتيح القدرة على المماثلة بين الفعل الإقناعي والتطويع الحكائي، وبين الفعل التأويلي والجزاء الحكائي"[1].

2ــ التقويم:(أو التقييم): يعتبر التقويم المرحلة المتوِّجة للرسم السردي إذ فيها يتم النظر في البرنامج السردي المحقق وتقوم النتائج وفقا لالتزامات الفاعل التعاقدية مع المرسل في أثناء مرحلة التحريك، فالتقويم يعرف بوصفه طورا نهائيا في الرسم السردي، يبرز "كينونة الكينونة"، وفي ترابطه مع التحريك المؤسس للبرنامج المستهدف، يقدم معالجة للبرنامج المحقق في سبيل تقويم ما تم تحويله والنظر في الفاعل المتبني للتحويل"[2]، فهو يعرف بأنه صورة خطابية مرتبطة بالتحريك، إذ فيها تقوَّم النتائج المفضية إلى نهاية البرنامج السردي"[3]، وينتمي إلى المستوى التداولي لأطوار الرسم السردي، ويبقى دائما وثيق الصلة بالتحريك يشكل المستوى التداولي مستوى مرجعيا بالنسبة لطوري التحريك و التقويم، ينبغي أن يؤسس التحريك فاعلا لتحقيق المستوى التداولي، ويجب ــ إن صح القول ــ أن يثير رغبته. يتعلق الأمر إذن بتقديم القيم المستهدفة، وهــذا لا يعني تبليغ القيم بقدر ما يعني تبليغ "قيمة القيم". أما التقويم فإنه مرتبط بالتحقق من تطابق القيم المحققة مع القيم المحددة في بداية التحريك"[4]. ويأخــذ بــذلك التقويم بعدين:

ــ **بعد عملي:** ويكون هــذا من وجهة نظر الفاعل، إذ يناسب التقويم العملي "الجزاء" ويقرر غريماس (A J Greimas)، أن المرسل يقيم في النهاية ما أنجزه المرسل إليه الفاعل ويتبيَّن أكان ذلك مطابقا لما تم الإتفاق عليه بمقتضى العقد أم لا.

[1] ـ عالم الفكر ص112،نقلا عن Lane mercier,La parole romansque,KlincksieckK,1989,p p291.
[2] ـ جان كلود جيرو وآخر،السيميائية نظرية لتحليل الخطاب،ص237.
[3] ـ نادية بو شفرة،مباحث في السيميائية السردية،ص73.
[4] ـ جان كلود جيرو وآخر،المرجع السابق،ص238-239.

فإن كان الأمر كـــذلك كافأه وأكرمه وإلا أنزل به العقاب".[1] وبهـــذا يتم الحكم على الآداء الـــذي يحققه الفاعل طبقا لالتزاماته التعاقدية من قبل المرسل المقوِّم، فإن كان آداء الفاعل إيجابيا نال مكافأة، وإن كان سلبيا استحق عقوبة ويعد في هـــذه الحالة انتقاما أو عدالة. "يخص هـــذا الطور بشكل أساسي عمليات التقييم التي يمكن أن تأخـــذ مظهر الجزاء. تأسيسا على هـــذا يكون الجزاء إيجابيا أو سلبيا تبعا للتقييم الإيجابي أو السلبي"[2]

ـ **بعد معرفي:** يعمل التقييم المعرفي للدلالة على الحكم المعرفي على جوهر الفاعل، وبشكل أوسع على ملفوظات الحالة التي تحدد بواسطة كيفات الصدق والمعرفة، ففيما يستهدف "الفعل الإقناعي التأثير في المرسل إليه ومده بالمعرفة صحيحة كانت أم باطلة، فإن الفعل التأويلي ينبني على تقييم مدى مصداقية المنجز للفعل الإقناعي ويستوي في منزلة "المعرفة عن الـــذات ". فإن وافق الفعل الإقناعي من نفس المرسل إليه رضى وقبولا تم الإتفاق بين العاملين وأبرم العقد".[3] ومن وجهة نظر المرسل إليه الفاعل "يفهم من التقييم المعرفي التعرف على البطل، وسلبيا التباس الخائن"[4].

من الواضح أن التحريك يكتسي أهمية بالغة في الرسم السردي، مع التقييم باكتسابهما للطابع المعرفي، فهما يحددان طرفي السردية عموما " يستند هـــذان الطوران إذن إلى المستوى التداولي لتحدد "قيمته" قبل وبعد تحديده. لهـــذه الاعتبارات، يشكل هـــذان الطوران مستوى معارفيا، وتدخل العمليات التي تشتغل في التحريك والتقييم، بالمقارنة مع تلك المتعلقة بالكفاءة والآداء في عداد النوع المعرفي، المرتبط بهيمنة إقناعية بخصوص التحريك، وهيمنة تأويلية بخصوص التقييم. في

[1] ـ محمد الناصر العجيمي،في الخطاب السردي،ص67.
[2] ـ جان كلود جيرووآخر،المرجع نفسه،ص237.
[3] ـ محدمد الناصر العجيمي،المرجع السابق ص67.
[4] ـ رشيد بن مالك ،قاموس مصطلحات التحليل السيميائي،ص158.

الحالة الأولى "تقنع"، وفي الحالة الثانية "تؤول"ونحن نحيل الى القيم لتقييم الفاعل"[1]. فعلى مستوى التحريك يؤسس الفاعل وتدرك التزاماته التعاقدية وتثار جهات كفاءته، وتؤطر حدود برنامجه السردي، لتفعيل هــذه الجهات في سبيل تحقيق آدءات تكون موضوع تأويل المرسل المقوِّم، الــذي يتأكد من تطابق القيم الممتلكة مع ما ألزم الفاعل بتنفيــذه.

ينبني التأويل أساسا على ضرورة إدراك نشاط المرسل على الصعيد المعار[2] في وضعيتين سرديتين متمايزتين:"

ــ يظهر في الوضعية الأولى من خلال العملية التعاقدية التي تحكم العلاقة المرسل/المحرِّك والفاعل، يختفي المرسل بمجرد إتمام العقد وبداية الفاعل في تحيين مشروعه.

ــ يظهر المرسل من جديد في نهاية الحكاية وفي وضعية ثانية ،في أثناء تقويم الآداءات المحققة ،ظهورا يعكس انتقاله من موقع المرسل/المحرِّك إلى موقع المرسل/المقوِّم، في هــذه الوضعية بالــذات، يؤوِّل المرسل/ المقوِّم، انطلاقا من نظام القيم المنصهر في البنية السردية، الحالات المحولة ويبث في صدقها.

تعرفنا في الفصل الأول ــ من البحث ــ على موجهات الفعل التي تحكم كفاءة الفاعل ضمن المستوى التداولي للبرنامج السردي، وبقي أن نتطرق إلى موجهات ملفوظ الحالة أو موجهات الكينونة الرامية إلى تقويم الفاعل في البعد المعرفي للبرنامج السردي فهناك "فواعل في النص تتموضع بالنسبة للقيم: أنها تقومها، ترغب في تملكها، ترغبها، وتقدر إذا كانت مطابقة أم لامع نظام القيم، فهي تتموضع على هــذا الأساس بالنسبة للقيم المقومة، وفق نظام الصدق:صدق/باطل، سر/كــذب، ...الخ"[3].

---

[1] ـ جان كلود جيرو وآخر ،السيميائية،نظرية لتحليل الخطاب،ص239.
[2] ـ رشيد بن مالك،البنية السردية في النظرية السيميائية،ص31.
[3] ـ جان كلود جيرو وآخر ،السيميائية نظرية لتحليل الخطاب،ص239.

3ـ الكيفية التصديقية :

يقوم التحليل السيميائي على التمييز القاعدي بين الفعل والحالة، المتمظهران في النصوص بواسطة نوعين من الملفوظات: ملفوظات الفعل وملفوظات الحالة. إذ يناسب ملفوظ الحالة العلاقة وصلة أو فصلة بين فاعل الحالة وموضوع القيمة، أي اتصال أو انفصال يحدث بين الفاعل وموضوعه، في حين يناسب ملفوظ الفعل العلاقة تحويل انفصالي أو اتصالي عن موضوع القيمة (كما رأينا هــذا في الفصل الأول من البحث)، على مستوى هــذا الملفوظ يمكن أن يتحقق نوعان من العمليات:"[1]

التحويل والتكييف، يتمثل التحويل في الإنجاز الــذي يغير العلاقة من حالة وصلة مثلا إلى حالة فصلة. والتكييف هي التي تصف طبيعة هــذه العلاقة". وتستعمل القيم الكيفية وتنسيقاتها المختلفة من وجوب الفعل، والقدرة على الفعل، ومعرفة الفعل، وإرادة الفعل على إبراز الكيفيات المختلفة لملفوظ الفعل، ولإبراز الكيفيات المتنوعة لملفوظات الحالة تستعمل مقولة"التصديق" التي تحتوي على عدد من العناصرالكيفية المنسقة، فالعلاقة بين الفاعل وفعله لا تتعلق بالاتصال والإنفصال وحسب، إنما على مدى صدق العلاقة في حد ذاتها بينهما. فيحتمل أن تكون صادقة أو كاذبة، أوباطلة.

لقد عمد غريماس(A J Greimas) إلى صياغة مبدأ المحايثة في البحوث السيميائية، وفق منظورين"يبنى المنظور الأول على مقولة التصديق المتمفصلة إلى محوري المحايثة (الكينونة) والتجلي(الظاهر)، ويؤسس المنظور الثاني على المقابلة"[2]، مما يؤكد أن دراسة المصداقية كمن بين الظاهر والباطن ويستعمل في التحليل مصطلح التصديق بدل الصدق وذلك للتأكيد على أن "ملفوظات الحالة ليس لها صدق، أي ليست لها حقيقة في حد ذاتها ولكن الصدق مبني ويظهر كأثر للسياق السيميائي الــذي يصفه

[1] ـ رشيد بن مالك ،قاموس مصطلحات التحليل السيميائي،ص252.

2 - GRoupe d'Entrevernes,OP,cit,P35.

التحليل بواسطة تنسيق مستويات التجلي والكينونة"[1]، فكل علاقة حالية بين الفاعل وموضوع القيمة تفترض وجود معاين ما (ملاحظ) مضمن في النص يعرض وجهة نظره عن تلك العلاقة، مستندا في ذلك إلى تأويلاته الخاصة والتي تعرف بحالة الفعل. كما هو على مستوى المتجلي أي الظاهر، وما يخفيه الباطن على المستوى الإني ليعين مدى مطابقة الأول للآخر. "ننطلق من مسلمة مفادها أن كل علاقة بين فاعل وموضوع تعرض من وجهة نظر"عون" ما مضمن في النصرويستتبع ذلك أن التقديم غير بريء لكنه ينطوي على فعل تأويلي تقويمي ينتقل العون بمقتضاه من الظاهرالجلي إلى الكيان الباطني مبرزا مدى مطابقة هـذا لـذاك"[2]. فالمصداقية من حيث هي حكم تقويمي، يأخـذ في اعتباره مدى ملاءمة الأشكال الخارجية في شتى صورها، لما تحمله بداخلها من اختلاف في الجوهر وتغاير في الماهية فلا "المتجلي ولا الإني يشكلان قيما في حد ذاتها، إنما هي ألفاظ متلازمة، تشير فقط إلى أن المحكيات دائما تعرف على مستويين وفي حدود نمطين، وحقيقة هـذه الحالة هي أنها تلعب دورا في تمفصل هـذين الصعيدين للتعريف"[3].

ومن هنا فـذكرهما لا يغد جزافا، ولا لمجرد التعريف بهما، إنما يتقابل الإثنان عكسيا (المتجلي عكس الإني)، فينجم عن ذلك وحدات ظاهرية وأخرى باطنية، وينشأ عن فنون تآلف العلاقات بينهما صور متعددة تثبت مفهوم المصداقية، الذي يروم استقراء غايات منطقية تتلخص في صور أربع:"[4]

أ ـــ إذا كانت العلاقة الوضعية في كلا المستويين موسومة إيجابيا (باطن+ظاهر) استقامت في مرتبة الصدق.

---

[1] ـ رشيد بن مالك،قاموس مصطلحات التحليل السيميائي،ص253.

[2] ـ محمد الناصر العجيمي،في الخطاب السردي،ص60.

-2Groupe d'entrevernes,op,cit,p42.

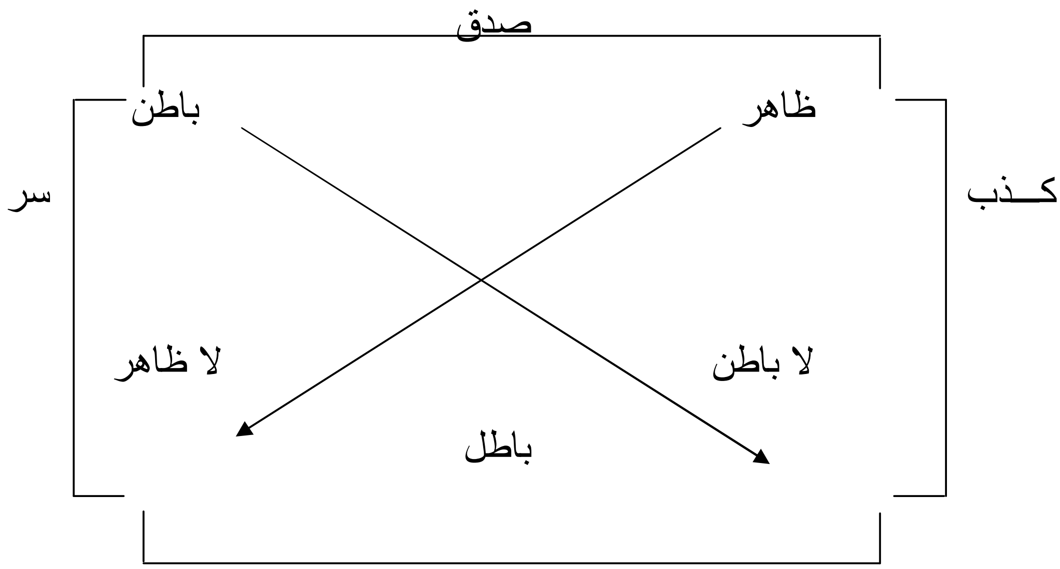
[4] ـ محمد الناصر العجيمي،في الخطاب السردي،ص65.

ب ــ إذا وسمت العلاقة الوضعية سلبيا في كلا المستويين (لا باطن+لا ظاهر) حكم عليها بالبطلان (باطل).

ج ــ إذا كانت العلاقة محددة سلبيا في مستوى المتجلي، وإيجابيا في المستوى الإني (لاظاهر+باطن) استوت في منزلة "السر".

د ــ في حال تحديد العلاقة الوضعية ايجابيا على صعيد المتجلي وسلبيا على صعيد الإني (ظاهر+لا باطن) تكون العلاقة بمنزلة "الكــذب".

انطلاقا من هــذا التقسيم الأساسي وبتوظيف المربع السيميائي نحصل على أربع مقولات من مصف أعلى مباشرة وهي: صدق، باطل، سر، كــذبوالقابلة لمفصلة البعد المعرفي في مستواها، يمثلها النظام التالي، والــذي أطلق عليه غريماس(AJ Greimas)، مصطلح "المربع التصديقي" أو "مربع المصداقية"



لنلاحظ في النهاية أن مزايا المربع السيميائي ليس فقط" تحرير هــذه المقولة التكييفية من علاقاتها مع المرجع غير السيميائي ولكنه يقترح أيضا أن يكون التصديق تشاكلا سرديا مستقلا قابلا لأن يضع مستواه المرجعي الخاص به، وتنميط الإنزياحات والإنحرافات داخله مؤسسا بذلك الحقيقة الداخلية للحكاية"[1]، ومن هنا فلا يمثل المظهر

[1] - جوزيف كورتيس،مدخل الى السيميائية السردية والخطابية،ص128.

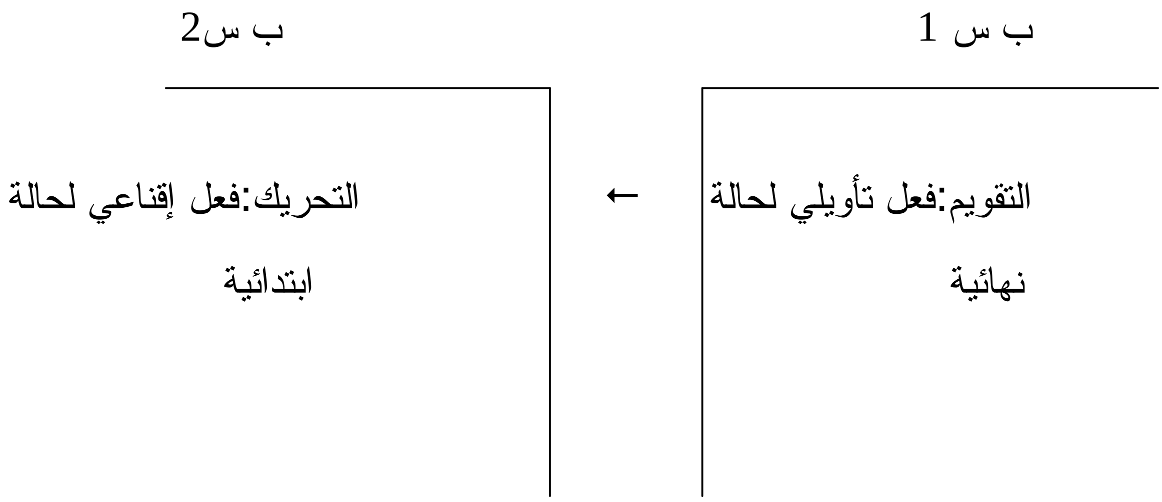
والكينونة قيما في حد ذاتها، أنها "كيفيات لملفوظ الحالة المتموضعة في بنية الحكاية، كما لا يساعد على وضع تقييم خلقي للعوامل (بحيث تعكس الكينونة العمق الروحي أو الحقيقي...، والمظهر يعكس كل ما هو سطحي، خارجي...). بل يساعدان على وضع تصنيف كيفي ونظامي للوضعيات التي يستقرمن خلالها الصدق في النصوص."[1]، وتلك الصور الأربع (صدق، كــذب، باطل،سر)، هي التي" تكيف ملفوظ الحالة وفق الظاهر، والكينونة، وتجعلها بمثابة موجهات لتلك الملفوظات، قد تجتمع كلها في الخطاب السردي، كما قد يقع جزء منها"[2] فهي"تلعب دورا مهما في تصنيف العوامل، وذلك بناء على أن العامل يتحدد تركيبيا من خلال موقعه في التسلسل المنطقي للحكي (المسار السردي)، ومورفولوجيا بواسطة المضمون الجلي الذي يتكلف به".[3]

وهكــذا "يسمح الفصل أو الوصل بين "الكينونة" و "الظهور" ومتناقضاتها بتعيين حالات تكييف الوظائف و/أو العلاقات التي تنتمي إلى المستوى الأدنى للملفوظات السردية، فإذا تموقعنا في هــذا المستوى الأعلى تراتبيا والذي هو التكييف حسب المعرفة نستطيع ليس فقط الأخــذ بالإعتبار الحالات الأربع المقترحة (صدق،باطل،سر،كــذب)، ولكن لفعل تحويلي بينها يتحدد هنا كفعل معرفي"[4].

وفي نهاية مرحلة التقويم تجدرالإشارة إلى أن كل فصلة في حقل التصديق لا يمكن أن تظهر إلا في حالة ربطها بين ذاتين، مما يعني وجوب التمييز بين نمطين من الفعل المعرفي: الفعل الإقناعي من منظور المرسل ــ الــذي رأيناه في مرحلة التحريك ــ فهو ناتج عن فعل التــأثير الممارس من المرسل على الفاعل لآداء المهمة التي كلف بها في الحصول على موضوع القيمة. وبين الفعل التأويلي من منظور

[1] - رشيد بن مالك،قاموس مصطلحات التحليل السيميائي،ص254.
[2] - نادية بو شفرة ،مباحث في السيميائية السردية،ص75- 76.
[3] - يعيد يقطين،قال الراوي،البنيات الحكائية في السيرة الشعبيةنالمركز الثقافي العربي ،بيروت ،الدار البيضاء،ط1997،1،ص136-137.
[4] - جوزيف كورتيس،مدخل الى السيميائية السردية والخطابية،ص127.

المرسل إليه والـــذي يقابله في الوقت ذاته (فعل تأويلي عكس فعل فعل إقناعي) "الـــذي يربط بين السبب والنتيجة في علاقة مسماة بالعلاقة الإئتمانية، والتي تتأسس على معرفة الروابط بين المستوى الظاهر الجلي، والمستوى الإني الباطن. للعلم نميز بينها وبين ما أطلق عليه العقدالإئتماني، فلا صلة تنسب إليهما إطلاقا ــ لأن هـــذا الأخير ــ قائم على تقييم الفاعل للموضوعات المتبادلة"[1]. ومن هنا فالفعل الإقناعي يستوي في محور مواز للفعل التأويلي لكنه يختلف عنه نوعيا، فالأول يسعى للتأثير في المرسل إليه، ومده بالمعرفة "فهو شكل من أشكال الفعل المعرفي ومرتبط بهيئة التلفظ، يرتكز على استدعاء اللافظ لكل أنواع الكيفات التي ترمي إلى جعل الملفوظ له يقبل العقد التلفظي المقترح"[2]، وسرعان ما يتحقق الفعل التأويلي للمرسل في مرحلة التقويم للحكم على شرعية الفعل المنجز للعقد المبرم بين العاملين. وبهذا يكتسب الفعل الإقناعي والفعل التأويلي طابعا معرفيا، مستخلصا من تمفصل أطراف البرنامج السردي الواحد، ابتداء من التحريك، وانتهاء بالتأويل، لينبثق برنامج سردي جديد كما هو مبين في الشكل الشكل الآتي:"[3]



1 ـ محمد الناصر العجيمي،في الخطاب السردي،ص67.
2 ـ رشيد بن مالك ،قاموس مصطلحات التحليل السيميائي،ص137.
-3 Groupe d'entrevernes,analyse sémiotique des textes,p57.

بالإضافة إلى أن "الفعل الإقناعي والفعل التأويلي الذين يحركان حالات التصديق يتموقعان في مستوى يعلو هـــذه الحالات تراتبيا، إنه مستوى كيفية الإعتقاد"[1]. كما أن "الفعل الإقناعي ينتظم في نطاق المناورة، وتختص المناورة إما بقيمة الأشياء فتقوَّم إيجابيا, وعندئذ يكون الإغراء، أوسلبيا ويكون عندئـــذ التحـــذير،وإما بكفاءة المرسل إليه فيشاد بها ويثنى عليهاوهو ما يحدد الإطراء،أو يعرض بها ويحقر من شانها ،ويميز ذلك التحدي"[2]

ويمكن أن نلخص مراحل البرنامج السردي في الجدول الآتي:"[3]

[1] ـ جوزيف كورتيس،المرجع السابق،ص128 .
[2] ـ محمد النصر العجيمي،في الخطاب السردي،ص67.
[3] ـ المرجع نفسه ص،69.

المناورة	تنتظم في مستوى علاقة المرسل بالمرسل إليه وتأ ثير ذاك في هــذا للقيام بالفعل وهو ما يوسم بالفعل الإقناعي (فعل الفعل)	التعريف بقيمة الأشياءالتي هي مموضوع المشروع المعتزم القيام به.	إبرام العقد بين المرسل والمرسل إليه	مدى معرفي إقناعي ↓
الكفاءة	كيان الفعل	الرغبة في الفعل الشعور بوجوب الفعل القدرة على الفعل،المعرفة بالفعل		
الإنجاز		السعي إلىتحقيق الموضوع ونقل الكيان من حال إلى حال .		
الجزاء	تقييم الأفعال والموضوعات التي تم تحقيقها(كيان الكيان)			مدى معرفي تأويلي

وشكلت مقولة الصدق والتصديق موضوعا هاما في النظرية السيميائية عند غريماس (A J Greimas)، التي جعلته محل انتقاد النقاد والمنظرين، الذين رأوا أنه من الضروري اعتبار صيرورة العوامل في مسألة الصدق والواقع "كان ينبغي أيضا اعتبار العوامل في صيرورتها، دون الإكتفاء بالترابط المتبادل بين الواقع والصدق، دون الإقتصار على مفاهيم الوعي المرجعي والتصديق المثبتة في القاموس، وفي النهاية كان ينبغي أن يتم تحوير الرسم العاملي، تبعا لقيود التلفظ، ويرد من هـذا المنظور كل خطاب إلى هيآته اللافظة"[1]، غير أنه من الخطأ ربط مسائل التصديق ببنية التواصل بين شخصين. يمثل اللافظ والملفوظ له فواعل تركيبية يمكن أن يقوم بها في أغلب الأحيان ممثل واحد الفاعل المتكلم، ولا يمثل الإقناع التأويل، الفعل ـ الإعتقاد والإعتقاد الصادق إلا إجراءات تركيبية قابلة للتعرض إلى "البحث الداخلي عن الصدق".[2]

لكن غريماس(A J Greimas) عندما اقترح هـذا التأويل السيميولوجي للحقيقة والصدق، فإنه قد حرر هذه المقولة الكيفية من العلاقة المشار إليه في الواقع الخارجي، مما يوحي بأن الحقيقة السردية تمثل تشاكلا قصصيا مستقلا قابلا لإقامة مستواه الإشاري الخاص الذي يسميه الباحثون الحقيقة المنبثقة للحكاية. ومنذ اللحظة التي يتضح فيها أن الحقيقة في الخطاب ليست تمثيلا للحقيقة الخارجية ولكنها بناء بـذاته "إذ لا يكفي حينئـذ وصف علامات الحقيقة في الخطاب، بل وجب الانتقال إلى مجال القائل والمقول له، لكي يمكن لهـذه الحقيقة أن تقال وتقبل، وحينها فإن العملية المعرفية، وهي إنتاج الحقيقة التي يحققها القائل، لا تتمثل في إنتاج أقوال أو خطابات حقيقية، يقدر ما تتمثل في توليد خطابات تنتج تأثيرا دلاليا يمكن تسميته حقيقة"[3].

[1] ـ آن إينو وآخرون،السيميائية،الأصول ،القواعد والتاريخ ،ص263.
[2] ـ رشيد بن مالك،قاموس مصطلحات التحليل السيميائي،ص251.
[3] ـ عطية العمري،التحليل السيميائي للنصوص السردية،الموقع:.http://dz.echoroukonline.com/montada/showthread

ومن هذا المنظور فإن غريماس(A J Greimas) يرى أن إنتاج الحقيقة يتصل بممارسة فعل المعرفة الخاص، وهو ما يسميه "أن تجعل الشيء يبدو حقيقيا، أي أن المسألة في الإبداع السردي لا تتعلق ببناء خطاب وظيفته"قول الحق" بل وظيفته"أن يبدو أنه يقول الحق"[1]، "مما يوحي بأن الحقيقة السردية تمثل تشاكلا قصصيا مستقلا قابلا لإقامة مستواه الإشاري الخاص، الذي يسميها الباحثون "الحقيقة المنبثقة للحكاية"[2] أي أنها بناء قائم بذاته وهي كما يقول عنها "غريماس":"أن تجعل الشيء يبدو حقيقيا"[3].

[1] ـ عطية العمري ،الموقع السابق.،
[2] ـد صلاح فضل بلاغة الخطاب وعلم النص،الشركة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، لونجمان،القاهرة نمصر،ط1996،1،ص407.
[3]ـ نفسه ص 408.

سيميائية الحكاية في مؤلف كليلة ودمنة

- مقاربة سيميائية للحكايات

- باب الأسد والثور
- حكاية الحمامة المطوقة والجرذ والغراب والظبي
- حكاية الحمامتين

لاحظنا في الفصل السابق من البحث أهمية عملية التقطيع في معرفة البنيات الدلالية الكامنة في عمق النص ،ورأينا أن هناك مجموعة معايير مختلفة ،تعمل على تقطيع النص وفق خصوصياته المتنوعة،ومن بين المعايير التي تقف عند حدود الوحدات المعنوية الصغرى المكونة للنص، نجد:

ـ معيار التشاكل:

يعتبر معيار التشاكل من أهم المعايير التي تساهم في تقطيع النصوص على مستوى الوحدة المعنوية،وخلق آثار الدلالة.وهـذا يعني أن التشاكل له علاقة وطيدة بالمعيار الدلالي أو التيماتيكي.ومصطلح التشاكل هو من طبيعة فيزيائية وكيميائية يدل على " الوحدة والموحد والتجانس والتناظر والتشابه والتماثل،كما يدل على تساوي الخصائص في جميع الجهات ،ويعني أيضا الانتماء إلى حقل أو مجال أو مكان معين"[1]وقد نقل غريماس هـذا المصطلح واستثمره في سيميائية السرد، وذلك باعتباره من أهم المفاهيم المركزية لتحليل الخطاب، وبناء المعنى، وتحقيق الاتساق والانسجام و استكناه الدلالة تجريدا وتقعيدا.ويتم التشاكل عن طريق تراكم المقومات المعجمية والمقومات السياقية ،ويكون على مستوى الجملة، كما يكون على مستوى الخطاب،ويكون أيضا على مستوى المضمون والدلالة، كما يكون على مستوى الشكل التعبيري،ويتحقق كـذلك على المستوى التداولي و المقاصدي،ويعني هـذا أن"التشاكل عبارة عن مجموعة من المقولات الدلالية التي تجعل قراءة سردية ممكنة منسجمة،والتي تتم قبل ذلك بواسطة قراءات جزئية للأقوال وكل ذلك من أجل إزالة الغموض والإبهام عن النص المعطى"[2] ،ويؤدي "تحديد التشاكلات إلى إبراز آليات نمو الخطاب الروائي وتوالده،فالخطاب يحدد إطارا متشاكلا ،يعمل على تنمية مقاطعه

[1] - مجلة الرواية،د حميد حمداوي،المعايير السيميائية لتقطيع النصوص والخطابات،الموقع:.http://alrewaia.com/show،2011-07-28.
[2] - المرجع السابق.

الأخرى اعتمادا على هــذا الإطار الأولي بمراكمة الوحدات المعجمية التي تنتشر داخل المسارات التصويرية"[1]،وعليه فالتشاكل مفهوم سيميائي إجرائي يسعف الباحث على تحليل الخطاب دلالة وصياغة و مقصدية،عن طريق رصد المقومات المعجمية والسياقية من بين الأنواع التالية:التشاكل الصوتي ،و التشاكل الإيقاعي،و التشاكل الدلالي ،والسردي...الخ.

ــ المعيار التداولي:

يعتبر المعيار التداولي الحجاجي من أهم المعايير التي تستعمل لتحديد المقاطع،حيث يتضمن النص أو الخطاب مجموعة من الرسائل و المقصديات المباشرة وغير المباشرة ،الظاهرة والمضمرة،الحرفية والإيحائية ،والتي من خلالها تتحدد المقاطع النصية ،وتبرز بشكل واضح وجلي للمحلل والدارس السيميائي تفكيكا وتركيبا،فالمحاجج(من يقدم الحجج) يسعى إلى تقديم سلسلة من القضايا ،ينبثق بعضها منطقيا من بعض،وذلك لتحقيق عمليات الاقتناع والإقناع،و التأثير والتداول والتأويل،وبالتالي تساهم هــذه العمليات والقضايا المنطقية في ظهور المقاطع النصية، وبروزها بشكل واضح.[2]

وانطلاقا من هــذين المعيارين يتم تقطيع النصوص الحكائية ،باعتبار أنها بني تركيبية تعتمد صيغ الحجاج ،ولأن دراسة المربع التصديقي للنصوص السردية تندرج ضمن البنية العميقة القائمة على وحدات تيمية متعالقة فيما بينها.

تتميز نظرية غريماس(A J Greimas)للسردية بكونها بنية لها تجلياتها ،وتتشكل في كليتها طاقة إجرائية واسعة الأفق ،فهي لا تقف عند حدود القصة فحسب،بل تفوق ذلك لتنطبق على كل ما يتصل بالنصوص في مداها الثقافي الموازي لكل تفكير

[1] - عبد المجيد نوسي،التحليل السيميائي للخطاب الروائي،ص52.

[2] - د حميد حمداوي، مجلة الرواية الموقع،.http://alrewaia.com/show،28-07-2011.

جدي،يلخص الإستراتيجية النصية المولدة للمحكي عموما،وبغية التنسيق بين المعطيات النظرية للكيفيات التصديقية والتمارين التطبيقية ،ارتأينا تناول بعض النصوص الحكائية من مؤلف "كليلة ودمنة" ــ على غرار ما فعلنا في الفص الأول ــ للكشف عن أسرار اللعبة السردية من خلال السر ، والباطل ،والصدق ،والكذب ،إذ"يساعد تنسيق مساند الكينونة و الظاهر على رسم تمثيل للعبة السردية الخاصة بــ/الصدق/ (و/الكينونة/)./البطلان/(و/اللا كينونة/)./السر/و/الكــذب/.إن أداة من هــذا النوع تسهل على حد تعبير غريماس(A J Greimas)التحليل الرائع للعبة الأقنعة الــذي يعد أحد المحاور الجوهرية للمتخيل السردي"[1].

[1] - جان كلود كوكي،السيميائية مدرسة باريس،تر رشيد بن مالك،دار الغرب للنشر والتوزيع،وهران،2003،ص 123.

1ـ حكاية(باب)الأسد والثور:

يعد "باب الأسد والثور"أول كتاب "كليلة ودمنة"، ويعتبر حكاية إطار لمجموعة من الحكايات المثلية المضمنة فيه،حيث طلب الملك"دبشليم" من الفيلسوف"بيدبا"أن يضرب له مثلا عن المتحابين الـــذين يقطع بينهما الكاذب المحتال"قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف وهو رأس البراهمة،:اضرب لي مثلا لمتحابين يقطع بينهما الكـــذوب المحتال حتى يحملهما على العداوة والبغضاء".[1]فأجابه بحكاية الأسد والثور. حيث التقى الأسد بالثور، وأحب أحدهما الآخر وتصادقا، وأصبح الثور أقرب ا لأصحاب إلى الأسد،أنيسه وجليسه، مستودع أسراره وأمينها، إلى حد صار فيه يشاوره في أمره.وعندما رأى"دمنة"توطد العلاقة بينهما،اشتعلت نار الحسد والغيرة في قلبه ،ونالت منه حدا قرر فيه التخلص من الثور"شتربة"،لأنه اغتاظ منه غيظا شديدا،فقد ظن أنه قد أخـــذ مكانته عند الأسد،التي كانت رتبته قبل مجيء الثور،إذ كان مقربا إلى الأسد بفضل حنكته ودهائه،فسعى بالنميمة والمكر والخداع للتفريق بين الصديقين،فكانت النتيجة في النهاية مصرع الثور على يد أعز أصدقائه الأسد.

والنص يقدم جملة من المعطيات والمواصفات التي من شأنها إبراز جملة من الأحكام التقييمية الهادفة إلى وضع آليات معرفية بخصوص المصداقية،والمتجلية من خلال السر ،الباطل،الكـــذب، والصدق،موزعة على عدة محاور تتخلل أحداث الحكاية.ونبدأ بطرح الإشكالات التالية:ما الذي جعل ابن آوى المدعو"دمنة" (الفاعل) يُقبل على فعلته؟وما الـــذي يبرر دخوله دائرة الخطر بامتلاكه الكفاءة اللازمة المتمثلة في الخبرة والدهاء لتنفيـــذ المؤامرة؟ومن ثَم اكتساب الطاقة الكامنة التي يجسدها عقله المدبر لإنجازها؟أهناك دافع يموّله،يحتم عليه الدخول في انتقالات وتحويلات لا حصر لهما؟أم هناك سلطة مهيمنة عليه تحرضه وتجبره على الفعل،مما يبرز نفوذها

[1] ـ كليلة ودمنة، ص 81.

عليه؟.وللإجابة عن هـــذه التساؤلات ،نبتدئ الدراسة بعنصر التحريك الـــذي لا يتم ـــ كما رأينا في القسم النظري ـــ بمحض إرادة الفاعل،إنما يتدخل المرسِل المحرك ،وهو الأنانية الرامية إلى ضرورة استرجاع المنزلة والحظوة لدى الأسد من قبل الفاعل "دمنة"،بحيث يمثل الأسد في هـــذه الحالة المرسل إليه (المحرَّك)،والسبيل إلى تلك العلاقة وجود فعل إقناعي عمد إليه الفاعل.

وقد بلغ الإقناع درجة عالية من التألق في "باب الأسد والثور"وكـــذا "باب الفحص عن أمر دمنة"،فعندما فقد "دمنة" مكانته عند الأسد ملك الغابة بتقريبه"شتربة" الثور إليه،نشأ عند"دمنة" برنامج سردي مضاد،هو الرغبة بل وضرورة استرجاع المنزلة المفقودة،وذلك لن يتم طبعا إلا بإقصاء الثور من حياة الأسد نهائيا.فلا معنى "للمعية والشراكة"في قاموس" دمنة" للدهاء،فابتكر حيلة إقناعية من حلقتين تلتقيان في نقطة حاسمة هي نقطة اللا عودة للثور،أي لحظة قتله من طرف الأسد،فهو لم يتوان في التحريض بينهما، وإشعال نار الفتنة حتى انتهى المشروع لصالحه في النهاية(نهاية باب الأسد والثور فقط).

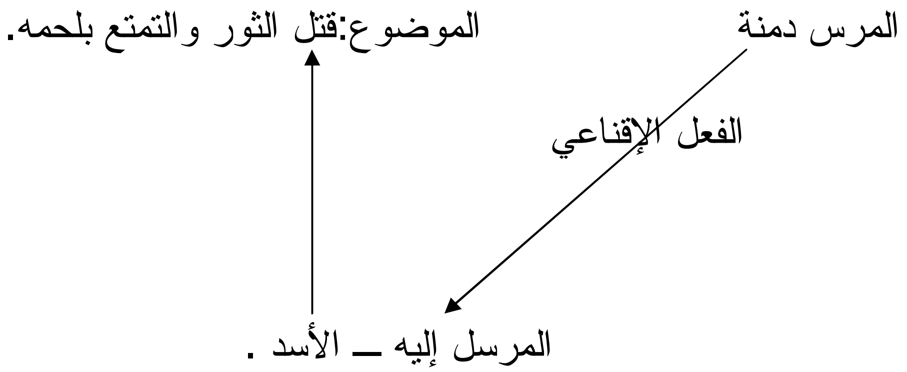
في الحلقة الأولى أقنع"دمنة" الأسد بضرورة الإسراع في القضاء على الثور،مستعينا في ذلك بعدد من الحكايات المثلية لإقناعه،لأن الأسد لم يقتنع بسهولة في بداية الأمر،لكن "دمنة" طبق إستراتيجية حجاجية محكمة من صنيع دهائه.

وفي الحلقة الثانية أقنع الثور بوجوب التصدي للأسد ومقاتلته .ولم ينفق في ذلك ولو حكاية مثلية واحدة (على عكس الأسد)،وذلك لأن الثور بســـذاجته اقتنع ببساطة،وخضع للأمر المحتوم وقرر مصارعة الأسد.

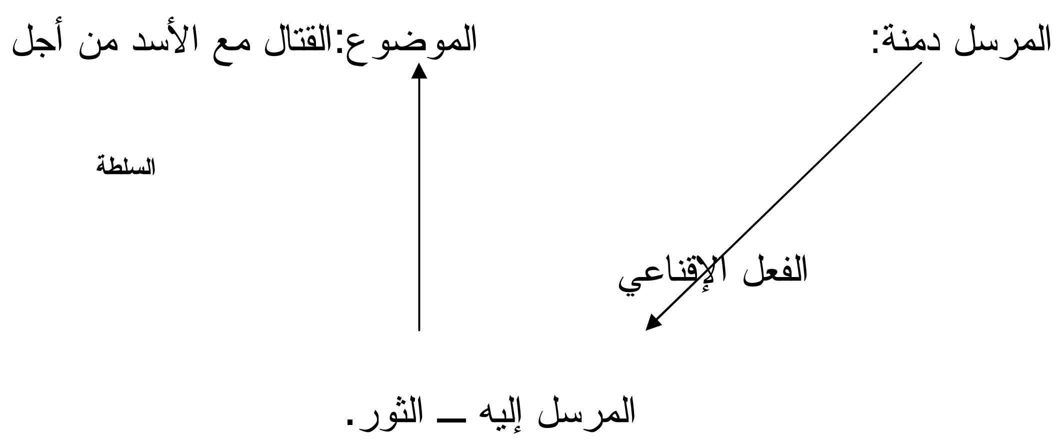
وبهـــذا استطاع" دمنة" أن ينجح في إشعال حرب دموية قاتلة بين الصديقين ،بعد أن استغل كل وسائل التحريض والتحفيز على القتال ،الـــذي انتهى بمصرع الثور

،وانتصار الأسد بقضائه عليه لصالح "دمنة" لكنه ندم على ما فعل بصاحبه ،وقرر التفحص في أمر "دمنة".ونستنتج من ذلك أن الفعل الإقناعي الــذي قام به هــذا الأخير اتسم بطابع الازدواجية:

1ـــ فعل إقناعي محقق من "دمنة" المرسل إلى الأسد المرسل إليه ،حين حرضه على قتل "شتربة"والتمتع بلحمه رفقة جنده وأقرانه وهو الموضوع.



2ـــ فعل إقناعي محقق هو الآخر من المرسل" دمنة" ،إلى المرسل إليه الثور،ويتجلى من خلال تحريضه هو الآخر على مقاتلة الأسد،الــذي قرر أكله بزعم من "دمنة"وذلك من أجل بقائه وانفراده بالسلطة،بعد القضاء على ملك الغابة ليصبح هو ملكها بعد فوزه.



ومن هـــذا نتبين أن فعل التحريك جاء مقترنا بالمرسل "دمنة" في كلا الحالتين.وكما لاحظنا ــ في القسم النظري ــ أن التحريك مرتبط بالتقويم الـــذي مرده إلى أن العلاقة الحالية بين الفاعل والموضوع ،لا تستقيم فقط على الاتصال والانفصال ،وإنما من حيث صدقها ،فقد تكون صادقة أو كاذبة أو باطلة أو سرية.

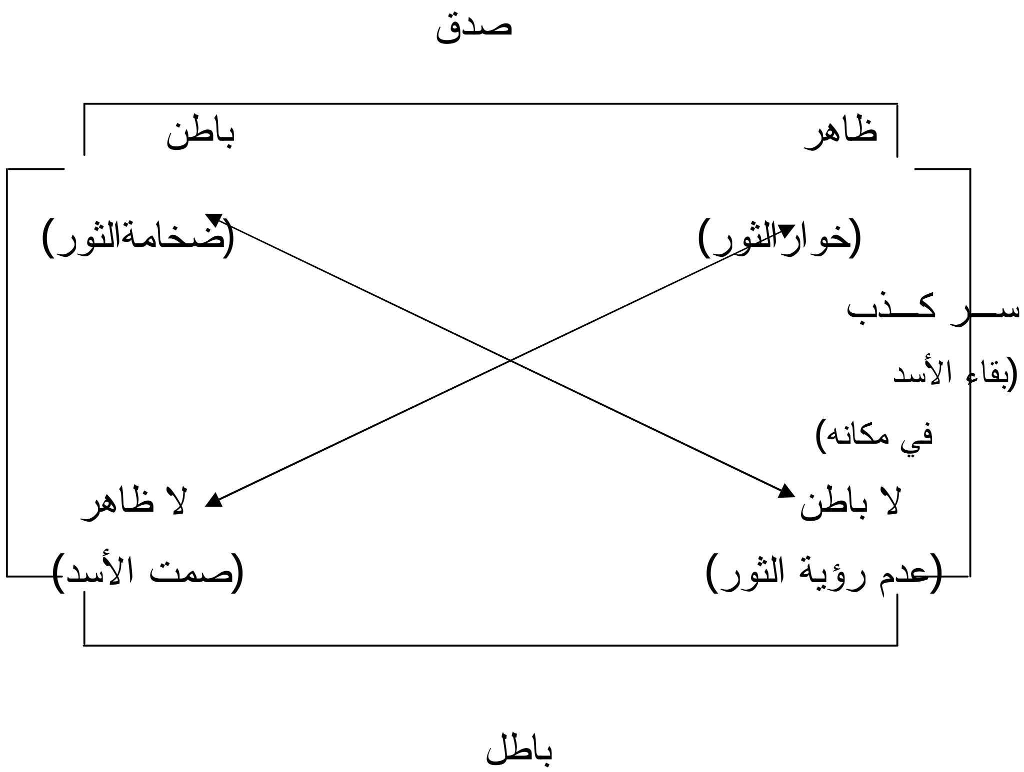
في بداية الحكاية يظهر الثور في الغابة معرفا بنفسه من خلال صوت خواره العظيم،الـــذي كان يرفعه بين الفينة والأخرى معلنا عن أمنه واستقراره ،مما زاد في وزنه ،إذ سمن من وفرة الأكل ورغد العيش،مما جعله يشكل هاجسا مخيفا للأسد، الـــذي سمع صوته دون أن يرى شكله،فظن أن هناك من يتربص بعرشه وسلطته على الغابة، ومن هـــذا نتبين الكيفيات التصديقية التالية:

ــ الصدق:يظهر من خلال ضخامة الثور وازدياد وزنه(ظاهر)بعد أن أدرك الأمن والاستقرار(باطن) فتصبح المعادلة:ظاهر+ باطن = صدق.

ــ قد يكون الثور حين يرفع صوته موضع الكـــذب، فخوار الثور(ظاهر)، والأسد لم ير ثورا من قبل(لا باطن)، مما يجعله يخشاه، مع أنه في الباطن مجرد حيوان عشبي، غير مفترس مثله، فنحصل على:ظاهر+ لا باطن = كـــذب.

ــ السر نلمسه من خلال صمت الأسد عن خوفه ورهبته من الثور فقد قبع مقيما في مكانه(لا ظاهر)،ولكنه في حقيقة الأمر متخوف من الثور في داخله(باطن)،أي:لا ظاهر + باطن = سر.

ــ أما الباطل فيمكن أن نمثله بصمت الأسد ،وبقائه في انتظار ما يقتات به على يد جنده،فلا الظاهر يؤكد خوف الأسد من الثور(لا ظاهر)،ولا الباطن يثبت صحة ذلك(لا باطن)،ويمكن تمثيل ذلك بالمخطط التالي:



ويتعلق الصدق بالإقناع الــذي قام به "دمنة"، والمواجهة بين الأسد والثور ،ونجده من خلال الحالات التصديقية التالية:

ــ يظهر الصدق في أمرين:

*ــ صدق الأسد في إنكاره على "دمنة" اتهامه الثور بالخيانة،وبدا أميل إلى الطعن في خبر المؤامرة بقوله"لا أظن الثور يغشني"[1]فالظاهر يظهر صدق الأسد والباطن يؤكده،أي:ظاهر +باطن = صدق.

[1] ـ كليلة ودمنة، ص108.

*ـ صدق الثور عندما أكد لدمنة براءته من أي شيء قد سبب سخط الأسد،مبينا له أن ذلك مرده إلى مؤامرة قد حيكت ضده،"ولا أظن لأسد إلا قد حمل علي بالكـذب وشبه عليه أمري".[1]

ـ يظهر الكذب من خلال أفعال "دمنة"،لأنه أظهر ما لا يبد للأسد والثور معا ،فقد ذهب إلى الأسد ليقنعه بضرورة قتل الثور مبديا له ملامح الود والنصح"لم أجد بدا من أداء النصح الـذي يلزمني"[2]،كما أظهر للثور ملامح الحزن والكآبة للخبر الجلل الـذي زعم أنه قد سمعه وجاءه ليخبره به "فانطلق فدخل على "شتربة" كالكئيب الحزين"[3]،ولكنه يبطن في داخله أصول الحقد والضغينة ضده،ليبعده عن الأسد ويستعيد بذلك المنزلة التي يعتبرها من حقه وحده،كما يعتبر نفسه صاحب فضل على الثور ،فهو الذي استطاع أن يجعله صديقا حميما للأسد ،يستطيع أن يكون سببا في مصرعه،وهذا ما أكده لصديقه"كليلة"قائلا:"إن الثور لكما ذكرت في قوته ورأيه،ولكنه مقر لي بالفضل وأنا خليق أن أصرعه"[4]،فظاهر "دمنة"ليس كباطنه وهذا ما يجعله في مرتبة الكذب،وفق المعادلة:

ظاهر + لا باطن = كذب.

ـ يتجلى السر في الصورة التي التزم بها الأسد، فقد كان جالسا على قدميه ،ناصبا فخذيه ،مظهرا مظاهر القوة والهيبة بما أنه "ملك الغابة" (ظاهر)،ويضمر في الوقت نفسه الشر لمواثبة الثور وقتله(لا باطن) لتكون المعادلة:ظاهر + لا باطن = سر.

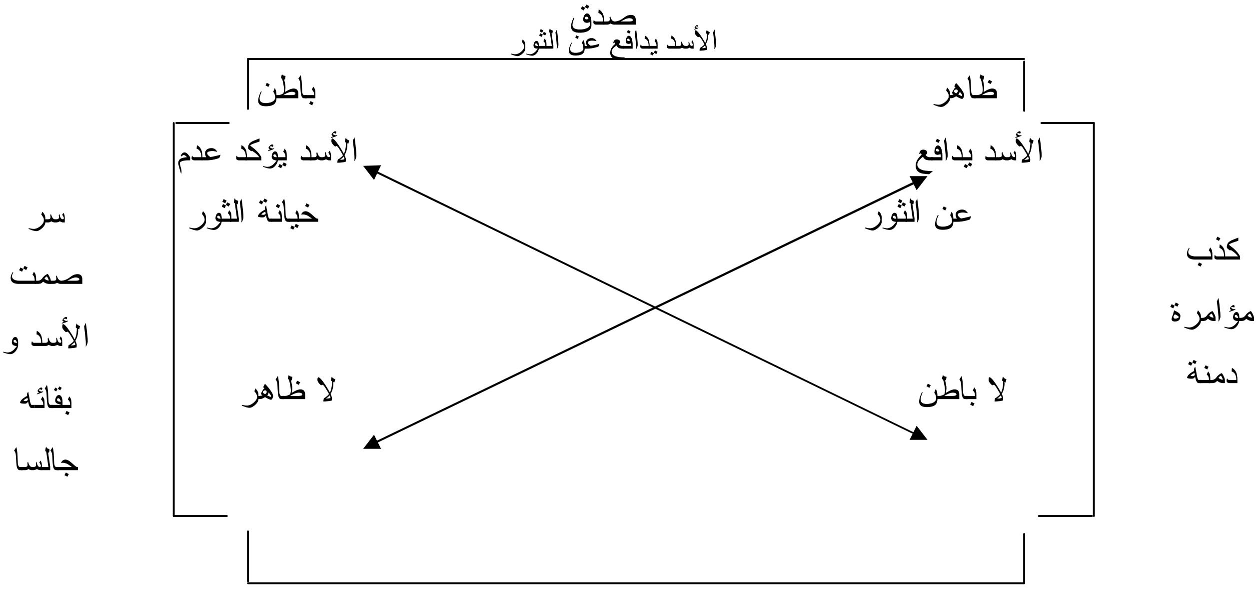
والأمر ذاته بالنسبة للثور فقد بدا مرتعدا(ظاهر)، لكن في باطنه هو مستعد لمواجهة الأسد (لا باطن).

ـ ونلمس الباطل في انفراد "دمنة" بالأسد تارة، وبالثور تارة أخرى،بعد غيبة ـ طويلة نسبياـ لتكون المسافة الزمنية باعثا على الإثارة والتساؤل والشك والحيرة في نفس كل واحد منهما،وكان ذلك عن قصد من" دمنة" ليزداد التوتر بين الطرفين ضمن

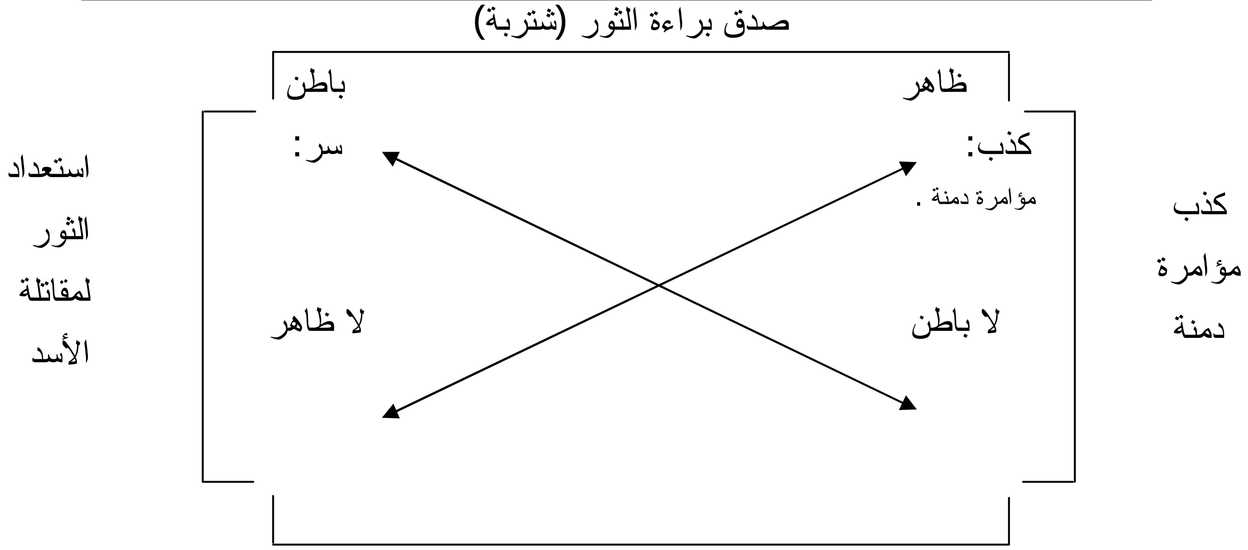
[1] ـ المصدر السابق،ص112.
[2] - نفسه ص 105.
[3] - نفسه ص 110.
[4] - المصدر نفسه،ص103.

الإستراتيجية العسكرية التي اتبعها لإشعال نار الفتنة بينهما، وكذا الاستعداد للمواجهة."ثم إن "دمنة" ترك الدخول على الأسد أياما كثيرة"[1].وشفع "دمنة"غيابه الطويل عنهما بالخبر الجلل الذي أحرزه،فالظاهر لا يؤكد ذلك ،والباطن يثبت غيره ،فتكون المعادلة: لا ظاهر + لا باطن = باطل.

ويمكن أن نلخص ذلك في المخططين التاليين:



الباطل: غياب دمنة وعودته بعد أيام



الباطل: غياب دمنة

[1] - كليلة ودمنة، ص104.

والفعل الإقناعي المتسم بطابع الازدواجية في التحريك،يتعلق في مرحلة التقويم بالفعل التأويلي ،والذي يتميز بالازدواجية هو الآخر ونجده من خلال:

ــ يظهر الفعل التأويلي لدى الأسد بعد أن صور له "دمنة" مكيدة الثور في انتزاع السلطة منه ،وعليه أن يسرع في القضاء عليه قبل أن ينفذ مشروعه الغادر.

ــ فعل تأويلي آخر نلمسه عند الثور، بعد أن أكد له"دمنة"هو الآخر خيانة الأسد لصداقته، وأنه سيكون طعام وليمة له ولجنده، ما جعله يأخذ الحيطة والحذر منه، والاستعداد لمواجهته.

وقد اقتنع كل من الطرفين بالكلام الذي قاله لهما "دمنة" كل على حدى،فقد وسم مصدر الخبر الذي أخبرهما إياه بالخبير الصدوق مع الثور، وبالخبير الأمين مع الأسد بالإضافة أنه لم يكن لهما في علاقتهما به ،ما يدفعهما أو يساعدهما على الشك في نواياه الخبيثة،أو التفطن المبكر لمؤامرته.

ضمن هذه المعطيات يمكن تحديد أوضاع مختلف طروحات النص في الأوضاع والصراعات التي تخص شخصياته.فالأسد في بقائه صامتا متأملا للأحداث يظهر ما ليس باطنا،معبرا عن ترقب وحذر شديدين يجعله ينتمي إلى الخيانة وبالتالي إلى الشر وذلك تحت ضغوطات الضغينة التي حاكها"دمنة"،كما أن "دمنة" في غيابه عن ا لأسد والثور بغية وضعهما في موضع الشك والحيرة للإيقاع بهما في معركة فاصلة تتعلق في غياب ظاهرها وباطنها بالباطل يجعله العنصر الأكثر شرا،نقيض الحق والصدق الذي كانت الصداقة معبرة عنه في توافق الظاهر والباطن،وهذا ما يؤكده سلوك الأسد والثور في دفاعهما عن بعضهما في أول الأمر .فالصدق يتراوح بينهما لينتميا بهذا إلى مصف الخير.ومن هذا فالصراع الحقيقي الذي تجسده الحكاية هو صراع بين الخير والشر،والهدف التعليمي من ذلك هو الكشف عن الحكمة الكامنة التي يسعى الملك

"دبشليم "في طلبها،والتي جسدها الفيلسوف "بيدبا" من خلال اعتماد التأويل والتمييز بين الظاهر والباطن.وبواسطة هذه العملية استطاع أن يدين دسائس الحاشية (دمنة)،والإنفراد بالسلطة(الأسد والثور).

2ـ باب الحمامة المطوقة والجرذ والظبي والغراب:

"الصداقة الخالصة هي أن تكون ذاتك في الآخر،وأن يجعل الآخر ذاته فيك،دون أن يبلغ أحدكما درجة الذوبان أو الإلغاء.الصداقة هي المعية التي يرافقها وعي بالسلك الرفيع بين الانفصال عن الآخر والاتصال به"[1]،فالصداقة إذن لا تتحقق إلا بوجود موضوع خارجي عن الذات،ولكن هناك عوامل تساعد على قيامها كالمودة والإرادة والكرم والمروءة وغيرها،إذ تمارس عملية الصهر في الذات،فتحول الصديق إلى جزء يحضر في الذات حضورا مجازيا،وفي الواقع حضورا عمليا،والصداقة تمهد طريقا نحو تحقيق السعادة"يقول أرسطو:بدون الصداقة تصبح الحياة غلطة،ويقول أبيقور:تحقق لنا الحكمة نعما كثيرة ،ولكن شتان بين تلك النعم ونعمة الصداقة"[2]،وبهذا تشكل الصداقة أبرز ضروب الفضيلة،وهي المنطلقات الأساسية للخلفية الفلسفية التي بني عليها ابن المقفع أسس مسألة الصداقة والأصدقاء في مؤلف كليلة ودمنة،وقد تطرق إليها في أبواب عدة منه(باب الأسد والثور،باب الملك والطائر فنزة ...).

ويعتبر باب الحمامة المطوقة،فصلا نموذجا في موضوع الصداقة وتعاون الأصدقاء،وتجسم ذلك من خلال إنقاذ الجرذ للمطوقة وحمامها عندما وقعت في شرك نصبه صياد،فبعد أن طارت الحمامات كتلة واحدة بأمر من المطوقة ،وبتوجيه منها وصلن إلى صديقها الجرذ ليقطع عنها الحبائل.وقد شهد الأحداث غراب كان يرقب ما وقع،ويستمع إلى محاورتهما،حينها أدرك ما بينهما من المودة والإخاء،فحز ذلك في نفسه شعورا طيبا يدعوه إلى المشاركة في هذه الصداقة ،وبالخصوص طلب مصادقة الجرذ،الذي وافق على مصادقته وأصبحا صديقين،وبتجاورهما تجذرت أواصر الصداقة أكثر،وتوطدت مودتهما المتبادلة،لكن المخاطر التي تحيط بهما ،اضطرتهما إلى الرحيل

---
[1] - عبد الوهاب الرقيق،أدبية الحكاية المثلية في كليلة ودمنة،لعبد الله المقفع،دار صامد للنشر والتوزيع،تونس ط1،2007،ص31.
[2] - نفسه ص31.

ومغادرة الوطن،نحو مكان تسكنه سلحفاة صديقة للغراب ،التي أحسنت استقبالهما واتخذت من الجرذ صديقا جديدا لها،والتحق بهم ظبي مطارد فأمن لهم،وعاش الأصدقاء في وئام.

لقد أنشأت الصداقة والتعاون عقدا بين جماعة الحمام على التآزر وقت المحن،فعندما نصب الصياد شركه ووقعت فيه الحمامات ،جعلت كل واحدة تتململ داخله محاولة تخليص نفسها دون الاكتراث بأخواتها،لكن المطوقة تنبهت إليهن،وأمرتهن بالتعاون للتخلص من الشرك،فطرن كطائر واحد استجابة لأوامرها وهن عالقات به نحو مكان يسكنه جرذ صديق لها ،ليقطع عنها الحبائل ويساعدها على الخلاص.

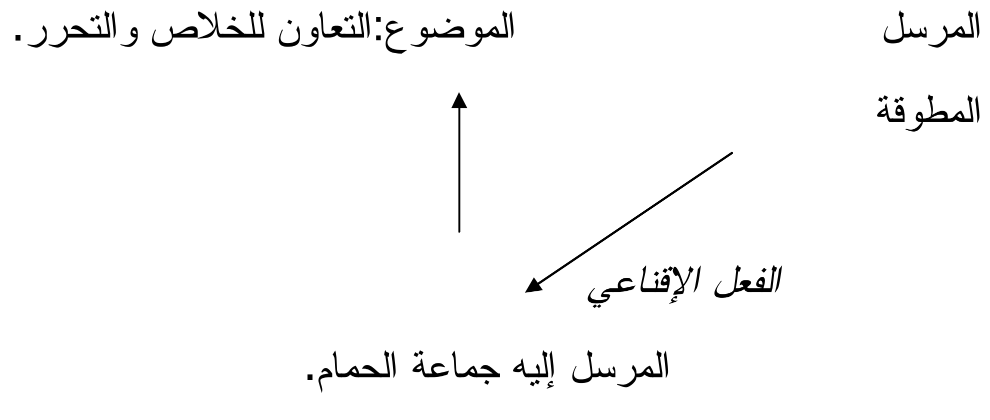
وكانت دوافع المطوقة وهي سيدة الحمام هي إنقاذ جماعة حمامها وسلامتها،وهو المحرك الأساسي الذي دفع بها كمحرّك على اقتلاع الشرك والطيران به (فعل الفعل) من أجل التماس الخلاص،فإن لم يتوفر هذا المحفز لديهن ولتمكن منهن الصياد ولنجح هو في نهاية البرنامج السردي،ولتحصل على موضوع قيمته الذي خرج للصيد من أجله وهو الصيد الوفير.

وقد نتج فعل التحريك نتيجة للفعل الإقناعي الذي مارسته سيدة الحمام على صاحباتها،فبعد أن رأت المحاولات الفردية لكل واحدة منهن من أجل تخليص نفسها دون الاكتراث بالبقية،قررت إقناعهن بضرورة العمل الجماعي والاتحاد من أجل خلاص الجميع،وعملت على النجاح في ذلك،حيث طرن كطائر واحد ،وواصلت تحريضهن على المثابرة و المصابرة ليخفى على الصياد رؤيتهن فيعجز عن ملاحقتهن وتصيبه خيبة الأمل والرجاء فينصرف من ذاك إلى شأن آخر.وتوجهت المطوقة وصاحباتها إلى منطقة عمرانية يسكن بها جرذ صديق لها ليساعدها على

التخلص من الحبائل بقرضها وقطعها عنها،لتبدأ عملية إقناع جديدة ،ولكن هذه المرة مارستها على الجرذ من أجل أن يقرض الحبال من جهة الحمام قبل جهتها،وكان الإيثار هو محركها الأساسي في ذلك،إلى جانب خوفها من فتور قوة صديقها،إن هو قطع الحبال من جهة الحمام وأصابه الفتور لم يرض ببقائها عالقة وبالتالي يعمل على تخليصها مهما كلفه ثمن ذلك،والعكس صحيح.

ومن هذا فـــإن الفعل الإقناعي يتسم بطابع الازدواجية في صورتين:

* فعل إقناعي مارسته الحمامة المطوقة كمرسِل على جماعة الحمام مرسل إليه، حين طالبتهم بالتعاون من أجل الخلاص والتحرر وهو موضوع القيمة، وهو ما يمثله المخطط التالي:



ب ـــ فعل إقناعي من الحمامة المطوقة (المرسل)، إلى الجرذ كمرسل إليه، حين طلبت منه أن يبدأ القطع من جهة الحمام ووصولا إليها في آخر المطاف، وهو ما يجسده المخطط التالي:

المرسل : المطوقة الموضوع:تخليص الحمام أولا.

الفعل الإقناعي

المرسل إليه الجرذ.

وتتدخل سيدة الحمام المطوقة في كلتا الحالتين في فعل التحريك بدافع الإيثار والتعاون والتضحية من أجل مصلحة الجميع،فهي تعكس ما يجب أن يتصف به الرئيس أو الزعيم من تجرد تام من الأنانية ،وتجنب إيثار النفس وهكذا فإن الحمامة المطوقة مثال للتضحية بنفسها من أجل غيرها وتظفر في النهاية بالخلاص لصاحباتها ولنفسها.

ويقدم لنا هذا المقطع من "مثل المطوقة والجرذ والظبي والغراب"جملة من المواصفات التي تحدد الكيفيات التصديقية والموضحة كما يلي:

*يظهر الصدق في هذا المقطع من خلال أمرين:

1ـــ صدق الحمامة المطوقة حين أصدرت أمرها بضرورة التعاون(ظاهر)،فكان الطيران كتلة واحدة،وهذا ما يؤكد حسن سياستها وزعامتها للمجموعة(باطن).

2ـــ صدق الجرذ في مساعدته للمطوقة وصاحباتها بقطع حبال الشبكة(ظاهر)،مما يؤكد حبه لها وحسن صداقته لها ،وصفاء سريرته نحوها،خصوصا لما امتثل حبا لأوامرها بالبدء بعملية القطع من جهة الحمام ثم جهتها(باطن)،وهذا ما يحقق طرفي المعادلة: ظاهر+باطن=صدق.

*ويتجلى الكذب من خلال وصف الصياد بالسوء والقبح بالنظر إلى شكله(ظاهر)،وهذا يدل على سوء مخبره وكأنه يدبر مكيدة لأحد ما،وهو شعور بالتطير اختلج صدر الغراب بما سيفعله هذا الصياد(لا باطن)."إذ بصر بصياد قبيح المنظر،سيئ الخلق،وقبح منظره يدل على سوء مخبره"[1].وأيضا نلتمس الكذب من خلال نثره للحب

[1] - كليلة ودمنة ص148.

(ظاهر)،بعد أن نصب شباكه (لا باطن)،"ثم إن الصياد نصب الشبكة عليها"[1]،مما جعل الحمامات والمطوقة لا ينتبهن إليها حين أتين يلتقطن الحب"فعميت هي وصاحباتها عن الشرك".

و:ظاهر+لا باطن=كذب.

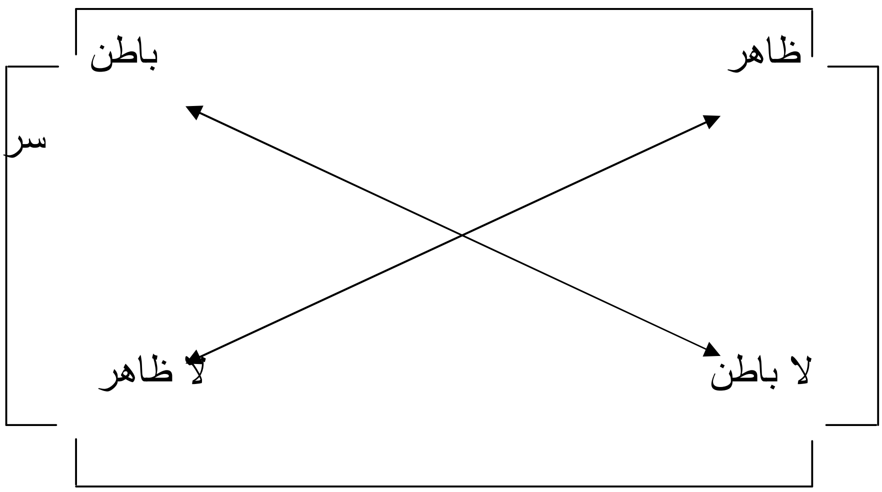
*نلتمس السر في هذا المقطع من خلال إلحاح المطوقة على الجرذ يقطع الشبكة من جهة الحمام قبل جهتها فالإيثار و التضامن يدفعها إلى التضحية بنفسها من أجل سلامة حمامها(باطن)،وهي لم تفصح عن نواياها من خلال هذا الإلحاح حتى ظن صديقها أنها لا تكترث لنفسها(لا ظاهر)،أي:باطن+لاظاهر=سر.

*أما الباطل فنستشفه من خلال تصرف الحمامات قي مواجهة المحنة التي وقعن فيها،فقد تصرفت كل واحدة منهن بأنانية(لاباطن)،فجعلت كل واحدة تتململ داخل الحبائل محاولة تخليص نفسها غير مبالية بالبقية(لا ظاهر).ف:لاباطن+لاظاهر=باطل.

ويمكن إيجاز هذه المعطيات في المربع التصديقي التالي:

صدق :تعاون المطوقة مع صاحبتها و مساعدة الجرذ للحمامة

الكذب:قبح الصياد.نصب. الشبكة.



سر إيثار المطوقة

باطل:أنانية الحمامات.

[1] - نفسه ص148.

وبما أن فعل الإقناع اتسم بطابع الازدواجية في مرحلة التحريك، فإن فعل التأويل المرتبط به في مرحلة التقويم اكتسب هو الآخر الازدواجية كما يلي :

ــ يظهر الفعل التأويلي لدى جماعة الحمام حين امتثلت لأمر السيدة المطوقة،وخضعت لمطلبها ،بعد أن خولتها الثقة بموجب العلاقة الائتمانية التي تربطها بها،تحملها بذلك مسؤولية التصرف للخروج من الورطة ،كما تحملها النتائج المترتبة عنها.

ــ ويظهر الفعل التأويلي الثاني لدى الجرذ الذي قام بقطع الشبكة من جهة الحمام قبل جهة المطوقة بإلحاح منها،مما ولد شعورا في نفسه على أنها لا تهتم لحياتها أمام حياة صاحباتها"كأنك ليس لك في نفسك حاجة ولا لك عليها شفقة ولا تراعين لها حقا"[1]

ونستشف مما سبق أن سرد حكاية الحمامة المطوقة وصاحباتها،يمثل موقف التنويه بقيمة التعاون والتضامن،كما يثمن دور الحكمة في تخليص الفرد أو بالأحرى السائس والجماعة أي الرعية ،وهي إشارة إلى روح المسؤولية التي على الحاكم التحلي بها.فحكمة المطوقة ورجاحة عقلها في التعامل مع الورطة والمحنة تسمو بمعاني الإيثار"ولا تكن نفس إحداكن أهم إليها من نفس صاحبتها"،والتعاضد"نتعاون جميعا"،لتتحصل على الحرية"نطير كطائر واحد"فالتعاون والإتحاد هو محصلة النجاح في المهمة في نهاية البرنامج السردي،فصيغة الجمع هي التي كللت بالنجاح لأنها ترجمت التآزر فضلا عن الإشادة بالوعي بالانتماء إلى مجموعة متجانسة ومتلاحمة أكسبتها القوة الفاعلة"فجمعن أنفسهن ووثبن وثبة واحدة فقلعن الشبكة جميعهن بتعاونهن وعلون بها في الجو"[2] ،وهذا يعكس مبدأ أن في الإتحاد قوة.في حين دل المفرد على فشلهن في محاولاتهن"جعلت كل واحدة تتلجلج في حبائلها وتلتمس الخلاص لنفسها".

---

1 - كليلة ودمنة ص 150.

2 - نفسه ص149.

وحكمة سيدة الحمام للتعاون من أجل قلع الشرك لا تكفي للخلاص،إذ لا تكفي الفكرة وحدها،فكان لا بد أن يصاحب العمل القول الحامل للرأي،فجاء فعل التحليق بالشرك بعد فعل الاقتلاع،فالعمل المادي اللاحق لنشاط العقل يعكس فكر ابن المقفع في ضرورة تلازم القول الحامل للرأي مع العمل المجسم له،وهو ما يعكسه التضاد بين الظاهر والباطن"أليس هو القائل:لا خير في القول إلا بالعمل"[1] .

وتسمو معاني التضامن والتآزر أكثر بدخول الجرذ رُكح الأحداث وذلك لعاملين اثنين:أولهما لأن الحمامة المطوقة تبينت حضور معيق لخطتها،فهي تعرف من جهة أولى أن الجرذ هو ملاذها الوحيد الذي سيخلصها من ورطتها،وتدرك من جهة ثانية أن ما يتمتع به من قوة وقدرة قد يفتر ويعجز،فخطر ببالها توظيف الجانب الوجداني والعاطفي،حيث استغلت المودة والمحبة التي يكنها لها صديقها الجرذ كي يحرر حمامها قبلها،وإلحاحها في الطلب جعله يدرك مدى إيثارها لجماعتها على نفسها،فازداد لها حبا هو الآخر"هذا مما يزيد الرغبة فيك والمودة لك"[2] . ويحمل العامل الثاني طابعا سياسيا ،ويندرج ضمن إطار العلاقة بين المطوقة وحمامها،فهي سيدة في سربها،وقد أدى لها الجميع واجب الطاعة والامتثال لأوامرها،مما يبين أن معنى التعاون يحمل دلالة أعمق من مجرد التآزر والمساندة،فلابد أن يجني منه الجميع ثمرة جهده،ومثلما أن الصداقة هي وقود التضامن،فإن العدالة في توزيع ثماره ضمانة لنجاعته واستمراره.

إن كفاءة الحمام أثارت الغراب وأغرته بمتابعة مغامرتها ،فالتحق بها عند الجرذ،ولما شهد الأحداث وأدرك الحب العميق الذي يجمع بين الحمامة وصاحباتها من جهة،وبينها وبين الجرذ من جهة ثانية،ورأى كيف برهن الجرذ عن صدق حبه

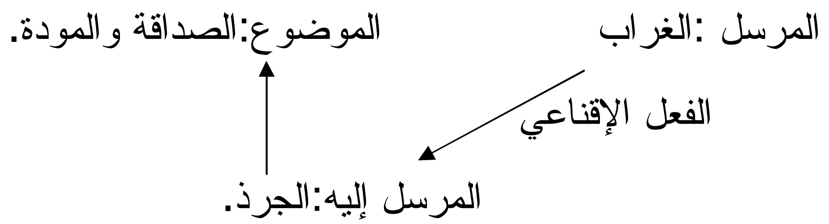
[1] - عبد الوهاب الرقيق،أدبية الحكاية المثلية ص47.

[2] - كليلة ودمنة ص150.

وصداقته للحمامة،قرر أن يجعل منه صديقا له،فذهب إليه يرجو مصادقته،وبعد أخذٍ وردٍّ في الحديث اتفق الغراب والجرذ على أن يصبحا صديقين.

لقد كان الحب والتضحية أهم العوامل التي جعلت الغراب يلتمس صداقة الجرذ،بل هي الدافع المحرك الذي حركه لفعل ذلك،فهو لم يرغب في ذلك لمجرد إنشاء علاقة اجتماعية معه فقط،أو رغِب في ذلك لغرض نفعي،وإنما لما رأى فيه من الخصال والأخلاق التي تخوله لأن يكون الخليل الودود الجدير بالثقة،الذي يعرف قدر الصداقة الخالصة ويحفظها.والجرذ لم يقتنع بصداقته ولم يقبل بها إلا بعد أن أخذ منه العهود والمواثيق بعدم الغدر به وخيانته"وإنما بلوتك به بما بلوتك به إرادة التوثق لنفسي"[1].

وقد نتج هذا التحريك بواسطة الفعل ألإقناعي،حيث سعى الغراب باعتباره مرسلا بعد عملية إقناع حثيثة إلى الجرذ باعتباره مرسلا إليه من أجل الحصول على صداقته وكسب مودته كموضوع قيمة،وهذا ما يلخصه المخطط التالي:



كما يضطلع هذا المقطع بجملة من المقومات التي تسمح بكشف محاور الكيفيات التصديقية والمتمثلة في :

- محور الصدق(ظاهر + باطن):ويتجلى من خلال الطلب الذي تقدم به الغراب للجرذ راغبا في صداقته،وبقي ملازما لبابه حتى يؤاخيه(ظاهر)،ومن خلال المحاورة التي جرت بينهما حيث استخدم الغراب كل أساليب الإقناع من حجج وبراهين و التي تكفل له إبراز النية الصافية في مؤاخاته(باطن).

---

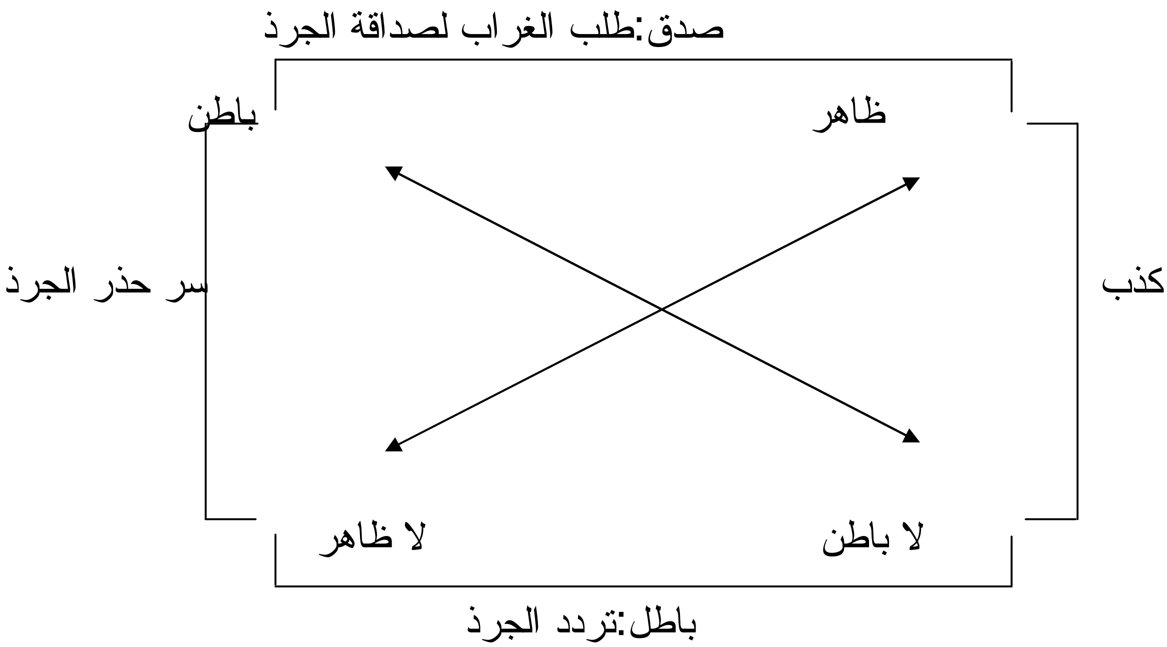
[1] - كليلة ودمنة ص152.

•محور السر(باطن+لاظاهر)،ويكمن ذلك في الحذر الذي لازم الجرذ خوفا من غدر الغراب باعتباره حيوانا لاحما وهو يمثل له طعاما،كما أنه لم يرفض صداقته وبقي يترقب ويأخذ المواثيق منه حتى أمنه بعد حديث مطول.

•محور الباطل(لاباطن+لا ظاهر) والذي يظهر من خلال التردد والترقب اللذان لازما الجرذ طيلة المحاورة التي جمعته بالغراب،فهو لم يقبل صداقته كما لم يرفضها ،مما يجعله يشك في نواياه حتى أدرك صدقها وعقد الصداقة معه.

•محور الكذب

والمربع التصديقي الموالي يوضح ذلك:



ومن خلال ارتباط الإقناع بالتأويل ،فقد أول الجرذ الفعل ألإقناعي للغراب في بادئ على أنه يريد إيهامه بالصداقة ويتخذها ذريعة لينتهي به المطاف غذاء له،لكنه عاد واقتنع أنه يرغب فعلا في صداقته ولم يكن ينوي أو يضمر له من ورائها شرا،خصوصا عندما لزم باب بيته معلنا له الولاء والوفاء"وأنا ملازم لبابك حتى تؤاخيني"[1]وكأنه يخضعه للأمر الواقع بقبول عقد الصداقة لا محالة وهو ما تم فعلا.

[1] - كليلة ودمنة ص152.

إن ثنائية الظاهر والباطن ترسم ــ من خلال هذا المقطع ــ مستوى التصديق والحقيقة،فقد وضحت صدق الغراب في طلب صداقة الجرذ،الذي لم يسهل عليه تصديقه ،وجعلا يتحاوران،مبديا كل واحد منهما وجهة نظره بغية توثيق العلاقة على أصول سليمة،إذ امتلك الغراب فنون الإقناع والحجاج حتى حصل على موضوع القيمة الذي كان يصبو إليه المتمثل في الصداقة في نهاية برنامجه السردي"ثم إن الجرذ خرج إلى الغراب فتصافحا وتصافيا وأنس كل واحد منهما الآخر"[1]،فرغبة الغراب الملحة في مصادقة الجرذ أخرجت هذا الأخير من تردده وشكوكه،لأنه لحم والغراب آكل لحم،وعلى الرغم من ذلك فقد قامت هذه الصداقة فعلا وتواصلت،ففعل الصفاء الذي نشأ بينهما يؤكد الصدق الذي قامت عليه صداقتهما الخالية من الغرض.مع العلم أن الطبيعة الحيوانية التي ينتمي إليها كل واحد منهما،فالغراب من الطيور والجرذ من القوارض،إلا أنهما استطاعا التعايش،وهو ما يعكس أواصر الصداقة والأخوة التي جمعت بين العرب والفرس ،وبين المسلمين والأعاجم على اختلاف توجهاتهم في تلك الحقبة الزمنية.

وبعد أن هجر الجرذ جحره باقتراح من الغراب،هذا الأخير الذي مارس عليه فعلا إقناعيا بضرورة تغييرا لمكان الذي يعيش فيه ،لأنه محفوف بالمخاطر بحكم الموقع ،فهو يقع في منطقة عمرانية مما يعكس العامل المعارض الذي يتمثل في الإنسان الذي يهدد حياة الجرذ واستقرارها كموضوع قيمة بالنسبة للذات(الجرذ)،فالخوف على حياته من طرف الغراب هو الذي دفعه إلى إقناعه بضرورة الرحيل نحو مكان أكثر أمنا وأمانا،وهو المكان الذي تقطن به سلحفاة صديقة للغراب،فالغراب باعتباره مرسلا مارس فعلا إقناعيا في مرحلة التحريك،على المرسل

---

[1]- المصدر نفسه ص152.

إليه الجرذ من أجل الرحيل وتغيير المكان كموضوع للقيمة،والخطاطة التالية توضح الفعل الإقناعي كالآتي:

المرسل: الغراب   الموضوع:الرحيل

الفعل الإقناعي

المرسل إليه:الجرذ

وقد لجأ الغراب إلى الإقناع لأنه يدرك أنه من الصعب على الجرذ هجر مكان عاش فيه زمنا،وله فيه ذكريات.

واقتنع الجرذ بالفكرة وارتحل معه،إذ أمسكه من ذنَبه وطار به حيث صديقته السلحفاة،التي رحبت به،وإذا بالصداقة الحميمة الحكيمة تتوطد أواصرها،وتمتد جذورها متأصلة على أسس سليمة شملت الأصدقاء الثلاثة.وكان الجرذ قد وعد الغراب بأنه سيقص عليه بعضا من أخباره وأقاصيصه،وكانت نوعا من الإقناع الذي قام به الجرذ من أجل تأكيد صداقته للغراب وللسلحفاة التي ذعرت لما رأته مع صديقها الغراب،ويتجسم الفعل الإقناعي في الحكاية التي سردها الجرذ عن بعض الأحداث التي عاشها والتي كانت منعرجا حاسما للتغيير،وهو لم يتعمد سردها لأنه يريد كسب صداقة السلحفاة فحسب ،وإنما من أجل التأكيد على تأصيل صداقة عمادها الصدق والوفاء،فكان المخطط التالي:

المرسل:الجرذ   الموضوع:الصداقة الصادقة.

الفعل ألإقناعي

المرسل إليه:السلحفاة والغراب.

وانطلاقا من الفعل الإقناعي الذي حرك الغراب من أجل دعم فكرة الرحيل لدى الجرذ مما ولد لديه فعل التأويل في مرحلة التقويم،حيث أدرك أن الغراب يخاف عليه بطش الإنسان ،أي أنه يخاف على حياته ففكر في نقله محافظة عليها ،مما أكد له صدق وشرف الصداقة التي يكنها له،ونواياه الصافية اتجاهه.

كما أنه قد نشأ فعل تأويلي لدى السلحفاة التي خبأت رأسها مذعورة لما رأت الغراب يحمل الجرذ بمنقاره من ذيله،لكنها عادت واطمأنت إليه خصوصا بعد أن سمعت حكايته وكيف أصبح وحيدا بعد أن انفض عنه أصدقاؤه،ورضيت بأخوته وصداقته وطابت بذلك نفسا بل وجعلت كل ما يملكونه في سبيل ذلك،حيث قالت:"فأنت أخونا وما قبلنا مبذول لك"[1].

ومن خلال ما سبق من تحليل نستنتج المعطيات المشكلة للمربع السيميائي الخاص بالتصديق والمبينة في:

*الصدق الذي يظهر من خلال علاقة الناسك بمن يستضيفه،فمظهر النساك يؤكد زهدهم في الدنيا وبعدهم عن ملذاتها،وإحسانهم لمن ينزل ضيفا عليهم وكرمهم وجودهم عليهم بالأكل والمبيت يعكس أخلاق الناسك وورعه.

* الكذب نجده منحصرا في الجحر لأن الظاهر يقول بأنه مجرد غار يسكنه الجرذ،لكنه في الباطن هو مخزن لكيس من المال،فالظاهر و اللا باطن يعكس الصورة الكاذبة للجحر بالنسبة للناسك والضيف.

*الباطل الذي يتجلى من وراء تصرف الجرذان مع صديقهم"زيرك"،بعد أن أدركوا عدم قدرته على تحصيل الطعام لهم،فكانوا يتظاهرون له بالصداقة والمودة من أجل مصلحتهم، وباطنهم يؤكد ذلك لأنهم تنكروا له وانفضوا من حوله بمجرد عجزه عن ضمان الغذاء لهم،وهو ما يعكس التواكل لديهم.

---

[1] - كليلة ودمنة ص159.

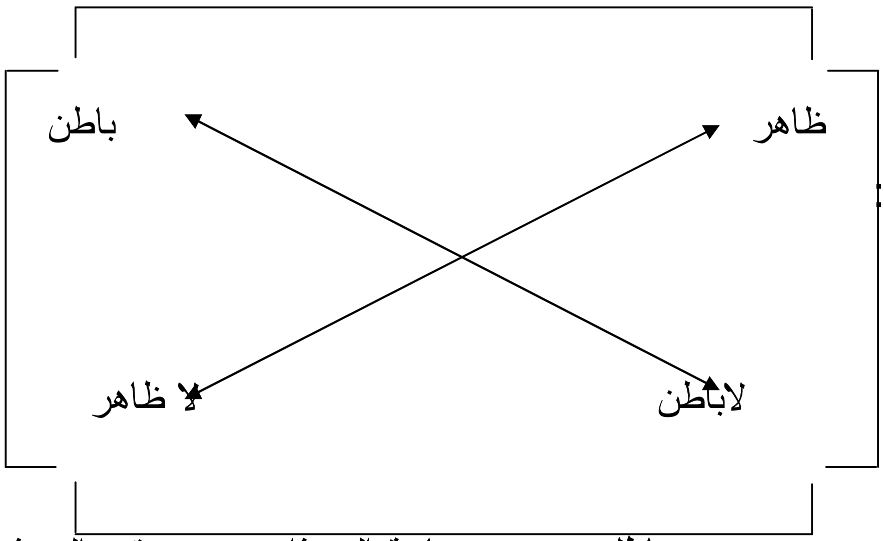
*والسر يكمن في تخلي الجرذ عن طلب المال،فالباطن يلمح إلى أن الجرذ رضي بالعيش اليسير و تخلى عن طلب المال لأنه لا يجلب له إلا الضرر والمهلكة،ورضي بالقناعة،فارتحل من بيت الناسك دون أن يخبر أحدا من خلانه عن وجهته.

وهذا ما يلخصه المربع التصديقي التالي:

صدق: علاقة الناسك بضيفه

الكذب: الجحر

سر:تخلي الجرذ عن طلب المال



باطل:تصرف جماعة الجرذان مع صديقهم الجرذ

لقد بين ابن المقفع من خلال هذا المقطع نوعا من الصداقة التي تنشأ بين الأصدقاء،وهي الصداقة النفعية التي تقوم على أساس المصلحة الشخصية،فإن انتهت المصلحة انقطع حبل الصداقة،ولئن اعتبر أن الأنانية والخداع و المكر والحسد فؤوسا تخرب علاقة الصداقة(ما لاحظناه من خلال باب الأسد والثور)،فإنه جعل المنفعة على رأس كل الآفات التي تهدد الأصدقاء.وقد بينت مقولتي الظهور والكينونة كيف انتفض أصحاب الجرذ عنه عندما تبينوا أنه صار عاجزا عن توفير ما تطمح إليه نفوسهم الجشعة مما كان يصيب من بيت الناسك،وهو ما يعكس صورة الذي يتخذ صديقا لا يهمه من أمره إلا أن يكون سندا له في المحن،أو صديقا كريما لا يرتحل في ذاته بحثا عن الأنس به أو الاستمتاع بحضوره،أو التخفيف من همومه بل يندس في جيبه جشعا،فان انتهى ما عنده هجره وعاداه.ومن خلال مربع الحقيقة لهذا المقطع أكد الجرذ

على أن صداقته ليست مبنية على هذه القواعد الهشة ،إنما هي صداقة من أجل الصداقة فقط.

وفيما كان الأصدقاء الثلاثة (الغراب والجرذ والسلحفاة)يتبادلون أطراف الحديث والحكمة،وافاهم ظبي مذعور،فذعروا بدورهم منه،ولاذ الجرذ بجحر بين الأحجار،والغراب بشجرة،وغاصت السلحفاة في الماء،ثم تحلقوا حوله بعد أن اطمئنوا له وسألوه عن حاله،فشاءوا مصاحبته ودعوه للإقامة بينهم،وهكذا اتسعت رقعة الصداقة بانضمام فرد جديد إلى العائلة،فكانوا يجتمعون في عريش من الشجر يتسامرون ويتذاكرون في أمور حياتهم الفضلى.

وتم انضمام الظبي إلى المجموعة بعد أن أقنعته السلحفاة بأن المكان آمن من الصيادين،ووصفت له رغد العيش ووفرة الغذاء والماء،فطلبت منه أن يشرب الماء بعد أن هدأت من روعه قائلة:"اشرب إن كان بك عطش ولا تخف إنه لا خوف عليك"[1]،ودعته للاستئناس بينهم بوصفها للحياة التي يعيشونها بعد أن عقدوا عهود الصداقة،فقالت:"لا تخف،فإنا لم نر هاهنا قانصا قط،ونحن في هذا المكان مجتمعون نتحدث ونتآنس،ونحن نبذل لك ودنا ومكاننا ،والماء والمرعى كثير عندنا فارغب في صحبتنا"[2] ،فالدافع الذي دفعها وحركها هو رغبتها في انضمام الظبي إليهم وعرض الصداقة عليه،فقد أثرت السلحفاة كمرسل في نفس الظبي باعتباره مرسلا إليه،من أجل إقناعه بقبول دعوتهم لإقامته بينهم،والمخطط الموالي يوضح الفعل الإقناعي الذي قامت به السلحفاة:

المرسل:السلحفاة   الموضوع:الإقامة بينهم وصحبتهم.

الفعل الإقناعي

المرسل إليه:الظبي.

---

[1] - كليلة ودمنة ص160.

[2] - نفسه ص160.

وتتيح هذه المعطيات الوقوف عند الكيفيات التصديقية التي يضطلع بها هذا المقطع من الحكاية والتي تتمثل في:

*يعكس الصدق مظاهر التآزر والتضامن التي جمعت الحيوانات في عمليتي الإنقاذ(إنقاذ الظبي في المرة الأولى و إنقاذ السلحفاة في المرة الثانية)مما يعكس صورة الإيثار المنبثق بينهم لحظة المحنة ،بدليل أن السلحفاة رغم ضعفها الجسدي وبطئها إلا أنها حرصت على المشاركة في إنقاذ صديقها الظبي،ونصح هذا الأخير لها بالعودة الى الماء خوفا عليها من الصياد(ظاهر)،وكل هذا يشف عن خلة التفاني في الصداقة الصادقة التي امتازت بها هذه الحيوانات (باطن).

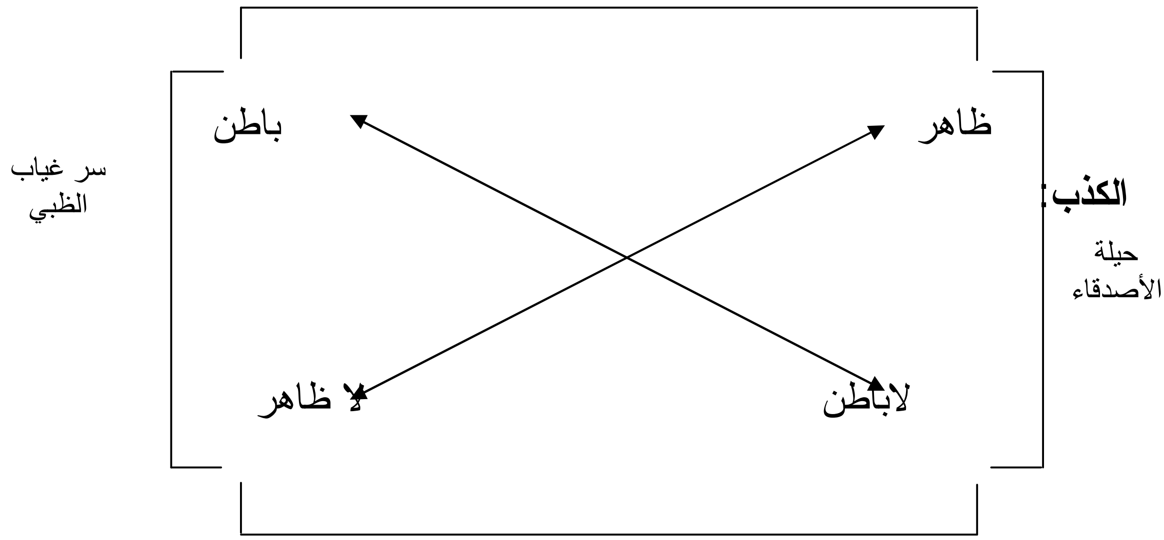
*نلحظ الكذب من خلال الحيلة التي ابتدعها الأصدقاء من أجل تخليص السلحفاة ،فتظاهر الظبي بأنه جريح وظهر الغراب وكأنه يأكل منه باعتباره طيرا لاحما(ظاهر)،وهذا يؤكد الحيلة الخفية التي أوهم بها الأصدقاء الصياد من أجل إبعاده،ليتسنى للجرذ تخليص السلحفاة بقطع الحبل المربوطة به(لا باطن)،لأن الظبي ليس جريحا في الحقيقة.وهذا تمت عملية الإنقاذ بنجاح.

*أما السر فيعكسه غياب الظبي عن الأصدقاء مما جعلهم يقلقون عليه،ويستنكرون غيابه لسبب ما،فلم يظهر لهم سبب غيابه ولم يغرفا ما أصابه،فلا الظاهر يبين سبب تأخره ولا الباطن يؤكد حقيقة ما وقع له،فجعلهم في حيرة من أمره.

*والباطل يتجلى في اللبس الذي وقع فيه الصياد بعد أن اختلطت عليه الأمور فلم يفهم شيئا،فظن أن الأمر متعلق بالسحر والجن فخاف وولى مدبرا لا يلتفت وراءه،فموضوع الجن والسحر يعكس(اللا ظاهر)،ويعكس توهم القانص(اللا باطن).

وهذه المعطيات تشكل المحاور البارزة في المربع التصديقي التالي:الشكل4

صدق: مظاهر التآزر و التضامن من أجل إنقاذ السلحفاة و الظبي



باطل: اللبس الذي وقع فيه الصياد

وبالموازاة مع الفعل الإقناعي الذي أدته السلحفاة لإقناع الظبي بالتحاقه بمجموعة الصداقة ،نجد الفعل التأويلي لدى الظبي الذي اقتنع بما قالته ،فلقي من نفسه قبولا ورضا فأبرم العقد وانضم إليهم.

انطلاقا مما سبق من تحليل نخلص إلى نتيجة مؤداها أن الصداقة عند ابن المقفع هي صداقة أصيلة وخالصة خالية من الغرض،تجمع بين كل الأخلاء الودودين الجديرين بالثقة،الصداقة التي عمادها الوفاء والتعاون،وحصانتها الأخلاق والعواطف والعقل.والتعاون في فكره هو رباط بين شخصين أو أكثر اكتسبت الوعي بجملة من المصالح المشتركة كالمعاش والأمن والعدالة ....الخ.على أن يقتضي هذا العقد التزاما أخلاقيا بعدم تخلي المتعاقدين عن بعضهم عند الحاجة إلى العون والمؤازرة .إن التعاون هو تلك الجاهزية النابعة من إرادة التضامن مع الآخر،هو التهيؤ والاستعداد الدائم لتقديم السند الضروري.وقد تعددت الأمثال التي تعلي من قيمة الصداقة الخالصة، والتعاون على الخير،وقصة" الحمامة المطوقة" تبقى بالتوازي مع حكاية "الجرذ والظبي والغراب"،أنضج التجارب في هذا المجال،مما تحمله من أصالة فنية وعمقا إنسانيا

لأنهما لا تقتصران على وجه واحد من وجوه التآزر ،بل صهرت الفكر والوجدان والعمل في مغامرة عبرت بصدق فني رفيع،عن وحدة الكائن الإنساني.وهي علامة الكرم الوجداني والمادي وتترجم عن درجة السمو التي يمكن أن يدركها الإنسان المنصف النزيه البريء من الطمع فيما تيسر لغيره بالدأب والمثابرة والود وغيرها من الصفات.

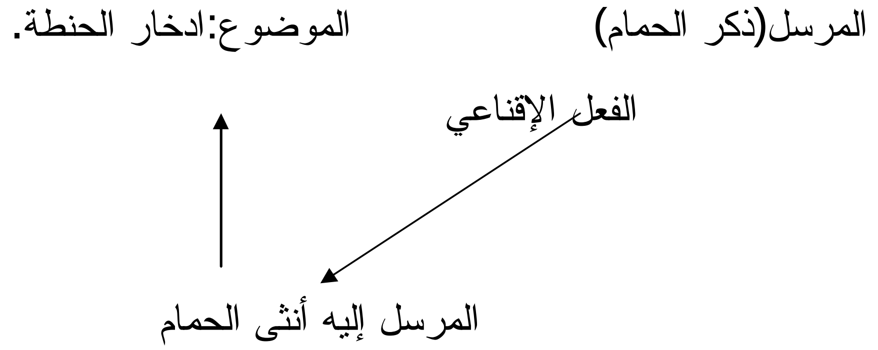
2ـ حكاية الحمامتين:

تعكس حكاية الحمامتين مثل الذي يندم على فعل فعله بعد فوات الأوان، خصوصا وأنه لا يستطيع إصلاح فعله ،وقد جاءت الحكاية للتسلية ،إذ قدمها"إيلاذ" الناسك للملك "بلاذ"بغية التنفيس عنه بعد أن أصابه الحزن والكآبة ،من جراء الأمر الذي أمره أن يفعله والمتمثل في قتل زوجته "إيراخت" المتهمة بالخيانة،لكن "إيلاذ" تريث من أمره ذاك ،و حكى للملك "حكاية الحمامتين" ليعلمه الحِلم قبل اتخاذ قرار قد يفسد حياته كاملة ،فيعود عليه بالندم والحسرة طوال حياته.

فذكر الحمام قد قتل زوجته دون سبب وجيه ،حيث ملآ عشهما من الحنطة والشعير ،واتفقا على أن لا يأكلا منه شيئا ادخارا لوقت الشدة في الشتاء أين يصعب الحصول على الغذاء ،و أن يمضيا لطلب الطعام مم يجدانه في الصحارى ،وكان الحب وقتئذ نديا وعندما جاء الصيف يبس الحب وتقلص حجمه،مما جعل الكمية تبدو ناقصة،وقد كان الذكر في غيبة لبعض شأنه،ولما رجع لاحظ الحب فخيل إليه أنه ناقص فاتهم الأنثى بالأكل منه ،وخيانة عهدهما،مما جعلها تتبرأ إليه ،لكنه لم يصدقها وأنزل بها العقاب ،فأخذ ينقرها بمنقاره على رأسها حتى ماتت.ولكنه تدارك أمره ذاك ولكن بعد فوات الأوان،فبعد نزول الأمطار في فصل الشتاء تندى الحب من جديد وامتلأ ،فحزن لما فعله بالزوجة الوفية،ورقد إلى جانبها باكيا ومنقطعا عن الطعام والشراب حتى لحق بها.

يشكل الاتفاق بين ذكر الحمام وزوجته على تخزين المؤونة لفصل الشتاء،النقطة الحاسمة لضرورة التحرك في البحث عن طعام إضافي يقتاتون به إلى حين وصول فصل الشتاء،فقد أقنع الذكر زوجته بالفعل فانتقلا إلى الصحارى سعيا في تحصيل

طعام آخر،وبهذا نتج فعل التحريك بواسطة الفعل ألإقناعي الذي مارسه ذكر الحمام على زوجته باعتباره مرسلا و أنثاه باعتبارها مرسلا إليه فكان الرسم التجريدي التالي:



وبتتبع الكيفيات التصديقية في النص التمسنا صدق العلاقة بين الفاعل والموضوع،التي لا تقوم على الاتصال أو الانفصال فقط ،بل تبني الرهانات النصية القائمة على أساس أنها ،صادقة أو كاذبة أو باطلة ،أو سرية.لأن الظاهر المتجلي قد لا يطابق الباطن الإني،نستدل في قولنا هذا بما يمدنا النص السردي من مواصفات ومعطيات ،تبرز جملة من الأحكام التقويمية التي تهدف إلى وضعيات معرفية بخصوص التصديق:من خلال السر والكذب والباطل والصدق.

ــ يظهر الصدق في حكاية "الحمامتين "من خلال أسلوب الأنثى في محاولة منها تبرئة نفسها أمام زوجها "فجعلت تحلف أنها ما أكلت منه شيئا،وجعلت تتنصل إليه فلم يصدقها"[1]فصيغ التفعل التي وردت بها الأفعال تؤكد أنها حاولت تبرئة نفسها بشتى الأساليب لكنها لم تنجح فقتلت ،فظاهر الحمامة الأنثى يؤكد صدقها وباطنها يثبته،وفقا للمعادلة:ظاهر+ باطن = صدق.

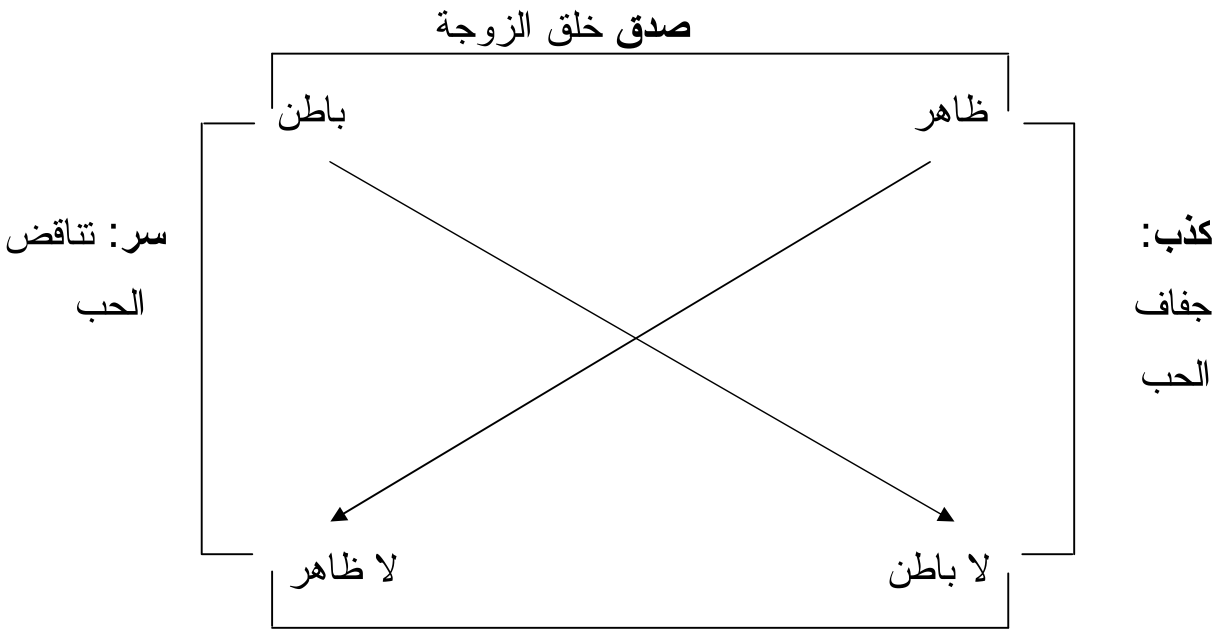
ــ ونلتمس الكذب في الحالة التي ظهر بها الحب،حيث كان في أول التخزين نديا فظهر بكمية وفيرة(ظاهر)،وعندما جاء فصل الصيف يبس وتقلص حجمه وبالتالي

---
[1] - كليلة ودمنة،ص226.

نقصت الكمية وهي في حقيقة الأمر الكمية نفسها(لاباطن) كما يلي:ظاهر + لا باطن =كذب.

ــ يتجلى الباطل في عودة الحب إلى حجمه الطبيعي بعد سقوط الأمطار(لا ظاهر)،فتيقن الذكر أنه أخطأ في تقديره للأمور بفهمه أن الحب تناقص (لاباطن)،لاظاهر + لا باطن= الباطل.

ونلخص ما سبق في المخطط التالي:



باطل: عودة الحب إلى حجمه الطبيعي

يرتبط فعل التحريك بالفعل اللاإقناعي والذي تجسد بين الحمامتين حول موضوع توفير الطعام وادخاره ،بالفعل التأويلي في مرحلة التقويم ، فقد أول ذكر الحمام جفاف الحنطة بفعل أشعة الشمس في فصل الصيف ،إلى أن الزوجة استغلت غيابه وأكلت من الحنطة المدخرة ،وخانت بذلك العهد الذي قطعته لزوجها ،لتجعله ينزل بها العقاب، لأن نتيجة الفعل التأويلي كانت القتل.

وبفضل لعبة التجلي والإني تمكن الذكر من اكتشاف الحقيقة والتي انتهت نهاية مأساوية،مما يؤكد أن تقديرا لأمور يجب أن يكون من منطلق عقلي لتفادي الوقوع في أخطاء فادحة بل ولا يمكن إصلاحها مثل ما وقع لذكر الحمام الذي أنزل العقاب بالزوجة بغضبه لا بعقله وهذا ما يعكسه التضاد بين الظاهر والباطن .

و تعكس الحكاية أسس الوفاء والود الأسري خاصة بين الزوجين،فالزوجة تحب زوجها وتحترم قراراته وتمتثل لأوامره،وتبقى كذلك حتى موتها،والزوج بعد اكتشافه للحقيقة يدرك جسامة فعلته بزوجته ،فينزل العقاب بنفسه إكراما لموتها، ووفاء لحبه نحوها يمنع الطعام عن نفسه حتى يهلك ويلتحق بها.

البنية الدلالية الأولية

البنــيـــة الــدلاليـــة الأولــيــــــة :

يعد"غريماس"من السيميائيين الذين اهتموا كثيرا بالأشكال الداخلية لدلالة النصوص،خاصة وأن هذه الأخيرة عبارة عن"كيانات دلالية قائمة بذاتها لا تحتاج إلى معلومات خارجة عنها"[1]،لذلك فقد رأى أن الدراسة التحليلية الدقيقة للنص إنما تتم من خلال المستويين السطحي والعميق .

لقد بيّن غريماس(A.J.Greimas) في كتابة «في المعنى (Du sens) »حدود التحليل الدلالي، معتبرا المعنى تركيبا للدلالات المشحونة في النصّ، وترتيبا آنيّا ومنسقا لمعاني الكلمات الواردة في سياق الخطاب، وأنّ الدلالة لا تستنبط من سطح النصّ فحسب، وإنما يجب استجلاؤها، انطلاقا من نظرة توليديّة للمعنى، أي بالغوص في عمق النصّ، إذ يقول« إن توليد المعنى ليس له معنى إلا إذا كان تغييرا للمعنى الأصلي»[2].

ومن أجل رصد المعنى، قام غريماس،بصياغة منطقية، تقوم بدورها على نمذجة العلاقات الأوّلية أو التأسيّسيّة للدّلالة القاعديّة، حاول من خلالها ربط صريح النصّ بباطنه، في تنظيم قائم على أساس العلاقات الأصوليّة، تضادّ، تناقص، وتضمين (استتباع)،"لقد حاول غريماس من خلال هذا الحقل المعرفي أن يربط صريح النص بباطنه،أو بالبنية الدلالية الأصولية فالدلالة الأصولية هي الجوهر الدلالي وعلاقتها بالخطاب هي علاقة توليدية"[3] متمثلا بذلك مبدأ الاختلاف الذي أرسى قواعده فرديناند دو سوسير (F.de Soussure)، هذا الأخير بدوره استعمله للدّلالة على أنّ «المفاهيم

---

1 - فيصل الأحمر،معجم السيميائيات ص229. [1]

2 - سمير المرزوقي، جميل شاكر، مدخل إلى تطريّة القصّة، تحليلا وتطبيقا، الدّار التونسيّة للنشر- ص123.

3 -سمير المرزوقي وجميل شاكر،مدخل إلى نظرية القصة ص122.

المتباينة تكون معرّفة، ليس بشكل إيجابي من مضمونها، وإنّما بشكل سلبي من علاقتها مع العناصر الأخرى للنظام».[1]

وذلك داخل تصور جديد يقتضي فيه الاقتراب من المسألة الدّلاليّة استيعاب: «الاختلافات المنتجة للمعنى دون الاكتراث بطبيعتها، في إطار بنية تدرك بحضور عنصرين (على الأقل) تربطهما علاقة بطريقة أو بأخرى».[2] ومن هذا فقد تصور غريماس(AJGreimas) بأن الدلالة كيان متحرك،ينتج عنه توليد المعاني.ولأن المعنى"يتحدد بوصفه نتيجة لمجموع الدلالات المركبة في نسق"[3]

إن البنية الدّلاليّة عنده تمثّل : «نموذجا للتمفصل يقع في مستوى البنيات العميقة المجرّدة، حيث تلعب دور الطّريقة التي تسمح بالكشف عن الوقائع السيميائيّة..... والبنيات العميقة تحدّد الطريقة التي يكون عليها الوجود الأساسي لفرد أو مجتمع، أو بالأحرى شروط وجود الموضوعات السيميائيّة، فما نعرفه هو أنّ للمكوّنات الأوليّة للبنيات العميقة، قابل للتحدّد».[4]،و"يرجع مفهوم البنية العميقة إلى المدرسة التوليدية التحويلية التي حاولت التمييز بين بنيتين للجملة بنية سطحية وأخرى عميقة"[5]،حيث "الأولى مرتبطة بالمستوى الظاهر عبر تتابع الكلام الذي يتلفظ به المتكلم،والثانية مرتبطة بمجموع القواعد التي أوجدت هذا التتابع،أو بكلام أخر،إنها تلك البنى الأساسية أو الأولية التي بالإمكان تحويلها بواسطة المكون التحويلي لتكون الجمل،وهي موجودة في مستوى أعمق من المستوى الظاهر لعملية التكلم ،غير أنها وإن لم تكن ظاهرة في الكلام،فإنها إلى حد كبير أساسية لتفهمه وإعطائه شكل تفسيره الدلالي.وهي بذلك بنية ضمنية تتمثل في ذهن الإنسان المتكلم ــالمستمع ــ وحقيقة عقلية قائمة يعكسها التتابع

---

4 - Groupe d’énerverons p8

1 - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائيّة السرديّة – ص10

2 - Jean Claude coquet-sémiotique litérraire,ed mame, Paris 1973 p68

4 - عبد الحميد بورايو، المسار السردي وتنظيم المحتوى، دار السبيل للنشر والتوزيع- 2008 ص28

4 - عبد اللطيف محفوظ،البناء والدلالة في الرواية،مقاربة من منظور سيميائية السرد،الدار العربية للعلوم ناشرون،بيروت،لبنان،ط1،1431هـ - 2010م،ص53. [5]

الكلامي المنطوق الذي يكون البنية السطحية"[1]،فقد استعارت السيميائية السردية مفهوم البنية وطبقتها على الخطاب.

وبهذا فإنّ تنظيم البنية الأساسيّة للتدليل التي تقع في المستوى العميق، وذات الطبيعة الدلاليّة المنطقيّة، تأخذ شكل نموذج محدّد جدّا، ممثل فضائيا بــ «المربع السيمائي»،

والمسمّى أيضا «النموذج التأسيسي» [2]، وله أيضا تسمية أخرى متداولة هي «المربّع العلامي (Carré sémiotique) »[3] ويرى غريماس"أن المعنى يقوم على أساس اختلافي وبالتالي فتحديده لا يتم إلا بمقابلته بضده وفق علاقة ثنائية متقابلة ،وقد صاغ غريماس أفكاره هذه من خلال ما أسماه بالمربع السيميائي"[4]،إن علاقة الدلالة بالخطاب هي علاقة توليدية،ذلك أن"المعنى ليس معطى ثابتا بل هو قابل للتغيير،فهو رهين ديمومة النص القصصي،لأن تحويل الدلالات مرده إلى تطور الأحداث في إطار زماني ومكاني ما،كما إن النظورات الطارئة على سلم القيم هي الأخرى وليدة هذا الامتداد الزمني والوظائفي،فالمربع السيميائي يعد أهم عنصر يدرس المنهج في البنية العميقة باعتباره حوصلة كل التحليل السيميائي"[5]،ويؤكد غريماس أن مشروع دلالة عميقة مخالفة للتمظهر اللساني ترتبط بمفهوم البنية الدلالية الأولية"وهذه الأخيرة يجب أن تفهم كتطور منطقي مزدوج من صنف (أبيض(م. خ)أسود) حيث المصطلحاتtermes المتضادة تقيم علاقات افتراضية في إطار مصطلحات ضدــ متقابلة،الشيء الذي يولد مربعا سيميائيا"[6]

[1]- ميشيل زكريا "التطور الذاتي في الألسنة،الفكر العربي المعاصرالعدد 25،1983،ص20.
[2] - جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائيّة السرديّة والخطابيّة ص91
[3] - سمير المرزوقي- جميل شاكر- مدخل إلى نظريّة القصّة ص123.
[4] - فيصل الاحمر ،معجم السيميائياتص229.
[5]- رابح بو معزة:مظاهر اسهام مدرستي باريس والشكلانيين الروس في تطوير السيميائيات السردية،مجلة النص والناس،العدد7،ص101.
[6] - عبد اللطيف محفوظ،البناء والدلالة في الرواية،ص293.

وهو يعتبر أداة منهجيّة تسمح برصد انبثاق المعنى، منذ حالاته الأوليّة، وحتّى حالاته التركيبيّة المختلفة، المتبدّية أوّلا في الدّلالة التأسيسيّة، ثمّ في مختلف التجلّيات. «فالهدف من التحليل السيميائي ليس وضع مربّع للنص، أو وضع النصّ في مربع، ولكنّهُ يُمكّن من وصف النص باعتباره عالما دلاليّا مصغّرا، يشكّل كلاًّ دلاليّا يمتلك في ذاته طابعه و تجانسه، أو بعبارة أخرى لا يتمثل الهدف في إعطاء أو استظهار رسالة (مضمون) النصّ ، بل في توضيح الظروف الخاصة التي تكون فيها الرسالة ممكنة، وبالتالي وصف الشفرة (اللّغة) التي تحكم الرسالة (الخطاب)»[1] . إن التمثيل الذي قام به غريماس(Greimas) لتنظيم المستوى العميق، يقوم أساسا على فرضيّة هيا مسالف(Hjelmslev Louis) ، والتي بمقتضاها يمكن : «فحص ماهيّة المضمون بالأدوات المنهجية المطبّقة على صعيد التعبير».[2]وعليه «فإنّ تمفصل العالم الدلالي إلى وحدات معنويّة صغرى (السيمات)، يناظر السمّات المميّزة بصعيد التعبير».[3]

وقد استند في ذلك إلى اللّسانيّات، بحيث اقترح تحليل جوهر المحتوى، باستعمال إجراءات وظفت قبله على مستوى التعبير واضعا الموازاة بين المستويات بفرضيّة، مقترحا تخيلا قائما على: «تمفصل بالعالم الدلالي إلـــــى وحدات دنيا للتدليل أو (سيمات)، موافقة للخطوط الفارقة لمستوى التعبير».[4]

- **مفهوم السيم :**

انطلق غريماس في دراسة البنية العميقة، من التقطيع إلى وحدات صغرى أطلق عليها اسم "السيمات"، ويرى بذلك أنّ: «الدراسة الدلاليّة تقتضي في هذا المستوى تفكيك الوحدات اللفظية إلى مكوّناتها الصّغرى المميّزة، وصولا إلى استخلاص حزمات من

---

[1] - آن اينو وآخرون- السيميائيّة،القواعد،الأصول والتاريخ- ص242

[2] - رشيد بن مالك، مقدّمة في السيمائيّة السرديّة- ص10.

[2] - J.Courtés – Analyse Sémiotique du discours. Hachettes, Paris 1991- p27

[4] - جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيمائية السرديّة والخطابيّة- ص73.

السمات الدلاليّة الأساسيّة»[1]. فالسيم هو: «الوحدة المعنويّة الصغرى، التي لا يمكن أن تتحقق إلا خارج إطار وحدة أشمل منها: السيميم، ويستعمل لتحليل المدلول» [2]أي أن السيم لا يملك دلالة في حد ذاته إنما يكتسبها من فنون العلاقة القائمة بينه وبين وحدات دلالية أخرى، ويرى جوزيف كورتيس أن: «وحدة الدلالة القاعديّة هي "السيم"، أو عنصر التدليل الأدنى، والذي لا يظهر بهذه الصورة إلاّ في علاقة مع عنصر آخر. إنه ليس إلا وظيفة تمايزيّة، وبفعل هذه الخاصيّة، فإنّه لا يلتقط إلا داخل مجموعة عضويّة، أي في إطار بنية».[3]

ومن هذه المنطلقات، فإنّ الوحدة الدلاليّة، لا تدرك إلاّ بانتظامها في علاقة خلافيّة بوحدة أو وحدات أخرى باعتباره(السيم) الوحدة المعنوية الصغرى للدلالة"الوحدة الأساسية للدلالة هي السيم،أصغر عنصر معنوي لها،الذي لا يمكن ظهوره إلا إذا ارتبط في علاقة بعنصر آخر مغاير له:وظيفته خلافية،وعليه فلا يمكن إدراكه إلا في إطار مجموعة عضوية،في إطار بنية"[4]«وتمثّل هذه الوظيفة مثلا بخصوص اللكسيمين* "ولد" و "بنت" في [الذكورة]س1، و [الأنوثة]س2، ومحور الجنس(س)، وتنطوي داخل نظام تحكمه علاقات التقابل(بين س1 و س2) والتدرج»[5].«نستطيع القول بأنهما يمتلكان سيما مشتركا، فوق محور [التجايل] (في علاقة الأبوّة إلى أحد الوالدين أو كليهما)، وسيما مختلفا على محور الجنوسة [الذكورة] في حالة، و[الأنوثة] في أخرى (مع اعتبار[الذكورة]

[1] - محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردي-ص84.
[2] - محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردي-ص84.
[3] - جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيمائيّة السرديّة والخطابيّة – ص 73- 74.
[1] - جوزيف كورتيس ،مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية،ص45-46.
[5] - رشيد بن مالك، مقدّمة في السيميائيّة السرديّة- ص10.

و[الأنوثة] عنصرين بسيطين)» [1].الدراسة الدلالية تقتضي في هذا المستوى تفكيك الوحدات اللفظية إلى مكوناتها الصغرى المميزة وصولا إلى استخلاص حزمات من السيمات الدلالية الأساسية.

ومن تعريف السيم، يظهر أن له وظيفة تفارقيه "خلافية"[2]، أي أنه لا يفهم إلا في داخل بنية، ومن خلال المثال السابق لدينا:

"ولد" عكس "بنت" ممّا يعني:

"ذكورة" عكس "أنوثة"

وبالتالي [ذكورة] ع [أنوثة] هما سيمان ضمنيان، بحيث إن الأول ليس له وجود إلا بالإحالة على الأخر، «والعلاقة التي تكون قد أقيمت بين السيمين الاثنين هي ذات طبيعة تضادّيّة».[3]

وقد وردت هذه المسألة في كتاب "تلخيص المقولات" لابن رشد في معرض حديثه عن المتقابلات، عندما لاحظ أن: «كلّ متضادّين، فإمّا أن يكونا في جنس واحد بعينه، مثل: الأبيض والأسود، اللّذين جنسهما القريب هو اللّون....» [4]

ومن هذا فعلاقة التضادّ، تتعلّق بالانفصال تارة (وهو واضح وبديهي بين الولد والبنت، وبين ذكورة وأنوثة)، أمّا الاتصال فيتدرّج في مستوى أعلى ترابيا: فالمقولة السيميّة كلّها التي تشمل على [الذكورة] و [الأنوثة] تتعين ب [الجنوسة].

هذه الأخيرة التي تتمفصل إلى سيمين متقابلين ومتكاملين [ذكورة] ع [أنوثة]، «نقول بأنه إلى جانب العلاقة التضاديّة ([الانفصال]ع [الاتصال]) بين سيمي نفس المقولة، تحدّد البنية الأوّليّة للتدليل، فوق ذلك بعلاقة إنضوائيّة بين كلّ واحد من السيمين مأخوذا بمفرده والمقولة السيميّة كاملة»

---

[1] - جوزيف كورتيس- المرجع السابق- ص74.
[2] - محمد الناصر العجيمي،في الخطاب السردي ص84.
[3] - جوزيف كورتيس- المرجع السابق- ص88.
[4] - ابن رشد- تلخيص كتاب المقولات، تحقيق محمود قاسم، الهيئة العامة المصريّة للكتاب.مصر 1980 – ص144

هذه المقولات السيميّة ذات طبيعة ثنائية «الثنائيّة باعتبارها قاعدة للبناء، وليست بالضرورة مبدأ مقرّرا لصيغة وجودها».[1]

وبما أن الدلالة تستخلص من علاقات الإختلاف والتقابل القائمة بين حزمة من الوحدات الدّالة، تنتظم بدورها في حزمة من الثنائيّات، التي تعدّ البنية الأساسيّة لها (الدلالة)، فإنّ التقابل بين السيمين المؤسسين للبنية الدلاليّة الأساسيّة يقتضي وجود عنصر مشترك بينهما، «نطلق على هذا العنصر تسمية "المحور الدلالي"، فالمحور الدلالي الجامع للثنائيّة الدلاليّة: الحياة- الموت، هو الوجود»[2]

وعلى هذه الأسس تمكّن غريماس من توضيح مفاهيمه حول البنية الأوّليّة: «هذه البنية الأوليّة يجب أن تفهم كتطوّر منطقي لمقولة سيميّة ثنائيّة من نمط أبيض ع أسود، والتي يكون عنصراها في علاقة تضادّ بينهما، كلّ واحد منهما يمكن أن يكون في نفس الوقت قابلا لأن يطرح عنصرا جديدا يكون نقيضا له، كما يمكن للمفردات المتناقضة بدورها أن تعقد علاقة اقتضاء مع العنصر المضادّ المقابل».[3]

وانطلاقا من البنية الدلاليّة الأساسيّة القائمة على نظام علاقات التقابل والتدرّج، صاغ غريماس مربّعا سيمائيّا، يعكس الدورة الدلاليّة المتموضعة في المستوى العميق، نظّم فيه شبكة العلاقات بين وحدات دلاليّة متولدة من البنية الأساسيّة كما نظم خصائصه الشكليّة على نحو أثبته في كتابه "علم الدلالة البنيوي".

1- مفهوم المربع السيميائي :

اتخذ المربع السيميائي مكانة هامّة لدى السيميائيّين على اختلاف توجّهاتهم، فظهرت تعريفات متباينة، لكنها تصّب في مصّب واحد، ثمّ تمثيلها في مربع أنيق ونهائيّ، فقد ورد في قاموس مصطلحات التحليل السيميائي «يفهم من المربع السيميائي

---

[1] - Greimas, dictionnaire raisonné p29

[2] - محمّد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي- ص89

[3] - Greimas, dictionnaire raissonné p160

التمثيل المرئي للتمفصل المنطقي لأيّة مقولة دلاليّة»[1]. ويعرفه "دانيال بات (Daniel Patte)" باعتباره «نموذجا تقسيميا يسمح بتمثيل نسق القيم الذي ينظم العوالم الصّغرى الدلاليّة، والذي هو مُمَسرد في المستوى المؤنسن تبعا لضرورات التركيب السردي».[2]

أما جوزيف كورتيس(Joseph Courtés) فيعرّفه بقوله: «إنّه تجسيد مرئي لتمفصل مقولة دلاليّة، كما يمكن استخراجها على سبيل المثال، من عالم خطاب معطى، مقولة تمثّل اللّب، المستوى الأكثر عمقا».[3]

ويشرح أنور المرتجي إضافة إلى ذلك "إن منظومة البنية البسيطة للمعنى، والتي توجد على مستوى البنية العميقة، تأخذ عند قراءتنا للنص اسم: المربّع السيميائي (Le carré sémiotique)

لأن السيميائي- كما يقول غريماس ـ لا يكتفي بعمايّة المزاوجة بين المفاهيم، والقيام بإيجاد التعارضات الإستبداليّة، بل يجب عليه أن يقدم نموذجا، يسعى إلى الكشف عن منظومة المعنى، وهذا هو دور المربع السيميائي»[4]،ويعرفه عبد الحميد بورايو فيقول إنه:"صياغة منطقية قائمة على نمذجة العلاقات الأولية للدلالة القاعدية التي تتلخص في مقولات ،التناقض والتقابل والتلازم،فهو نموذج توليدي ينظم الدلالة،ويكشف عن آليات إنتاجها عبر ما يسمى بالتركيب الأساسي للمعنى،فهو أداة منهجية تسمح برصد انبثاق المعنى منذ حالاته الأولية ،أو شبه الخام وحتى حالاته التركيبية المختلفة أو في الدلالة التأسيسية في مختلف التجليات:الصيغة والفاعلية والوظائفية والخلافية والفضائية" [5]

2- تشكيل المربع السيميائي واستعماله :

---

[1] - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، فيفري 2000 - ص23.

[2] - Daniel Patte, Carré sémiotique et syntasee marrative p6 د.عبد الحميد بورايو، المسار السردي وتنظيم المحتوى- ص29، نقل عن

[3] - Josephe Courtés, Amaluse sémiotique du discoues, Hachette, Paris 1991 - p152

[4] - آن إينو وآخرون،السيميائية، الأصول، القواعد والتاريخ ص48.

[5] - عبد الحميد بو رايو،تنظيم المسار السردي في بعض حكايات ألف ليلة وليلة،ص232.

تستند إقامة المربع السيميائي منذ ظهور الدلاليّة البنيويّة إلى تحليل عمليّتين أساسيتين هما: الإثبات والنفي، ويشير غريماس إلى هذا بقوله: «أن الموضوع كيفما كان، ينبغي أن يوجد أولا لينفى، أو يؤكدّ بعد ذلك»[1]. والتأكيد على العمليّة الأولى وهي النفي، يقود إلى صياغة النّوع الأوّل من المقابلة الثنائيّة وهي عمليّة التناقض."وأساس مربعه قائم على علاقات إثبات ونفي،أو علاقات فصل ووصل مما يولد بنية دلالية معينة"[2]

وعمليّة النفي ذات طابع فصلي، تعقبها عمليّة أخرى ذات طابع وصلي وهي عمليّة الإثبات. و«يناقض الإثبات النفي إلا أنّه يحتّل -على مستوى العمليّات البدائيّة المنجزة داخل المربع السيميائي- وضعية نظميّة محدّدة، تظهر كعمليّة موجّهة».[3] يمكن أن يوضح ويمثّل نظام العلاقات بواسطة نموذج منطقي، يبرز الشبكة العلائقية وتمفصل الفوارق، ويمثل «المربع السيميائي العلاقات الأساسيّة التي تخضع لها بالضرورة الوحدات الدلاليّة لتوليد عالم دلالي».[4]،"ويساعد المربع السيميائي على تمثيل العلاقات التي تقوم بين الوحدات اللغوية بهدف إنتاج الدلالات التي يعرضها النص على القراء"[5]

كما يساعد المربع السيميائي على تمثيل العلاقات التي تقوم بين هذه الوحدات قصد إنتاج الدلالات التي يعرضها النص.كما أنه يجعل من الدارس السيميائي "لا يكتفي بعملية المزاوجة بين المفاهيم والقيام بالتعارضات السيميائية فقط،بل يجب عليه كذلك أن يقدم نموذجا يسعى إلى الكشف عن منظومة المعنى"[6]،ومنظومة المربع السيميائي ذات طبيعة منطقية دلالية"يجب أن ينظر إليها باعتبارها سابقة عن كل استعمال،لأن

---

1 - المرجع السابق ص320

2 - فيصل الاحمر ،معجم السيميائيات،ص211.

3 - رشيد بن مالك، قاموس التحليل السيميائي ص21

4 - رشيد بن مالك، قاموس التحليل السيميائي ص21

5 - نفسه ص23.

6 - انور المرتجى،سيميائية النص الأدبي افريقيا الشرق،الدار البيضاء، المغرب،ص40-41

الأمر سيتعلق بنموذج شكليformel سابق عن كل معنى،أي أنها خطاطة تجريدية مشكلة قبل كل استعمال مدلولي،كما أنها خلافية وتعارضية"[1]

وتتمثل العلاقات التي يتأسس عليها المربع السيميائي في : علاقة التناقض، التضادّ، والتضمين.

- <u>**علاقة التَضادّ**</u>: ورد في قاموس مصطلحات التحليل السيميائي أنه يفهم من التضادّ «العلاقة المشكلة للمقولة الدلاليّة»[2].بحيث لا يمكن أن يكون عنصرا المحور الدلالي متضادّين، إلاّ إذا كان العنصر النقيض لكلا العنصرين متضمّنا ما يضادّ الأخر، وبهذا يسمّى المحور الدّلالي بمحور التضادّ.

كما يستعمل التضادّ للدّلالة على علاقة التضمّن المتبادلة والموجودة بين عنصري المحور الدلالي. «ينشأ التضاد عندما يتضمّن حضور عنصر، حضور عنصر آخر والعكس صحيح».[3]

وبالتالي غياب عنصر يستدعي غياب العنصر الآخر.

- <u>**علاقة التناقض**</u>: وتتمثل في العلاقة الموجودة بين عنصري المقولة الثنائيّة (إثبات/نفي) بحيث يفهم من «التناقض العلاقة التي تقوم على إثر الفعل الإدراكي للنفي بين عنصرين، حيث يكون العنصر الأول مطروحا، فيقصى بواسطة هذه العملية، ليحل محله العنصر الثاني»[4]. ومن هذا فأحد العنصرين ينفي الآخر وينقضه، فلا مجال للجمع بينهما، أو إيجاد عنصر وسيط بينهما، ممّا يفرض اختيار واحد على الآخر،فالتناقض"يستخدم بوصفه علاقة في مستوى الصنافة لتأسيس الخطاطتين المزدوجتين،وسيتوجب بعده عملية تناقض في مستوى التركيب،نفي أحد مصطلحي الخطاطة،وإثبات المصطلح المناقض له في الوقت نفسه،فكل عملية عندما

---

[7] - نفسه ص41.
[2] - رشيد بن مالك- قاموس مصطلحات التحليل السيميائي ص45
[3] - المرجع نفسه ص46.
[4] - المرجع نفسه ص46.

تنفذ على مصطلحات ذات القيم المستثمرة مسبقا تعرف كنتيجة تحويل المحتويات بنفي المحتويات المطروحة،وتعويضها بمحتويات جديدة مؤكدة"[1]

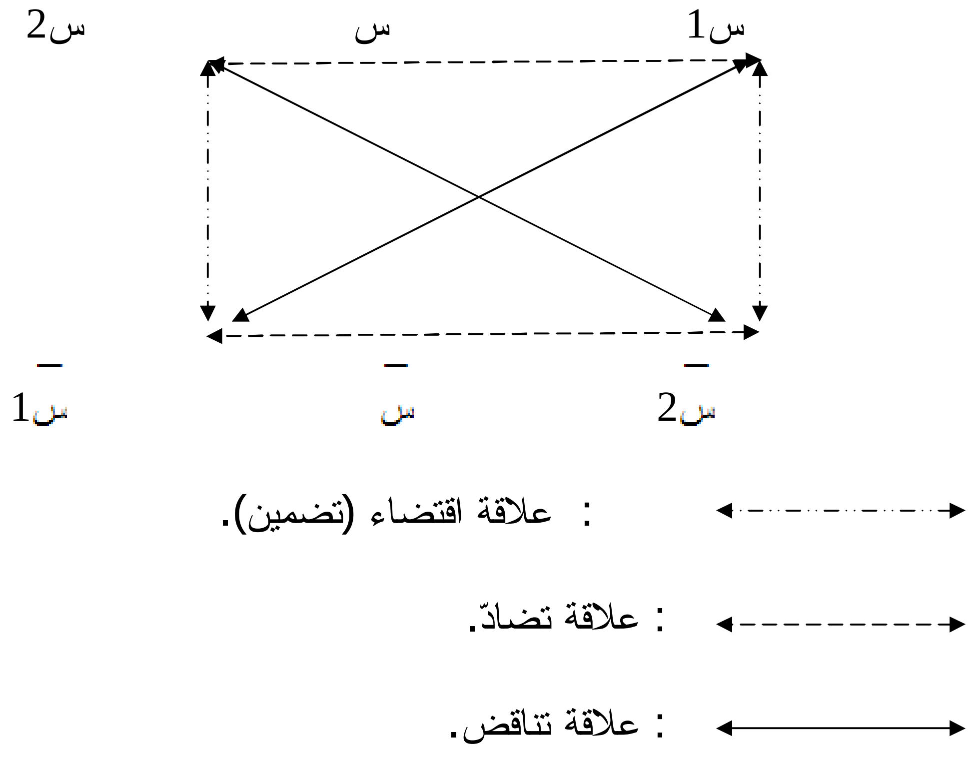
مما ينشئ علاقة التضمّن على مستوى المضامين المطروحة.

فحضور عنصر يتضمّن غياب عنصر آخر والعكس صحيح.

- **<u>علاقة التضمين</u>**: يستعمل التضمين سيميائيا «للدلالة على إدراج قصّة في قصّة أخرى».[2]

وأساس هذه العلاقة أن إثبات عنصر يقضي إلغاء العنصر المنفي وتيسير ظهور العنصر المقابل وإثباته.

ومن هذه المبادئ فالعلاقات الثلاثة (تضادّ، تناقض، تضمين) مترابطة فيما بينها ومتكاملة، ممّا يضمن إعطاء شكل المربع السيميائي المجسد في النموذج الموالي:[3]



---

[1] - عبد اللطيف محفوظ، البناء والدلالة في الرواية، ص295-296.

[2] - رشيد بن مالك- قاموس مصطلحات التحليل السيميائي ص65

[3]جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائيّة السرديّة والخطابيّة ص92.

توضيح المربع : «إذا كان التدليل س، يبدو في مستوى التقاطه الأوّل كمحور دلالي، يقابل س̄، المأخوذ لغياب مطلق للمعنى،وكنقيض س»[1].

- علاقة التضمين أو «العلاقة التدرّجية الشموليّة: تنطلق من السيم إلى المحور الدلالي، ومن العنصر إلى المقولة التي تحويه»[2]، تقوم هذه العلاقة

بين: [س1، س2، س]، و [س̄1، س̄2، س̄].

- علاقة التناقض بين س1 و س̄1، حيث س̄1 هو نفي لـــ س1، وتقوم العلاقة نفسها بين س2 و س̄2.

- علاقة التضادّ: توجد بين س1 و س2، غير أنه لا يمكن تصوّر س2 إلاّ بوصفه ضدّا لـــ س1 والعكس صحيح، ويحتوي العنصران على علاقة تضمين مزدوجة، بحيث يتقابلان ويلتقطان معًا.

- علاقة التضادّ التحتي: توجد بين س̄1 و س̄2، وهي مماثلة لعلاقة التضادّ بين س1 و س2.

- علاقة التضمين وتوجد بين س1 و س̄2، وبين س2 و س̄1، ويطلق عليها مصطلح: "التضمين السردي"*. في هذه العلاقة إذا تمّ نفي عنصر (س̄1 أو س̄2) يثبت العنصر الآخر، حيث تمثل العناصر المنفيّة نقط انتقال من مضمون إلى ضدّه.

ويشكل المحوران (س، س̄) من العلاقة بين الأضداد: «س يمكن أن يسمى محور المركّب: فهو يجمع بين س1 و س2، س̄، انّه محور الحياد بالنسبة ل س1 و س2، لأنه يمكـــــــــــــن أن يحدّد ب لا س1(س̄1) و لا س 2(س̄2)» [1].

---

[1] المرجع نفسه ص91.

[2] قاموس مصطلحات التحليل السيميائي ص24.

أضاف (غريماس) إلى هذا الشكل المجمل لتنظيم النموذج التأسيسي، بعض المؤشرات عن الخصائص الشكليّة للمربع نوضحها كما يلي:

3- الخصائص الشكليّة للمربع السيميائي :

شكل النموذج النهائيّ للمربع السيميائي باستخدام عدد صغير من المفاهيم المحدّدة : «هذا المربع يقوم على متصوّرين اثنين هما أساس العلاقة الهيكليّة: فكرة الانفصال و فكرة الاتصال (أو الاقتران)، ويحتوي المربع على نمطين للانفصال: الانفصال بالتضاد والانفصال بالتناقض، وأما العلاقة الإستباعيّة فهي علاقة تناسقية»[2]، وبما أن الأمر يتعلّق بترسيمة شكليّة مكوّنة على أسس نظاميّة فتبرز خصائصها الشكليّة فيما يلي: [3]

1- **المفردات:** مفردات المربع أربعة، وانطلاقا من كلّ واحد منها يتمّ أخذ الضد أو أخذ النقيضين للحصول على الثلاث الأخرى.

2- **العلاقات:** تربط بين القيم الأوليّة أو السيمات المستنبطة من العالم الدلالي للنص. علاقات تتوزّع كالآتي:

علاقة تضادّ، علاقة تناقض، علاقة تضمين، ولا تتحدّد قيمة العناصر المتمثلة في صلبها إلاّ عن طريق العلاقات التي تقيمها فيما بينها، و-على هذا الأساس- يتم ترتيب القيم الصغرى، التي تظهر أثناء تحليل المسار الصوري للنصّ، حسب العلاقات التي تعقدها مع قيم صغرى أخرى.

ويمكن تصنيف شبكة العلاقات في المربع السيميائي كما يلي:[4]

أ- **علاقات تراتبيّة:**

---

[1] - جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائيّة السرديّة و الخطابيّة ص94.
[2] - سمير المرزوقي- مدخل إلى نظريّة القصّة ص124
[3] - جوزيف كورتيس- مدخل إلى السيميائيّة السرديّة ص93.
[4] - المرجع نفسه ص94.

- وتكون بين (س1، س2، س)، وأخرى بين (1، 2،).[1]

ب - علاقات مقولية :

- هناك علاقة تناقضيّة تتأسس بين (س و س̄)، وفي مستوى تراتبي أدنى تنشأ بين (س1 و س̄1)، وبين (س2 و س̄2).

- هناك علاقة تضاديّة تمفصل (س1 و س2)، (س̄1 و س̄2).

- هناك علاقة استلزام تتأسس بين (س1 و س̄2)، وبين (س2 و س̄1)، حيث س2 يستلزم س̄1، و س1 يستلزم س̄2 والعكس.

4- العمليّات والأبعاد:

ا - العمليّات:[1]

إن النصّ متعدّد الآثار الدلاليّة، ليس تمفصلا للعلاقات الثابتة فحسب، وليس ترتيبا لقيم المعنى فقط، ولكنّه يتقدم أيضا كانتقال من قيمة إلى أخرى، وكشبكة من العمليّات التي تتحوّل بموجبها قيم المعاني،تتناسب كل علاقة في المربع السيمائي العمليّة، ويعدّ بذلك نموذجًا تركيبيًا يضبط تنظيم العمليّات.

- تناسب علاقة التناقض عمليّة النفي التي تكفل الانتقال من س1 إلى س̄1 (س1 ← س̄1). تتمثل هذه العمليّة في نفي س1 وإبراز العنصر النقيض س̄1.

- تناسب علاقة التضمين عمليّة الانتقاء، التي تكفل الانتقال من س̄1 إلى س2 (س̄1 ← س2). وتتمثل هذه العمليّة في انتقاء وإبراز العنصر س2 (المضادّ لـــ س1) انطلاقا من س̄1.

وعلى هذا الأساس، يسعى المربع السيميائي إلى تمثيل وترتيب بعدين:

[1] - قاموس مصطلحات التحليل السيميائي ص26

1-نظام العلاقات بين القيم الصغرى (السيمات)

2ــ شبكة من العمليّات التي تكفل الانتقال من قيمة إلى أخرى تتمثل في الجانب التركيبي و الديناميكي (الحركي) للمربّع.

أ- الأبعاد:[1]

تتجمع المفردات السيميّة اثنتين، اثنتين، حسب ستّة أبعاد نظاميّة هي:

- محورين: س و إنهما في علاقة تناقض.

س: محور المركّب يجمع س1 و س2.

س̄: محور الحياد يجمع المناقضين س̄1 و س̄2 (س1 و س2).

- ترسيمتين*:

ترسيمة(1): س1 + س̄1.

ترسيمة(2): س2 + س̄2.

وتتكون كل ترسيمة من علاقة تناقضيّة.

- إشارتين*:

إشارة(1): محدّدة بعلاقة الاستلزام بين س1 و س̄2.

إشارة(2): محدّدة بعلاقة الاستلزام بين س2 و س̄1.

تعتبر الأولى إشارة إيجابيّة و الثانية سلبيّة.

من خلال ما سبق ذكره من علاقات منطقية قائمة بين عناصر المربع تصب تحت ما يمكن أن يسمى بالمظهر العمودي،الذي يقابله مظهر آخر هو المظهر المركبي وهو الذي"يجسد البعد الديناميكي للمربع السيميائي اعتمادا على التوازي بين العلاقات

[1] - جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائيّة السرديّة والخطابيّة ص94.

المؤسسة للمظهر المركبي الديناميكي،فإسقاط العلاقات العمودية على المستوى المركبي يؤدي الى تحقيق العمليات،وهي التي تقوم بالاشتغال بعناصر النواة التصنيفية،ويتخذ هذا الاشتغال صيغة القواعد الإجرائية التي تكون موجهة"[1]،والمربع السيميائي "يتصف بخاصية التعميم حيث أنه لا ينطبق على نموذج معرفي دون آخر،بل إنه يمكن تطبيقه على كل المجالات"[2]

إنّ اجتهاد غريماس في محاولة وضع قوانين ثابتة للمحكي، جعلته يكون محطّ أنظار النقّاد، في تفحص نماذجه ونقدها، وهناك من شكك في سلامتها. والمربع السيميائي كأحد أبرز النّماذج السيميائيّة التي برزت في النظرية الغريماسيّة، تعرّض لعمليات نقد كثيرة، كانت في معظمها ضدّ ما توصل إليه غريماس. وقد أثار بعض المختصين في المنطق قضايا موصولة بالمربع السيميائي منهم "بتيتو(Petitot)" في دراسة عنوانها «المربع العلامي وشكلنة النظام»[3]،واضعا مربع غريماس السيميائي موضع سؤال، مشككا في سلامته، بحكم «أنّه يبسّط النظام الدلالي، وأنّه لا يراعي الحالات

المركبّة و المازجة بين المتناقضات مقترحا تعديله بجعله شكلا ذا ثمانية أضلاع».[4] وقد تقدم كلود بريمون بإنتقادات لاذعة توجّه بها إلى النظريّة الغريماسيّة عموما والمربع السيميائي على وجه الخصوص، والذي يطلق عليه اسم "النموذج التأليفي"، بحيث يرى أن البحوث التي تقدّم بها غريماس في مجال تحديد مستويين للتحليل السيميائي، مستوى سطحي وآخر عميق، فوجود مستوى أعمق من آخر لا يفيد في نظره - بريمون- التميز في شيء، ويبرز وجهة نظره بقوله: «يتطوّر المستويان

[1] - فيصل الأحمر،معجم السيميائيات،ص232،نقلا عن: عبد المجيد نوسي،التحليل السيميائي للخطاب الروائي،ص148-149

[2] - انور المرتجى،التحليل السيميائي للنص الأدبي،ص41.

[1] - Petitot3" structure la de schématisme et semiotique Careé"C.R.S.L ,bulletin

*يستعمل مصطلح الترسيمية للدلالة على تمثيل الموضوع السيميائي المختزل إلى خاصيّاته الجوهريّة (أنظر قاموس مصطلحات التحليل السيميائي).

[4] - محمّد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي ص99

بالتوازي ويتعادلان بالقواعد التركيبيّة نفسها. يستدعي الاهتمام هو أن نتعرّف في مستوى أو آخر، إذا ما كان النموذج التأليفي، بألفاظه الأربعة في علاقات التضادّ والتناقض و الاستتباع التي توحد مابين هذه الألفاظ، قادرا أن يمنحنا معرفة بما يحدث داخل المحكي».[1]

كما ينتقد علاقات التناقض التي تحكم عناصر المحاور الدلاليّة للمربع السيميائي بقوله: «...كأن يكون"لا ثريّ" يقتضي"فقير" وليس العكس، فهذا الشذوذ هو الثمن المدفوع لتطبيق حركيّة النموذج التأليفي، وعليه سوف يتوقف المصير السردي على أن يكون مقصورًا على محور المتناقضات»[2]، كما أنه (بريمون) يرى بأنّ المربع السيميائي يستغلّ ضدّ موقعه، وبعيدا عن استعماله الفعليّ في تطبيقه التحليلي على المحكيّات إذ يقول:«..كان باستطاعة النموذج التأليفي أن يخدم سلسلة الاختيارات الممنوحة، إلا أنّنا نجده بعيدا عن استعماله الحقيقي ومكلّف بعمل لا دخل له به»[3]. ويستغل عبد المالك مرتاض اعتراف غريماس بأنّ تنظراته مجرّد محاولات موضوعيّة لتنظيم السرد: «يعترف غريماس في أكثر من موضع في مؤلفاته، أنّ ما قدّمه هو مجرّد محاولة موضوعيّة، تعدّ امتدادًا لمثال بروب، قصد من ورائها تطوير مجال البحث السردي بإثرائه وتوسيعه»[4]، ليقدم انتقاده له، بحيث يرى أنّه (غريماس) صعّب على الباحث سبل البحوث السردية في مجال السيمائيّة، بما قدّمه من مصطلحات جمّة استمد أصولها من النحو والألسنيّة العامّة، والفلسفة والرّياضيّات وغيرها ممّا عقد المفاهيم التي قدمها، «لا تكاد تقوم بها قائمة في حقل المفاهيم، حيث أن كلّ مفهوم يحيل على مفهوم آخر، في غرفة مظلمة، لا نعتقد أن يهتدي السبيل إلى بابها إلاّ قلة من الناس، ربّما يكون من بينهم غريماس.... ولكن من يدرينا؟ فربّما لا يكون هو من

---

3 – Brémond Claud, Logique de récit, colloction poétique, Seuil, Paris 1973 p92.

4 - Op, cit p94

5 - Op, cit, p99

4 - نادية بو شفرة، مباحث في السيمائيّة السرديّة ص124

بينهم... ولكنّ التوفيق قل أن يواكب كلّ جهود الناس، وخاصّة أولئك الذين يودّون أن يتقعّروا فيما لا يتقعّر فيه».[1]

ومن هنا فناقدنا يشكك حتّى في أنّ غريماس قد استوعب مفاهيمه السيمائيّة فهمًا جيدّا، إذ يحكم لقيم جهوده بالضعف، على الرغم من أنّ هذه الجهود توّجت بمدرسة كاملة، لا تزال قائمة بالجهود التي يبذلها تلامذته على تطويرها المعروفة باسم "مدرسة باريس" وهي لم تعتبر المربع السيمائي مجرّد مربع لتمفصل الدلالات، فقط: «كنّا قد رأينا أن مدرسة باريس لم تعتبر المربع السيمائي تمثيلا للتجانس فحسب، بل أنّها تنظر إليه أيضا على أنها تمثيل لإنتاج وإدراك الدلالة، إذا اعتبرنا البنية كنموذج تكويني، فإنها تسخّر كقاعدة للمسار التوليدي الشامل»[2]، وهذا ما يبرز أهميّة المربع السيمائي في البحوث السيمائيّة على الرغم من الانتقادات التي وجهت له، حيث يفهم: «المربع السيمائي كميكانيزم، يعنى كمجموعة منظمة من العلاقات المبرزة لتمفصلات الدلالة، بواسطة هذه الأداة نستطيع أنّ نقيم ونرتب كل العناصر، بحيث تحكم العلاقات تجليّات المعنى في النص، يمكننا استعمال المربع السيمائي من تحديد المقابلات والعلاقات الملائمة لهذا النصّ، ويعيننا أيضا على إدراك نشأة وسير هذه المقابلات والعلاقات، بعبارة أخرى ينبغي أن يبرز استعمال المربع السيمائي شكل معنى النصّ».[3]

ومن هذا، فهو يسعى (المربع السيمائي) إلى تمثيل الشفرة (اللّغة) كـــ:[4]

- جهاز خاص بالموضوع قيد التحليل.
- جهاز لا تمتلك فيه العناصر قيمتها إلا بالعلاقات التي تقيمها فيما بينها.
- جهاز يمكن أن يولد نص من خلاله، أو تكون "إعادة القراءة ممكنة".

---

[1] - عبد المالك مرتاض، في نظريّة الرّواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة الكويت، ط1998،1-ص246-247.

[2] - A.J.Greimas, sémoitique et sciences socials, Seuil 1976- p89

[4] - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي ص25

[5] - ن إينو وآخرون، السيميائيّة: الأصول، القواعد والتاريخ ص242.

ولئن كان المربع السيمائي، يمثّل شفرة، فإنه يسمح أيضا بتقديم توقعات (فرضيات) حتى يتم التحقق من تجانس التحليل، وتقويم تصويب الفرضيّات.

<u>مقاربة تطبيقية للحكايات</u>:

- *باب الفحص عن أمر دمنة.*
- السلحفاة والبطتين.
- السمكات الثلاث.
- باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين.
- حكاية الأسود وملك الضفادع

مـــــقــــاربــــــــــــة تــــطـــــــبـيــــقــــيـــــة :

تتيح الدّراسة التفصيليّة للنصّ،توضيح الإشكاليّة المتمثلة في استكناه دلالاته المتنوّعة،وتمييز ظاهره وباطنه، واحدا ومتعددا، لهذا الغرض يبدو الانطلاق من المعطيات الدلاليّة الأوليّة للحكاية، لتكوين بنيتها العامّة من أفضل الطرائق المنهجيّة لمقاربتها، بقدر ما تسمح به من إعطاء تصوّر بسيط وعامّ، متماسك وواضح عن البنية الدّلاليّة للنصّ، يمكن على أساسه البحث في دلالاتها المختلفة. وباعتماد عملية التقطيع على غرار ما تم في الفصلين الأول والثاني،سيتم الوقوف عند الحكايات الموالية انطلاقا من المعيارين التداولي ومعيار التشاكل،بغية محاورتها ومقاربتها سيميائيا بتحليل بنيتها العميقة بتطبيق ميزة المربع السيميائي عليها لاستكناه دلائلها.

1ـ باب الفحص عن أمر دمنة:

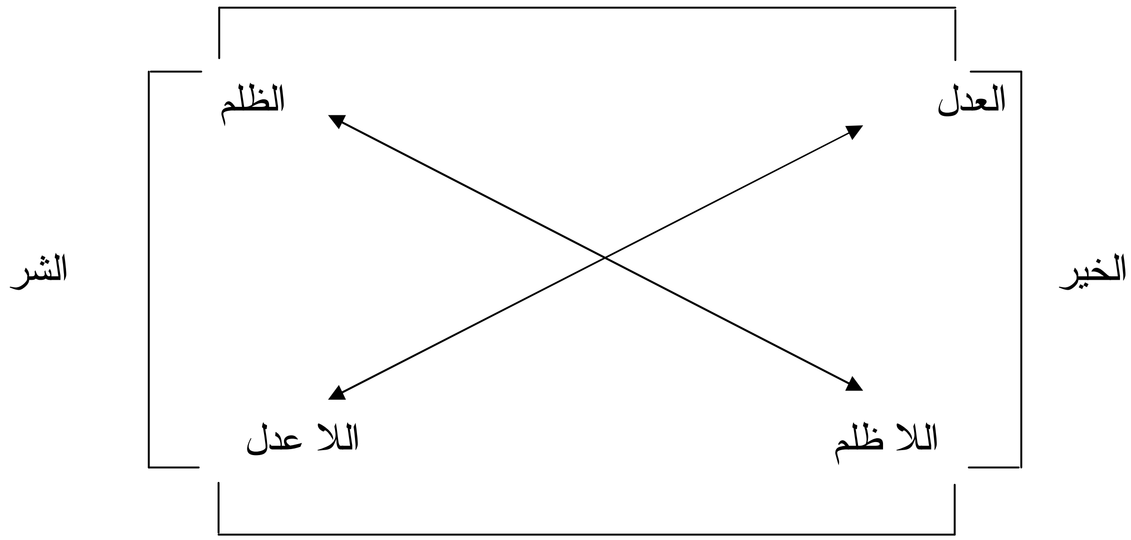
جاءت أحداث والحكايات المثلية المضمنة فيه ردا على طلب الملك "دبشليم"من الفيلسوف"بيدبا"حين سأله عن مآل الواشي (دمنة)الذي نجح في نميمته بقطع الصلة بين المتحابين(الأسد والثور)،وما كانت عاقبته بعد افتضاح أمره بعد أن كان السبب في قتل الثور على يد الأسد،حيث رد الفيلسوف برواية كلام النمر ثم رأي أم الأسد ،لينتهي الأمر إلى التحقيق في أمر "دمنة"ومحاكمته،وكان ندم الأسد الباعث الرئيسي على ضرورة "الفحص في أمر دمنة" بعد ثبوت إدانته.

وتقوم الحكاية على ثنائية الظلم والعدل،لأن شعور الأسد بالندم على ما فعله بصديقه الثور،وإحساسه بتأنيب الضمير له بأنه قد قتله ظلما،وبسماع النمر للمحاورة التي جرت بين "كليلة"و"دمنة"بدأت ملامح الحقيقة تتبدى وتظهر شيئا فشيئا عبر المسار السردي للحكاية،وبتدخل أم الأسد قرر الأسد محاكمة الواشي ومعاقبته بعد إثبات

جريمته،ويمكن صياغة هذه المعطيات ضمن المربع السيميائي التالي والذي يلخص البنية الدلالية العامة لباب الفحص عن أمر دمنة:

1ــ المربع السيميائي العام للحكاية:

إنصاف الحق(الثور)

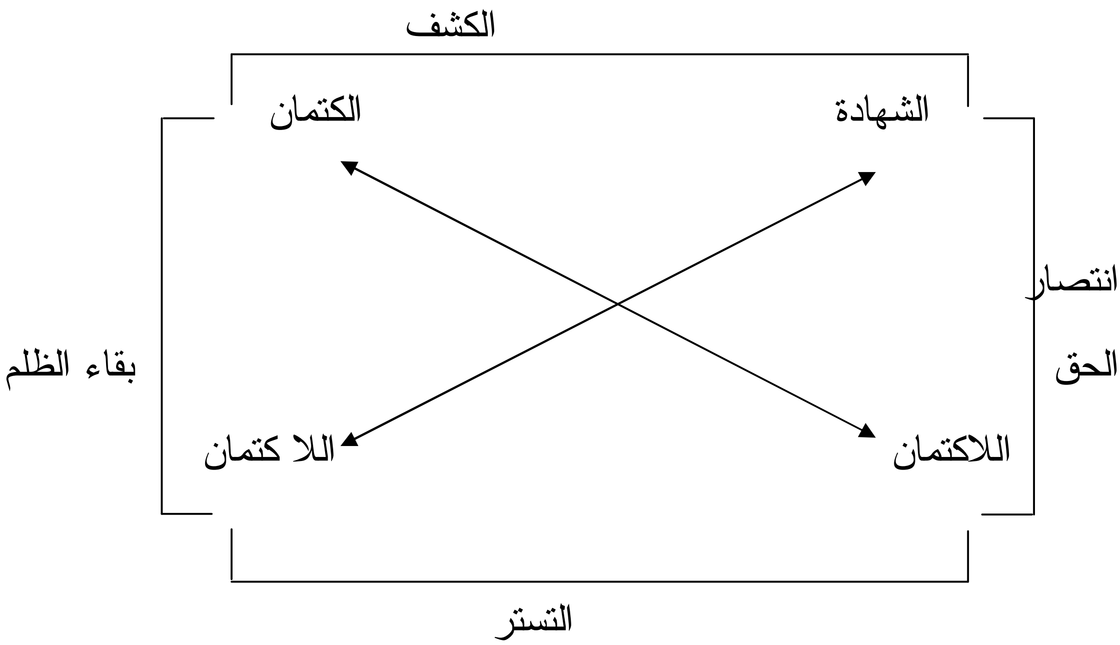


استمرار الباطل

يشكل التضاد بين الظلم والعدل أساسا للتناقض بين إنصاف الحق بالقصاص من دمنة وانتصار لحق الثور المقتول غدرا واستمرار الباطل بالتستر على جريمته هذا من جهة ،ومن جهة ثانية تناقض بين محوري الخير و الشر،وتتوزع هذه المعطيات الدلالية على مجالين هما :إيجابي يضم العدل و اللا ظلم و الخير ،ويتخذ الاستقرار و الطمأنينة سمة له ،وسلبي شمل الظلم و اللا عدل والشر،متخذا تردي الأوضاع وانتشار الباطل بدل الحق أبرز سماته،فيجمع إنصاف الحق بين العدل والظلم ،واستمرار الظلم والباطل وضياع الحق بين اللا عدل و اللا ظلم.

ويعد الحديث الذي أسر به النمر لأم الأسد منعرجا حاسما في تغير الأحداث،إذ سمع حوار كليلة ودمنة وقام بنقله إليها ،لتعرج به هذه الأخيرة إلى مسامع ابنها ،لتنشأ

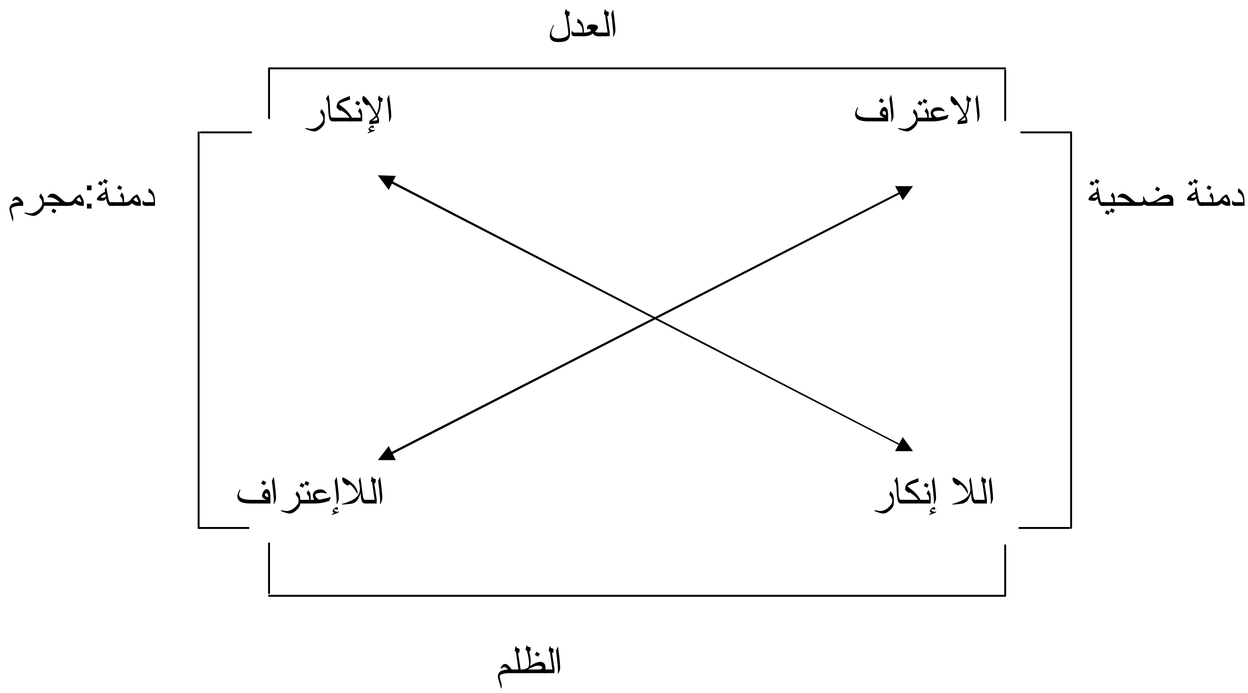
بذلك ثنائية ضدية بين الإدلاء بالشهادة لكشف ملابسات القضية وإظهار الحقيقة،وكتمانها:2ــ فكان المربع السيميائي الخاص بالنمر كما يلي



يقدم المعطيان الأوليان للمربع الشهادة والكتمان في نفيهما إقامة علاقة تضمين بين الشهادة و اللاكتمان من جهة وبين الكتمان و اللاشهادة من جهة ثانية و يمكن اعتبارهما ينتميان إلى صنف دلالي واحد،في حين تقيم علاقتا التضاد و ما تحت التضاد تناقضا بين الكشف و التستر ،و تنشأ علاقة تضمين بين انتصار الحق و بقاء الظلم ساريا.فشهادة النمر ضد النمام دمنة والتي أخبرت بها الأم للأسد دون أن تخبره باسمه،كانت النقطة الحاسمة في الكشف عن الحقيقة و بالتالي إنصاف الحق و انتصاره،في حين لو كتم النمر شهادته و لم يدل بها لكان أسهم بالتستر على جريمة دمنة و بقاء الظلم من ناحية،ومن ناحية أخرى رؤيته لصديقه الأسد يتعذب تحت وطأة عذاب الضمير من شدة إحساسه بالظلم للثور.

وقد لعبت الأم دور الناصحة الموجهة لابنها بضرورة محاكمة المجرم و معاقبته على أفعاله الشريرة ودسائس نميمته للتفريق بين الصديقين(الأسد و الثور)،بعد أن رفعت إليه شهادة النمر،التي توافقت مع إحساسه بالذنب تجاه الثور و عقدة الندم التي لازمته مدة من الزمن ،مما جعله يحسم أمره بضرورة محاكمة الجاني،فكانت مواجهته لدمنة الذي أنكر التهمة الموجهة إليه،ويمكن إرساء هذه المعطيات الدلالية على قواعد المربع السيميائي التالي:

.3ـ المربع السيميائي الخاص بدمنة:

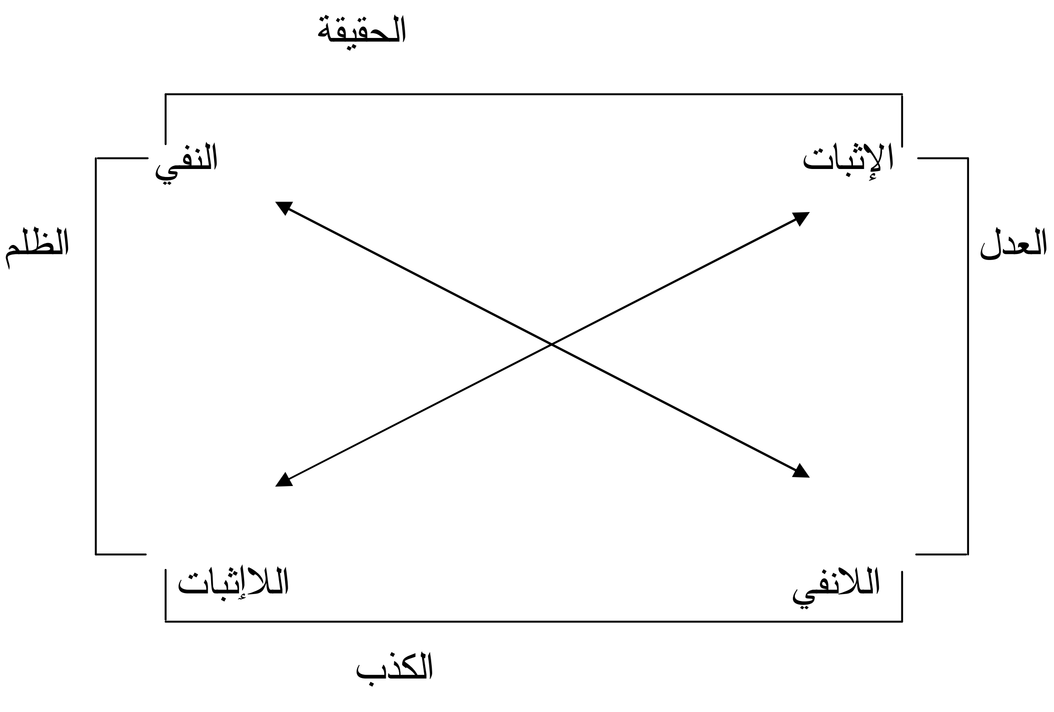


لا يبين هذا المربع التضاد الذي يحصل بين الاعتراف و الإنكار و متضمنيهما فقط،بل إنه يوضح التناقض العمودي بين الظلم والعدل من جهة،وبين دمنة مجرم ودمنة ضحية في تناقض أفقي،ليقيم مجالين دلاليين بناء لهذه المعطيات،مجال إيجابي يتمثل في الاعتراف و اللاإنكار ودمنة مجرم،وسلبي يضم الإنكار و اللاإعتراف ودمنة ضحية فـإن كان العدل يفترض الإعتراف والإنكار فـإنّ الظلم يستبعدهما معا،فدمنة باعترافه وعدم انكاره للدسائس التي استعملها للتفريق بين الصديقين يثبت الجرم على

نفسه مما يستدعي محاكمته ومعاقبته وهو ما يعكس انتصارا للحق وانتشارا للعدل،أما إنكاره وعدم اعترافه يجعله يجسد نفسه مثالا لضحية وقعت فريسة لمؤامرة النمر وأم الأسد،مما يعكس انتصارا للظلم.

ومن هذه المنطلقات يطالب دمنة الملك بحقه في محاكمة عادلة،ليبدأ الفحص والتحقيق في أمر دمنة ،لتنشأ ثنائية ضدية جديدة هي الإثبات والنفي لتشكل بذلك المعطيان الأوليان للمربع السيميائي الخاص بمحاكمة دمنة.

4- المربع السيميائي الخاص بمحاكمة دمنة:



ينبني هذا المربع على التضاد القائم بين الإثبات و النفي وما يتضمنهما تناقضان بارزان بين الحقيقة والكذب من جهة وبين العدل و الظلم من جهة أخرى،ولما كانت الحقيقة تجمع بين الإثبات والنفي ،فإن العدل مفروض في حال الإثبات و اللانفي في مجال إيجابي ،في حين يضم المجال السلبي النفي و اللاإثبات والظلم.

كانت لأم الأسد مهمة إصلاح الأسد وتوجيهه وذلك بالإدلاء بالشهادة التي أسر بها النمر لها،فقد أقنعته بضرورة إعدام دمنة ،هذا الأخير الذي طالب بإقامة محاكمة عادلة

،ابتدأت بالتحقيق وصولا إلى محاكمته بعد السماع للشهود ،وتراوحت المحاكمة بين الإثبات والنفي ،بالشهادة التي أدلى بها الشهود و بإنكار دمنة وعدم اعترافه،واستمراره بالدفاع عن نفسه،وتقديمه الحجج الكفيلة بذلك ،إلى أن استطاعت إرادة الأسد في كشف الحقيقة و إثباتها أن تنتصر على إرادة دمنة المتمسكة بالحق على حساب الحقيقة،وحكم على دمنة بالقتل.لتكون المحاكمة بهذا الشكل الرهان الأخير لدمنة وهو المطالبة بالحق لطمس الحقيقة ،ومن جهة الأسد مثلت البحث عن الحقيقة لإحقاق الحق،غير أن الحق ليس مطلوبا عنده لغاية قضائية وسياسية،وإنما لغاية ذاتية هي تبرئة ذمته من دم الثور الذي خلف عنده عقدة ذنب مؤلمة.

لا شك أن الأسد قد انتصر ،وأن الحقيقة قد ظهرت،وأن الثور قد أنصف،لكن وقائع محاكمة دمنة لا تعني انتصارا للحق وإنما لحق،إنها لا تعني تحول الحق إلى مبدإ ثابت ودائم في القضاء كما لا تعني تحول القضاء إلى مؤسسة مستقلة عن السلطة السياسية.صحيح أن ابن المقفع عاقب دمنة فهزمه وأعدمه لأنه فصل العقل عن العمل،واتخذ من موت كليلة كناية عن موت ضمير دمنة،لكن من انتصر فكريا وثقافيا هو دمنة العاقل لا الأسد السائس،لأن محاكمة دمنة قد اتجهت نحو القيمة و المبدأ والقاعدة التي ينبغي أن تسود في كل زمن ،لا وفقا للظرفي و الآني.

ومن الدلالات التي حفل بها "باب الفحص عن أمر دمنة" نجد الدلالة السياسية حيث تتجسم خطورة المخاصمة بين أم الأسد ودمنة في الإشارة إلى هيمنة الأسرة المالكة على مؤسسات الدولة عامة والهيئة القضائية خاصة،فاللبؤة تلغي بشكل واضح وصريح صلاحيات القاضي وترسخ حكم الفرد الواحد ونفوذ السلطان المستبد،وبأن القاضي هو مجرد ظل تابع للأسد،وتبرز تبعيته للسلطة السياسية في أنه بدأ المحاكمة من المرحلة التي ينبغي أن ينتهي إليها،لم يحتكم إلى التحقيق قبل الحكم ،بل استبق الحكم،جاء إلى مجلس القضاء لتجسيم إرادة العائلة الحاكمة لا لفحص ملابسات الجريمة وظروفها.

وكشفت المحاكمة عن صورة القاضي المأمول في نظر ابن المقفع،هو القاضي المستقل عن سلطة السائس ،المنصف الذي يحرص على حق المذنب حرصه على حق الضحية ،عقلاني نقي من الظنون والتهافت،بريء من العواطف والمزاجية ،جريء في الحق ،حكيم محايد ،منضبط لا يحابي الخاصة على حساب العامة ،مرجعه الحق مطلقا والحقيقة كاملة.

ومن الدلائل الدينية التي تعكس تأثر ابن المقفع بالدين الإسلامي،نجد القصاص الذي هو مبدأ إسلامي نص عليه القرآن الكريم في قوله تعالى:«يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد و الأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء فإتباع بالمعروف و أداء إليه بـإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم،ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون»[1]،ووفقا لهذا المبدأ اقتص الأسد من دمنة وحكم عليه بالقتل،على أن فكرة الجزاء من جنس العمل ،وعقاب المجرم من جنس جريمته،فقد تسبب دمنة في قتل الثور لذلك قتله الأسد قصاصا منه.

وبرزت قاعدة إثبات الجريمة ،ولا يتأتى ذلك إلا بشهادة شاهدين ذكرين عادلين وأن شهادة الواحد لا توجب حكما لقوله تعالى:«فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف و أشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا»[2].

ففي جريمة دمنة ما يؤكدها ويثبتها عليه وقد اعترف بها لأخيه كليلة ،ولكن هذا يحتاج إلى شهادة اثنين أمام الهيئة القضائية"فلما شهد النمر بذلك أرسل الفهد المسجون الذي سمع إقرار دمنة وحفظه إلى الأسد فقال:إن عندي شهادة ،فأخرجوه فشهد بما سمع من إقراره،فقال لهما الأسد:ما منعكما أن تقوما بشهادتكما وقد علمتما أمرنا واهتمامنا بالفحص عن أمر دمنة .فقال كل واحد منهما :قد علمت أن شهادة الواحد لا توجب

[1] - سورة البقرة الآيتان 178-179.
[2] - سورة الطلاق الآية 2.

حكما فكرهت التعرض لغير ما يمضي به الحكم،حتى إذا شهد أحدنا قام الآخر بشهادته"[1].وهكذا كانت شهادة النمر والفهد ضد دمنة كفيلة بإنهاء المحاكمة بالحكم عليه بالقتل.

وتم القصاص من دمنة بعد أن تمت إدانته وبشهادة الشهود،بأنه تسبب في قتل بريء فقد ورد في القرآن الكريم أنه من قتل مؤمنا بريئا ظلما وعدوانا مصيره جهنم خالدا فيها .قال الله تعالى:‹‹ومن قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما››[2]،وكذا قوله تعالى:‹‹ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعل لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا››[3]،حيث تأثر ابن المقفع بهذه القاعدة الإسلامية العادلة من خلال قول القاضي"فإنه من أعظم الخطايا قتل البريء الذي لا ذنب له بالكذب والنميمة"[4]،ومن الأحكام القضائية العادلة التي دل عليها "باب الفحص عن أمر دمنة"،نجد جزاء من يفسد في الأرض ،وذلك بتتبع مراحل المحاكمة العادلة من تحقيق واستماع للشهود،ثم النطق بالحكم.

أما عن الدلائل الاجتماعية،نجد المساندة التي حظي بها الأسد من أمه،فقد أضاءت له ما خفي عليه من نميمة دمنة،وحثته على معاقبة المخادع الماكر ،وتابعت سير المحاكمة ووجهت أحداثها الحاسمة،بل وواجهت بنفسها دمنة،وقد أقنعت الشاهد الرئيسي النمر بضرورة الإدلاء بما علم وهو ما أمكن الأسد من حسم قراره بشأن دمنة.فهي تعكس صورة مشرقة للمرأة العفيفة الفاضلة الصالحة وهذه أم مثالية تنشئ أبناءها على الخلق الفاضل والسلوك الطيب،بل إنها تضطلع بمسؤولياتها كاملة حتى بعد أن يكبر أبناؤها،ويصبحوا مسئولين بدورهم،وحتى بعد أن يرتقوا إلى أعلى المناصب،فتقف إلى

[1] - كليلة ودمنة ص146-147.
[2] - سورة النساء،[الآية 93].
[3] - سورة الإسراء[الآية 33].
[4] - كليلة ودمنة،باب الفحص عن أمر دمنة،ص137.

جانبهم ،ترشدهم إلى الصواب ،وتلقنهم دروسا نافعة تفيدهم في حياتهم وفي مستقبلهم،وقد اكتسبتها بالخبرة والتجربة.

وقد دافعت عن المظلوم وطالبت بالقصاص من المذنب وعقابه،فاللبؤة قد صورت الأم المثالية التي جلجل صوتها في كل مكان في سبيل الحق،وحذرت ابنها من مغبة التهاون في محاسبة دمنة على فعلته الشنيعة،وقد ناصرت المظلوم "شتربة"،كما أنها ضربت بيد من حديد على كل من تسول له نفسه أن ينال من ابنها ،أو يحط من قدره،أو ينقص من شأنه،أو يفقده هيبته ووقاره وسط الهيئة الاجتماعية والسياسية ،وأصرت على أن ينتقم الأسد من الظالم دمنة لتسببه في قتل الثور،حتى يحتفظ بالثقة التي منحتها له الجماعة ،والتي لا يستطيع الملك أن يحتفظ بها في نفس رعيته إلا إذا وفر لهم الأمن والأمان وحقق بينهم العدل والإنصاف ونصرة المظلوم.

كما تبرز الدلالة الاجتماعية من خلال التكاتف الوجداني عند كليلة حين أيقن أن أخاه المسجون سيقتل لا محالة،وبكى لأجله فالدموع هي أمارة الحسرة والتأسف للحال التي أضحى عليها دمنة،كما أنها تنم عن الألم و الوجع الذي يترجم تعاطفه معه ،رغم اقتناعه بجرمه فلطالما لامه وعاتبه على أفعاله،ويمكن أن يعد هذا نوعا من الشفقة نحوه،ومن شدة حزنه عليه فارق الحياة.

ومن الدلائل العقلية الفلسفية،التي تؤكد تأثر ابن المقفع بالفكر اليوناني ،نجد الاستدلال العقلي،وكان ذلك حين بدأ دمنة بالتنبيه إلى اعتباطية القياس الذي أجراه الخنزير بين كلام السابقين والتهمة الموجهة إليه،فلكي يصح المعنى المقيس لابد أن يكون المعنى المقاس عليه صحيحا أولا،وبما أن قول العلماء:"إن الخلقي محدد للسلوكي"خاطئ فبالتالي تبطل التهمة.

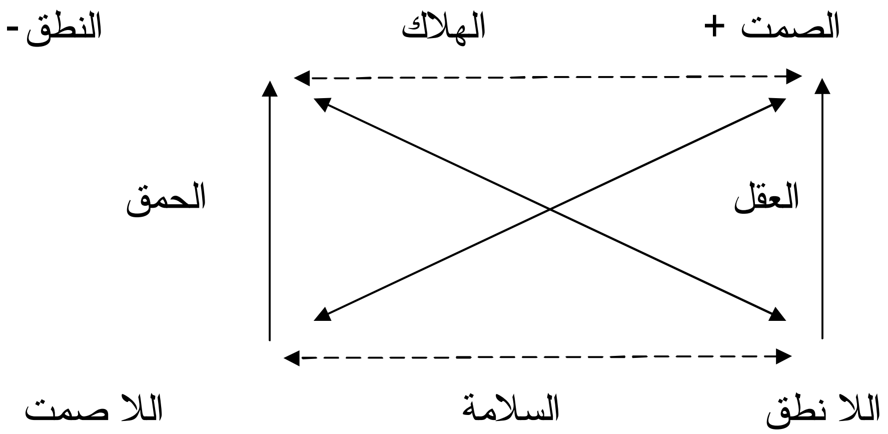
وبعد تقويض آلية التفكير في مقولة الخنزير انتقل دمنة إلى كشف الخور في محتواها،فإذا كان قبح خلقته هو المسؤول عن سوءه فإنه فعل فعلته جبرا،ولا خلاف في أن نفي المسؤولية عنه يقضي ببراءته،فكيف يجوز معاقبة من لا اختيار له في عمله.وهنا يظهر الدليل الفكري الذي يستند إلى "مبدأ الجبرية".

وتأسيسا على ما سلف نستخلص العمق الفكري و الاديولوجي الكامن في النص،فمن جهة تتبين هزيمة الفكر الأسطوري السائد في المجتمع والذي يمثله خطاب الخنزير في مواجهة الفكر العقلاني الجديد الذي حملته رياح ترجمة الفلسفة الإغريقية.

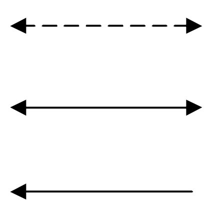
ومن جهة أخرى يتجلى من خلال المواجهة بين الحيوانين، موقف ابن المقفع النقدي من الحكم الأموي الذي جند بعض رجال الدين لجمع الآيات الدالة على أن الإنسان مسير لا مخير،وأن حكمهم للمسلمين قدر حتمته الإرادة الإلهية.

حكاية السلحفاة و البطتين:

تعد الحكاية إحدى الحكايات المثليّة التي تضمّها "باب الأسد والثور"، وهي تعكس مثل الذي يُنصَحُ ولا يعمل بالنصيحة فيتسبب ذلك في هلاك نفسه، فالسلحفاة هلكت بسبب حمقها وجهلها بمضمون النصيحة التي قدّمتها لها صديقتاها البطتين، حين نصحتاها بعدم النطق أثناء الطّيران، وعدم الاكتراث بما يقوله الآخرون حين يرون مشهدها وهي تطير مما يجعل النطق والسكوت ثنائيًا متضادًا يعتمد أساسا في تكوين المربع السيمائي الذي يسمح برؤية البنية العامّة للنصّ الحكائي في أبسط تشكلاتها على النحو التالي:



يعتبر كل سهم كما يلي:



:علاقة التضاد وما تحت التضادّ.

:علاقة التناقض.

:علاقة التضمين.

لا يبيّن هذا المربع التضاد بين الصمت والنطق، وتضمنهما (اللا صمت، اللا نطق) فقط، بل إنه يوضح التناقض الأفقي بين الهلاك والسلامة من جهة، وبين التناقض العمودي بين العقل والحمق من جهة ثانية، ليقيم بذلك مجالين دلاليين بناء على هذه المعطيات كلها، يحمل الأوّل إشارة إيجابيّة تضمنت الصّمت و اللا نطق والعقل،

ويعمل الثاني إشارة سلبيّة حَوَت النطق و اللا صمت والحمق،فإذا افترض الهلاك الصّمت والنطق، فإنّ السلامة تستبعدهما.

فالسلحفاة لم تهلك إلاّ بسبب حمقها وسذاجتها، وعدم تحكمّها في نفسها، بالإضافة إلى عدم تطبيقها للنصيحة، فالمثل الذي قدّمته السلحفاة في الحكاية هو مثل إيجابي، رغم هلاكها، لكنها جسدت عبرة لمن لا يستمع للناصح، ولا يطبّق كلامه.

تجسد الأمثولة أجل صور الصداقة والتعاون التي اضطلع بها مؤلف كليلة ودمنة،على غرار الحكايات التي ترسم هذه الملامح الاجتماعية،فقد جمع العيش الكريم وحسن الجوار والمودة بين البطتين والسلحفاة على الرغم من اختلاف طبائع هذه الحيوانات،إلا أنها استطاعت التعايش مع بعضها وتوطدت أواصر الصداقة والعلاقات الاجتماعية بينها،وهذا يعكس الأوضاع التي كانت تعيشها الدولة من اختلاط بين العرب والأعاجم وبين المسلمين وغيرهم وتعايشهم مع بعضهم رغم اختلاف توجهاتهم وطبائعهم وحتى ديانتهم.وهذه القصة تؤكد حسن الوفاء للجار والحرص على مساعدته وتأمين الراحة له،وبالتالي تأمين التمتع بحسن الجوار للجميع،وهذا ما جسدته البطتان حيث أبتا إلا مساعدة صديقتهما السلحفاة وضرورة أخذها بعد أن نقص الماء الذي هو رمز الخصب.مما يؤكد أن مفهوم الصداقة عند ابن المقفع خال من الغرض(من خلال هذه الحكاية)،مجسدا بذلك مبدأ الإيثار ومحبة الغير على النفس،وأن الصفات والقيم التي ترافق هذه الصداقة تحوم في فلك العقل،فهو معينها ومآلها وحصانتها،وهي متى اتخذته درعا وقائدا ارتقت في ممارستها الأخلاقية والاجتماعية،والدليل على ذلك أن الصديق العاقل المخلص يؤثر صديقه على نفسه،وهو ما فعلته البطتان،حيث تعاونتا على حمل السلحفاة بعد أن أخضعاها لشرط التزام الصمت،مما يعكس الطابع الفكري للتعاون والصداقة والذي محتواه النصح والإرشاد.كما أن الكلام في غير موضعه وغير مناسبته يكون مهلكة لصاحبه،وهذا ما أدى إلى سقوط السلحفاة وموتها بعد فتحها لفمها أثناء عملية الطيران،والدلالة الفكرية الواضحة هنا أن التزام الصمت منفعة،وهي تعكس صحة المقولة"إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب".كما تؤكد الحكاية على أن

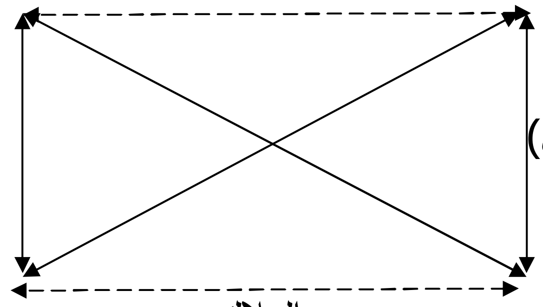
التزام المنطق فيه نجاة لصاحبه،فمن غير المنطقي أن تطير السلحفاة وهي لا تملك ما يؤهلها لذلك،من جناحين وقدرة على الطيران،فخروجها عن المنطق والمألوف جعل الناس يستغربون فعلتها وحمقها وعدم التزامها بالشرط كان سببا في هلاكها،وهذا ما يعكس النزعة الفلسفية لابن المقفع ،وتأثره بالمنطق الأرسطوطاليسي.

حكاية السمكات الثلاث:

تنتمي الحكاية إلى باب "الأسد والثور"، حيث أنّ "دمنة" قصّ على "الأسد" عديد الحكايات المثليّة، ليقنعه بضرورة التعجيل في التخلّص من "الثور"، ليعجّل هو بذلك استرجاع مكانته لديه، و "السمكات الثلاث" هي إحدى تلك الحكايات الحاسمة التي أسهمت في عملية الإقناع، للتأكيد على أنّ الثور خطر على مملكة الأسد.

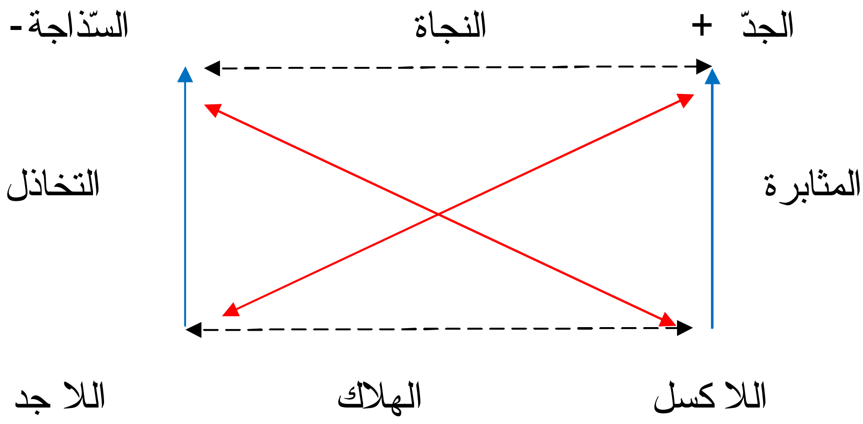
وتعكس حكاية السمكات الثلاث مثل الذي يتدبرّ الأمر قبل وقوعه، والعاجز الذي يبقى متردّدا فيهلك. فالسمكة الكيّسة التمست لنفسها مخرجا قبل وصول الصّيادين، والأكيس منها تخلّصت منهما رغم وقوعها في الورطة، والعاجزة صيدت لقلّة حيلتها وتردّدها.

ويشكل التضادّ بين الفطنة والسذّاجة أحد السيمات المشكلة للبنيّة الدلاليّة العامّة للحكاية والتي يجسّدها المربع السيميائي الموالي:



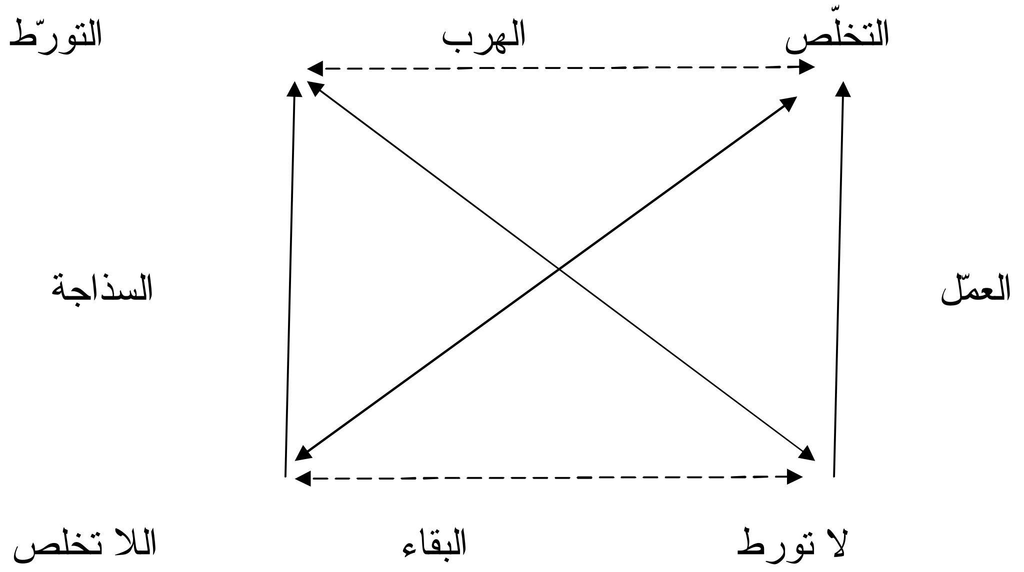
يشكلّ التضادّ بين الفطنة والسذاجة أساسا للتناقض بين النجاة والهلاك من جهة، وبين الذكاء (العقل) والغباء (الحمق) من جهة ثانية. وتتوزع هذه المعطيات الدلاليّة على مجالين دلاليين هما: إيجابي يجمع الفطنة و اللا سذاجة والعقل، ويتخذ الحياة سمة له، ومجال سلبي ضمّ السّذاجة و اللا فطنة والغباء، و أتخذ الموت سمة مقابلة لسمة المجال الإيجابي. فتجمع النجاة بين الفطنة والسذاجة، ويجمع الهلاك (الموت) بين اللا سذاجة و اللا فطنة. فالسمكة الأولى والثانية استعملتا الذكاء والفطنة للتخلّص من شباك الصيّادين، أمّا الثالثة فقد فقدت حياتها بسبب سذاجتها وغبائها.

وجمع المربع السيميائي الخاصّ بالسمكة الأولى بين الجدّ والكسل لتبيان البنية الدّلالية الموضحّة كالآتي:



ينبني على التضاد القائم بين الجدّ والكسل، الذين يتيحان في نفيهما علاقة تضمّن بين الجدّ و اللا كسل من ناحية، والكسل و اللا جد من ناحية ثانية، كما تقيم علاقتا التضادّ وما تحت التضادّ تناقصا بين النجاة والهلاك، وتقيم علاقتا التضمين تناقصا آخر بين المثابرة و التخاذل، مما يبرز معالم مجالين دلاليين: إيجابي وسلبي، يضمّ الأول الجدّ و اللا كسل والمثابرة، ويجمع الثاني بين الكسل و اللا جد والتخاذل. فحمل الأول سمات دلاليّة إيجابيّة تمثّل في النجاح وتحقيق النجاة من طرف السمكة الأولى، وبلوغها الطرف الثاني من النهر، وذلك بفضل جدها ومثابرتها وعدم كسلها. كما حمل المجال الثاني سمة سلبيّة تمثلت في فشل الصيادين في الحصول على السمكة الأولى.

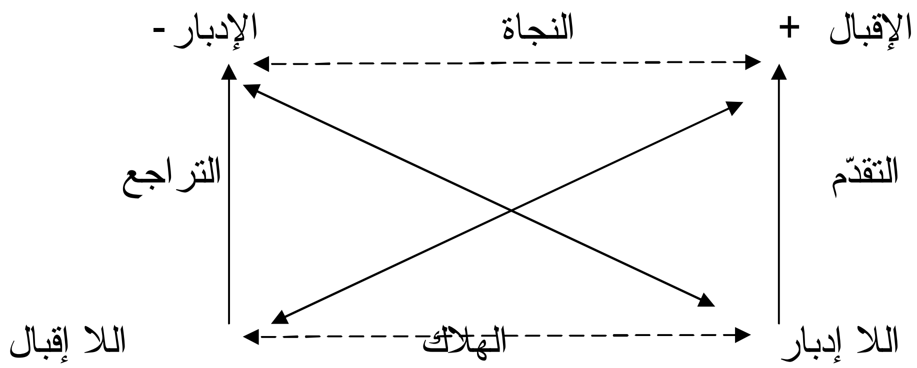
المربع السيميائي الخاص بالسمكة الثانية:



لا يبين هذا المربع التضادّ الذي يحصل بين التورّط و التخلّص ومضمنيهما فقط، بل إنّه يوضح التناقض العمودي بين العقل والسذاجة، وكذا التناقض الأفقي بين الهرب والبقاء.

وبناء على هذه المعطيات الدلاليّة يتبين مجالان دلاليان متناقضان إشاريا: يكون الأول إيجابيا يجمع بين التخلّص و اللا تورط والعقل، ويكون الثاني سلبيّا يتمثل في التورّط واللاتخلص والسذاجة، وإذا كان الهرب يفترض التخلّص والتورط فإن البقاء في الغدير يستبعدهما معا، فالسمكة الثانية لم تقع في الورطة إلاّ بسبب تفريطها وتفكيرها المتواصل على ضرورة الهرب، إذ أنها لم تزل تتماوت على ظهرها تارة وعلى بطنها تارة أخرى، حتى حققت النجاح في الهرب، والورطة التي وقعت فيها هي التي جعلتها تُعمل عقلها وذكائها لالتماس مخرج لنفسها، ولو اتبعت سذاجتها ولم تتخلّص من ورطتها، وقعت في شرك الصيّد.

المربّع السيميائي الخاصّ بالسمكة الثالثة:



تمثل السمكة الثالثة مثالا للعاجز الذي يتردد في اتخاذ قراره فيتسبب بموت نفسه،وهذا ما حدث للسمكة التي ظلت في إقبال وإدبار حتى صيدت وانتهى أمرها ويتضح ذلك من خلال ما يلي:

1. يشكل التضاد بين الإقبال والإدبار أساسا للتناقص بين النجاة والهلاك، وبين التقدم والتراجع من جهة ثانية، وتنقسم هذه المعطيات الدّلاليّة في مجالين دلاليين: إيجابي يضم الإقبال و اللا إدبار والتقدم، وسلبي يحوي الإدبار و اللا إقبال والتراجع، فيسّم الأوّل بالحياة، ويقابله الثاني بسمة الموت، وهذا ما حدث للسمكة الثالثة التي لم تحسم أمرها في اتخاذ قرارها، بين تقدّمها وتراجعها، فالتقدم يعني هروبها ونجاتها، وقد يضمن لها التراجع ذلك، لكنها لم تتخذ قرارها في الوقت المناسب فهلكت. ومن هذه المعطيات تبين أن ابن المقفع صور من خلال حكاية السمكات الثلاث على أن الرجال ثلاثة :حازم وأحزم منه وعاجز،معلنا بذلك عن مبدأ تدارك الخطر بالرأي و الحيلة واغتنام الفرص ،ناصحا بضرورة تدارك الخطر قبل تفاقمه و استفحال أمره ،داعيا بذلك إلى الوعي بالحكمة و العقل لتجنب الخطر قبل وقوعه،وذلك يتأتى بالروية وحسن التصرف.كما حذر من الاستسلام للقدر و ترك الأمور لوقتها ،فهذا هو عين الكسل و التواكل الذي يؤدي إلى الفشل و الهلاك .مما ينم عن خلفية دلالية فكرية نابعة من أن الأمثولة قد وضعت أصلا لتمجيد العقل و حسن توظيفه.فالأحداث في توا شجها على امتداد الحكاية ترسم منطقا متعاليا هو منطق القيم المنبثق عن العقل، فالتخاذل

و التراجع موت و هلاك، و التردد يورط الإرادة ويجعلها قيد الصدفة،أما الحزم فهو النجاة بلا ريب. وهذا ما عكس تميز الفكر الإسلامي في هذه الحقبة التاريخية بإخضاع كل شيء للمنطق و العقل، بتأثير ما ترجم من اليونانية إلى العربية من العلوم العقلية وفي مقدمتها المنطق والفلسفة.ثم بتأثير الفكر المعتزلي الذي يحكم العقل في كل شيء،وهذا ما وسمته الحكم والمواعظ ،فالحكمة هي نتاج العقل المفكر،بما تشتمل عليه من معان كالتريث في الأمور وعدم التهور و الاندفاع.وهذا ما يعكس السمة الدلالية البارزة لفلسفة كليلة ودمنة،والمتمثلة في المذهب العقلي الذي يجعل العقل مديرا وموجها لكل حركة.

الحمامة والثعلب ومالك الحزين:

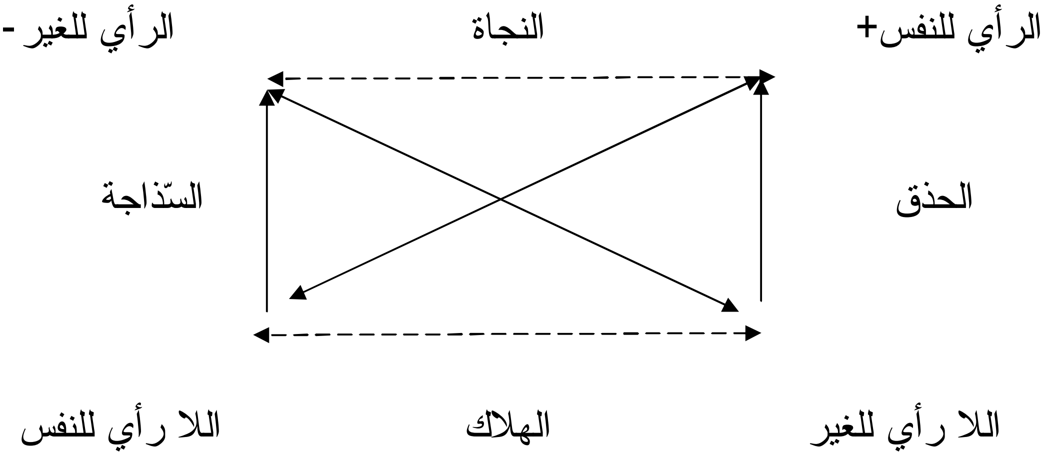
تعدّ هذه الحكاية، من أبواب مؤلف "كليلة ودمنة"، وجاءت على غرار سابقاتها من الحكايات المثليّة فيه،وقد جاءت استجابة لطلب الملك "دبشليم" للمعرفة، و بإجابات الفيلسوف " بيدبا " الحكميّة ، و التي يهدف من ورائها استخلاص العبرة ، و توعية الملك و تنبيهه إلى ما يصلح شأنه من مقاصد المعرفة إذ طلب الملك من الفيلسوف أن يضرب مثلا معينا، كما سارت عليه، معظم الحكايات، مجددا له بذلك إطار الحكي و العبرة منه : «فاضرب بي مثلا في شأن الرّجل الذي يرى الرأي لغيره ولا يراه لنفسه »[1]، يأتي جواب الفيلسوف بهذا وليد الرغبة من الملك إن مثل ذلك مثلُ «الحمامة والثعلب و ملك الحزين » [2]، فقد كان الملك الحزين ينتظر شغفا لسماع جوابه ، فيأخذ التحفيز مكانه من الطرفين، بحيث يتحفّز السارد للحكي، كما يتحفّز المسرود له للسمّاع .وقد جاءت الحكاية امتدادا و استنتاجا للطرح المعان في بدايتها، إذ يستكمل عناصرها الدلاليّة بإبراز تقديم النصيحة للغير، دون العمل بها للنفس عند الضرورة.

وقد أقام بذلك تضادًا بين الرأي للنفس والرأي للغير، مستعملا "لا" النافية بعد الفعل "يرى" لينشأ التعارض بين (يرى الرأي ← لا يرى).

وهذا ما يمكن اعتماده في إنشاء المربع السيميائي التالي:

[1] - كليلة ودمنة ص245.
[2] - المصدر نفسه ص 245.

المربع السيميائي الأوّل: الخاص بتقديم النصيحة للغير دون استعمالها للنفس عند الحاجة:



يتيح المعطيان الأوّلان (الرأي للنفس والرأي للغير) في نفيهما، إنشاء علاقة تضمين بين (الرأي للنفس و اللا رأي للغير) من جهة، و(الرأي للغير و اللا رأي للنفس) من جهة ثانية، فيمكن اعتبارهما إلى صنف دلالي واحد، في حين تقيم علاقتا تضاد وما تحت التضاد تناقضا بين (النجاة والهلاك)، كما أن علاقتي التضمين تقيمان تناقضا آخرين (الحذق والسذاجة)، فالنجاة المشار إليها، تكون نتيجة لمن يرى الرأي لنفسه دون غيره وعدم التدخل في شؤونهم، كذلك الهلاك، هو نتيجة لمن يرى الرأي لغيره، ولا يراه لنفسه فيهلك ببساطة نتيجة حمقه (إن لم نقل غبائه)، في حين يتقدم الحذف ونقيضه السّذاجة ترجمة لإحسان القيام بالمهمّة وعدمها (التماس الرأي للنفس وعدم فعل ذلك للغير).

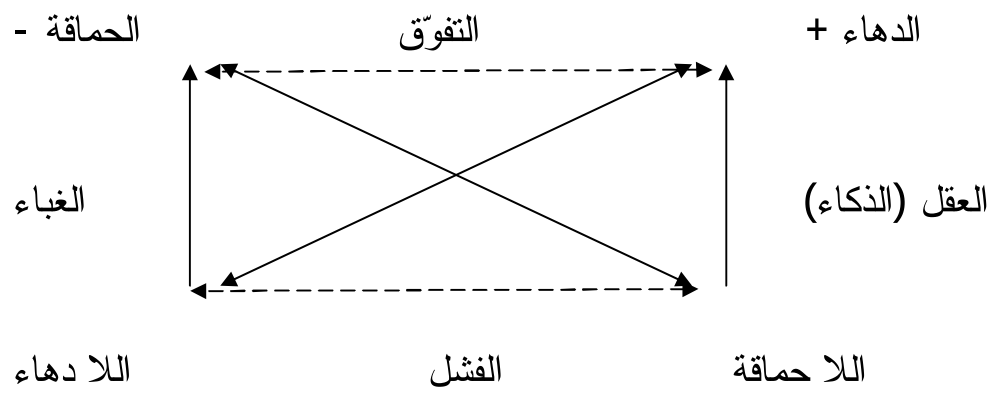
ويحمل تقديم الرأي للنفس سيمات دلالية إيجابيّة، بما يشير إليه من نجاح فعلي للمهمّة المطروحة على الذّات، ومن تلبية للرغبة الدّافعة لها وهي النجاة، والاستمرارية في العيش، والرأي للغير يحفل بدلالات سلبية لما يعنيه من فشل في تحقيق النجاة المراد بلوغها (في بلوغ المراد حقيقة)، وبالتالي فإنّ علاقة التضادّ بينهما مع ما

تتضمّنه وما ينتج عنها من تناقضات تؤدّي إلى تباين مجالين دلالين متناقضين بدورهما، محدّدين بالإشارتين (+) و (-) على المربع، الأوّل يكون إيجابيا ينهض فيه: الرأي للنفس والحذق و اللارأي للغير، من جهة، ومجال سلبي في الجهة المقابلة، يكون على أساس الرأي للغير و اللارأي للنفس والسّذاجة، وبالتالي يمكن اعتبار النجاح (النجاة) قائما في المجال الإيجابي، في حين ينتمي الفشل (الهلاك) كنتيجة حتمية لتلك المعطيات الدلاليّة.

وتقدم هذه الحكاية عبر المثال الذي تتضمنّه، مثالا للشخصية السلبيّة والإيجابية في الوقت نفسه، السلبيّة لأنها فشلت في مهمتها وتسبب في هلاك نفسها بنفسها، وبذلك فهي هنا نموذج لا يحتذي بحذوه، وإنما وجب اجتناب الإقتداء به، وهذا ما يبرر إيجابية المثل.

فيما يشكل الجانب الإيجابي لهذه الشخصيّة، في كونها تقدم العون للغير وتساعده لتحقيق مرادهم، ولكن هذا لا يعني إهلاك النفس مقابل ذلك، فرؤية الرأي للغير دون النفس مهلكة لا محالة، فالذي يرى الرأي لغيره، عليه أنّ ينفع به نفسه أوّلا قبلهم، وإلاّ عدّ بذلك نموذجا سلبيا والفشل في المهمة، لم يتم فقط بسبب سذاجة "مالك الحزين وحماقته"، وإنما تم بفضل براعة الثعلب ودهائه، الذي أتقن في حبك خطّة خبيثة للإيقاع به، وبالتالي فنجاحه (الثعلب) يعكسه الوجه الآخر لمالك الحزين، فالثعلب قد لعب دورا فعالا تفوق به على دور صاحبه (مالك الحزين)، وعلى هذا الأساس يتقدم الثعلب كذات ثانية يمكن لوضعها الخاص أن يقدّم صورة أخرى عن الوضع البنيوي العام للحكاية، هذا ما نوضحه من خلال المربع السيميائي الموالي.

- المربع السيميائي الخاص بالثعلب والتماسه الحيلة للقضاء على مالك الحزين.



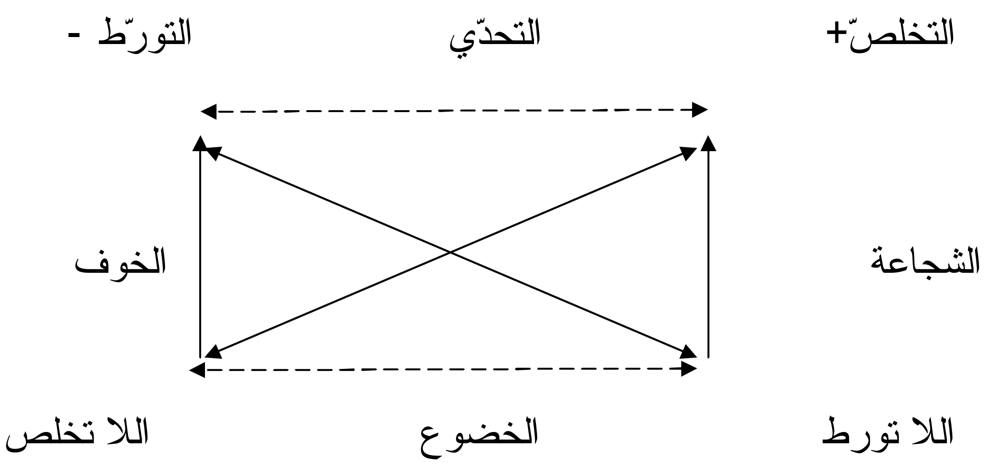
لايبين هذا المربع التضاد الذي يحصل بين الحماقة والدّهاء ومتضمنيهما فقط، بل إنّه يوضح التناقض العمودي بين التفوّق والفشل من جهة، والتناقض الأفقي بين العقل (الذكاء) والغباء من جهة ثانية. وهذه المعطيات الدلاليّة كلّها تقيم مجالين دلاليين متباينين إيجابيا يتمثل في (الدّهاء و اللا حماقة والعقل) من جهة، وسلبيا يتمثّل في (الحماقة و اللا دهاء و الغباء) من جهة ثانية، فالثعلب لم يتفوّق على مالك الحزين إلاّ فضل دهائه في ابتكار حيلة للقضاء عليه، وقد نجح في ذلك، ممّا جعله يستنجد بعقله لحبكها وسبكها جيّدا.

والثعلب بهذا يعكس الشخصيّة الماكرة الشريرة، فبفضل هذا المكر استطاع أنّ يحتال على الحمامة المسكينة ويأكل فراخها لوقت، على الرغم من أنها كانت تسكن قمة النخلة، فبذكائه ومكره ودهائه استطاع خداعها وإقناعها بإمكانية الارتقاء إليها والتهامها مع فراخها، والثعلب يعدّ شخصيّة نموذجيّة، ولكن ليس بحدّ ذاتها، بمعنى أنّ شخصيّته تعتمد العقل والتفكير السليم لقضاء مآربها، لكنها مع ذلك تستخدمه في ظلم الآخرين وخداعهم وبالتالي تكمن إيجابيتها في الأولى وسلبيّتها في الثانية.

إنّ هذا الطرح البنيوي العام للحكاية هو الوجه الثاني لطرح السابق، مما يلاحظ من عنوان الحكاية "الحمامة والثعلب ومالك الحزين"، أن تقديمه هذا الشكل يعكس تقديم الإيجاب على السلب، للإيحاء بإتحادهما أولا، وبأولويّة الإيجاب على السلب ثانية، لذلك فإنّ فشل مالك الحزين في الاحتفاظ بحياته والعيش يمثّل إدانة

للسلبي، كما يعد فشل الثعلب في الاستمرارية في أكل فراخ الحمامة طرفا في ذلك، في حين يتسم الإيجاب بطابع الازدواجية كذلك، بين الحمامة التي استطاعت بفضل رأي "مالك الحزين" أنّ يتخلّص من مكر الثعلب من جهة، وبين الثعلب الذي أكل مالك الحزين بدل فراخ الحمامة من جهة ثانية، ويمكن أن نستعين بهذا المربع السيميائي لتوضيح ذلك:

- المربع السيميائي الخاصّ بالحمامة وكيفية تخلصها من الثعلب ومكره.



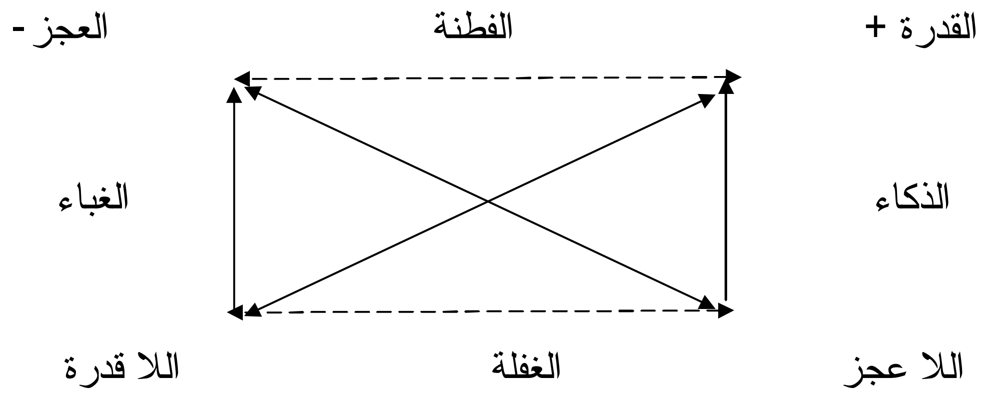
يوضّح هذا المربع التضادّ بين التخلّص والتورّط ومضمنيهما، كما يبرز التناقض العمودي بين التحدّي والخضوع من جهة، والتناقض الأفقي بين الشجاعة والخوف من جهة ثانية، لينشأ بهذا مجالان دلاليان متعرضان، يجمع الأول بين (التخلص واللاتورط والشجاعة) ليكون إيجابيا إشارته (+)، ويجمع الثاني بين (التورّط و اللاتخلص والخوف) ليكون سلبيّا وإشارته (-).

إذا كان التخلص والتورّط يستوجبان التحدي، فإن التنازل يستبعدهما معًا، فالحمامة لم تقع في هذه الورطة مع الثعلب إلاّ لخوفها من ارتقائه إليها في قمّة النخلة (وهذا مستحيل تماما). وهذه الورطة هي التي جعلتها حزينة الحال كاسفة البال، وطلبها

المساعدة من "مالك الحزين"، هذا الأخير الذي قدّم لها المشورة التي نبهتها إلى كيفية التخلّص من مكر الثعلب، وعدم الخضوع له، بالشجاعة التي اكتسبتها بعدما فطنها صديقها إلى أنّها تستطيع الطيران بعيدا ولن يستطيع الثعلب إمساكها ولا اللّحاق بها، وهذا ما يعكس نموذج الشخصيّة التي تنتفض لإصلاح أمرها المزري، ورفضها للخضوع والتنازل بامتلاكها لقدرة التحدّي، وهي نموذج إيجابي، إذ تعطي الصورة الفعليّة للمثال الناجح لاستدراك ما فات والاحتفاظ بما هو قادم، كما تعكس إيجابيتهّا في النهوض لتغيير واقع فرض عليه نتيجة المكر والخديعة.

لكن هذا الطرح بدوره يتداخل معه طرح آخر لاستكمال البناء الدلالي العام للحكاية، وهو ذلك الذي يخصّ "مالك الحزين" الذي تحول إلى عدّو نفسه للوقوع في الفخ الذي رسمه له "الثعلب"، فهو لم ينتبه للحيلة فنال شرّ قتلة على يده، وأصبح طامعا له بدل فراخ الحمامة التي أنقضها، والمربع السيميائي التالي يعكس هذه الصورة:

- المربع السيميائي الخاصّ بالعجز على النجاح في المهمّة المطروحة.



يشكلّ التضادّ بين العجز والقدرة، أساسا للتناقض بين الغفلّة والتفطّن من جهة وبين الذكاء والغباء من جهة أخرى، وتتوزع هذه المعطيات الدلاليّة للنصّ في مجالين دلاليّين متباينين: إيجابي (+) يجمع (القدرة والذكاء واللاعجز) وسلبي (-) يضم

(العجز والغباء و اللاّقدرة)، يتسم الأوّل سمة الحياة والنجاة، ويتسم الثاني بسمة الهلاك والموت التي تقابل السمة الأولى، ليكون المآل النهائي للنجاح أو الفشل في تحقيق المهام المطروحة: الحياة أو الموت. وعلى هذا الأساس يمكن قراءة البنية الدلاليّة العامّة للنصّ فيما يخص الحمامة ومالك الحزين على حدّ سواء (دون الثعلب). إنّ محاولة الثعلب القضاء على مالك الحزين تستلزم القدرة في ذلك، باعتبار أنّ هذا الأخير طائر قويّ ويستطيع التحليق بعيدا إذا ما حاول الثعلب افتراسه بطريقة مباشرة، ممّا جعله ينسج خيوط حيلة محكمة للإيقاع به، وقد نجح فعلا على تحقيق ذلك، بعدما كان غباء الطائر عاملا مساعدا على ذلك وغفلته، وكانت فطنته ودهاؤه أقوى عامل في ذلك.

أمّا مالك الحزين الذي جعلته غفلته وعدم تنبّهه بحيلة الثعلب، بين القدرة والعجز، لم يكتشف بوادر الخديعة لغبائه وعدم إعمال العقل في إحكام الرأي، جعلته بكون طعاما شهيّا للثعلب، وفي كلتا الحالتين يبرز الذكاء والعقل كدور حاسم في انقلاب الواقع، وتقرير الأوضاع و النتائج . ويبقى العقل مفتاح الظفر دائما.

يعتبر هذا النص القصصي نص صراع لتحقيق رغبة الثعلب في تحصيل الطعام والأكل من جهة ،وإنجاز مهمة القضاء على مالك الحزين من جهة ثانية،هذا الصراع الذي انتهى إلى الانتصار على هذا الأخير،والهزيمة أمام الحمامة،وهذا ما جسدته براعة الاحتيال،وإحكام العقل في صوغ الحيل.فقد مارس الثعلب نوعا من فعل التطويع ألعلائقي،والتطويع هو:"كذب منظم وفعل عنيف ومكره يهدف من خلاله المطوِّع إلى إخضاع المتلقي وسلب حريته،وجعله أداة طيعة لخدمة أغراضه،ويعني به أيضا استخدام مجموعة من الوسائل لتحقيق هدف معين"[1]،حيث تظاهر الثعلب باللطف واللباقة ،مستثمرا كل ما أوتي من ذكاء وحيوية وفاعلية ومرونة لنيل مراده ،وقد تحقق

[1] - عالم الفكر،ص157.

له ذلك،فلم يكن واضحا في حديثه،وشكك في قدرة مالك الحزين،مما أثر في نفسه وانخدع بكلامه بسهولة،ووقع ضحية دهائه.

ويبرز النص جملة من الدلائل،فمن الدلالات الاجتماعية التي يضطلع بها،فهو يرسم لنا أحد مظاهر التعاون والتكافل الاجتماعي بين الأفراد،والذي تضمن النصح والإرشاد ،مما يوطد العلاقات بينهم ،فمالك الحزين ساند الحمامة وقدم لها العون للنجاة من مكر ودهاء الثعلب،وعلمها الحيلة للرد عليه إن أتى إليها ثانية ليأكل فراخها،ومن هنا نشأت علاقة صداقة بينهما(الحمامة ومالك الحزين).

ومن الدلالات الفكرية البارزة في هذه الحكاية هي البراعة العقلية والدهاء الخارق الذي نجح الثعلب بواسطته حبك حيلته للاستفادة من أكل فراخ الحمامة من ناحية،وبفضله استطاع التظاهر بالجهل وعدم المعرفة،وإبداء مظاهر الورع والتقوى للتلاعب بمالك الحزين،الذي وقع ضحية مكره من ناحية أخرى.كما يتجلى التفكير المنطقي في الأسلوب الذي استعمله مالك الحزين ليقنع الحمامة أنه من المستحيل أن يرتقي الثعلب إليها في رأس النخلة المتطاولة بالشموخ،وفي حال استطاع الوصول إليها طارت بجناحيها بعيدا ونجت بنفسها واكتفت بالتضحية بفراخها فقط،والحيلة هي نتاج العقل المدبر العقل هو مفتاح النجاح.

ومن هذا نجد تأثر عقلية حيوان ابن المقفع بالعقلية الإسلامية التي قامت على المنطق،وعلى الجدل والحجاج والمناظرة.

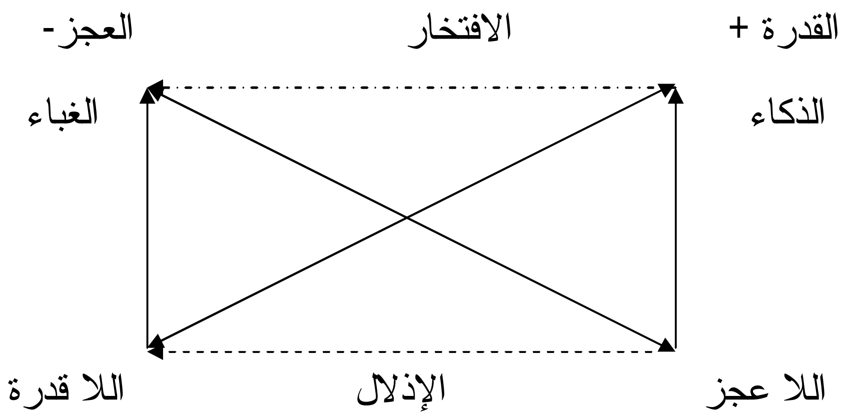
ومن الدلائل الدينية نجده يصور لنا الإيمان بالقضاء والقدر والتسليم به والاستسلام له في خضوع الحمامة وامتثالها لأوامر الثعلب،راضية بأن هذا هو قدرها،وأنه مكتوب عليها أن يأتي الثعلب إليها ليأكل فراخها كلما أفرخت مستسلمة كل الاستسلام له،إلى أن عملت بنصيحة مالك الحزين وقررت أن تغير قدرها بإعلان مبدأ التغيير مما يؤكد تأثر ابن المقفع بتعاليم الدين الإسلامي،بعد اعتناقه له.

ومن هنا نجد أن ابن المقفع ينظر إلى العقل من زاويتين:العقل النظري والعقل العملي وهما عنده متكاملان ضمن ما يسميه الفلاسفة العرب بوحدة التقدير(العقل النظري)والتدبير(العقل العملي).وهو ما جسدته الحيلة التي علمها مالك الحزين للحمامة وكيفية تطبيقها للنجاة من مكر الثعلب من جهة،ومن جهة أخرى الحيلة التي ابتدعها الثعلب للقضاء على العقل المدبر الذي تسبب في سلبه طعامه ،بالقضاء على مالك الحزين بعد التظاهر عليه بالتساؤل وادعائه عدم المعرفة.

حكاية الأسود وملك الضفادع :

تعد حكاية "الأسود وملك الضفادع"حكاية صغرى متفرعة عن حكاية"البوم والغربان"مثلا عن الذي يتحمل المشقة يرجو نفعها،قال الغراب:"إنه من احتمل مشقة يرجو نفعها ونحى عن نفسه الأنفة والحمية ووطنها على الصبر حمد غب رأيه".[1] كما أنها وردت لإبراز مثل العدو المتظاهر باللين والمسامحة ليستغل غيره بالمكر والحيلة،فقد استعمل الأسود الحيلة ليضمن عيشه على حساب جماعة الضفادع،وذلك بعد أن أصبح عاجزا عن ذلك بسبب الهرم والكبر،فاستغل سذاجة ملك الضفادع،لينال طعامه صباحا ومساء دون كبير عناء ومشقة،بجعل نفسه مطية له وبالمقابل يبعث له بضفدعين يوميا يقتات عليهما،فلم يضره خضوعه للعدو الذليل بل انتفع منه وصار له معيشة ورزقا.

وتقوم الفكرة العامة لهذه الأمثولة على ثنائية القدرة والعجز مما يتيح المعطيات الأولية لإنشاء المربع السيميائي المؤطر للبنية الدلالية للحكاية،والذي يعكس القدرة على النجاح في المهام لتحقيق المنفعة الشخصية،وهو ما يجسده المخطط التالي:



يشكل التضاد بين القدرة والعجز أساسا للتناقض بين الحياة والموت من جهة،وبين الذكاء والغباء من جهة ثانية،لتتوزع هذه المعطيات الدلالية في مجالين دلاليين عامين:ايجابي يضم القدرة و اللا عجز والذكاء متخذا الحياة سمة له،وسلبي يضم العجز

[1]- كليلة ودمنة ص 181

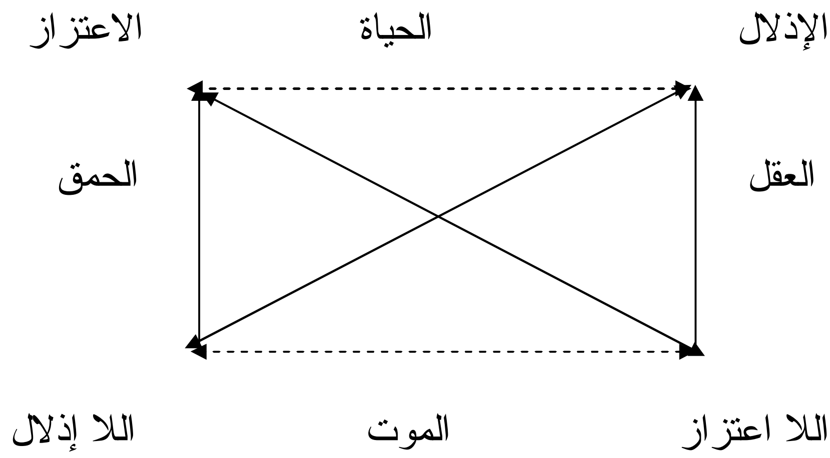
و اللا قدرة والغباء وسمته الموت،ليكون المآل النهائي للنجاح في أداء المهمة أو الفشل في ذلك هو إما الحياة أو الموت.على هذا الأساس يمكن قراءة النص في بنيته الدلالية العامة سواء فيما يخص الأسود أو ملك الضفادع.

إن محاولة الأسود في تحصيل طعامه تسلم القدرة على التمكن من الضفادع،وذلك لا يكون إلا بالذكاء والحيلة لأنه لا يمتلك القدرة الجسدية بعد كبره.أما ملك الضفادع الذي جعله غروره وافتخاره بامتطاء الأسود بين القدرة والعجز،فبقيامه بإرسال ضفدعين كل يوم إلى الثعبان ،يجعله في مصف الغباء مما يفضي إلى العجز و بالتالي إلى فشل.

إن هذا الطرح البنيوي العام للحكاية ،هو الوجه الآخر للقصة الأم"البوم والغربان" يعكس تقديم الأسود على ملك الضفادع في عنوان الأمثولة ،أي تقديم الإيجاب على السلب،للإيحاء باتحادهما وبأولوية الأول على الثاني.لذلك فإن نجاح الأسود في تحصيل طعامه دون جهد جاء على حساب فشل ملك الضفادع (غير الظاهر) الذي استجاب لطلبه دون أن يعلم أنه يخدعه.مما يسمح يطرح مسألة القدرة التي أعوزت الأسود وأمكنته في من الاحتيال ببراعة على ملك الضفادع.مما يعكس طابع التموج لهذا النص،فالأسود كان يتمتع بالقدرة على الصيد ثم غدا عاجزا بسبب هرمه وكبره.

ثم آل إلى موقع القدرة بالحيلة التي ابتدعها ليضمن عيشه،ثم صار إلى العجز بعد أن جعل نفسه مركبا لملك الضفادع ثم انتهى إلى القدرة بحصوله على طعامه.مما يؤكد على قدرة الثعبان في الحالتين،بعضلاته حينا،وبعقله حينا آخر.أما الضفادع فعاجزة في الحالتين،فمأكولة لا محالة في كلتا الحالتين،أما ملكها فذليل في الحالتين أيضا،وإن ظن أن ركوبه الأسود شرف ورفعة.

لقد خضع الأسود إلى ملك الضفادع طوعا ليركبه مقابل أن يوفر له طعامه،فعمد إلى إذلال نفسه له ليضمن عيشه،وهو ما يجسده المربع السيميائي التالي:

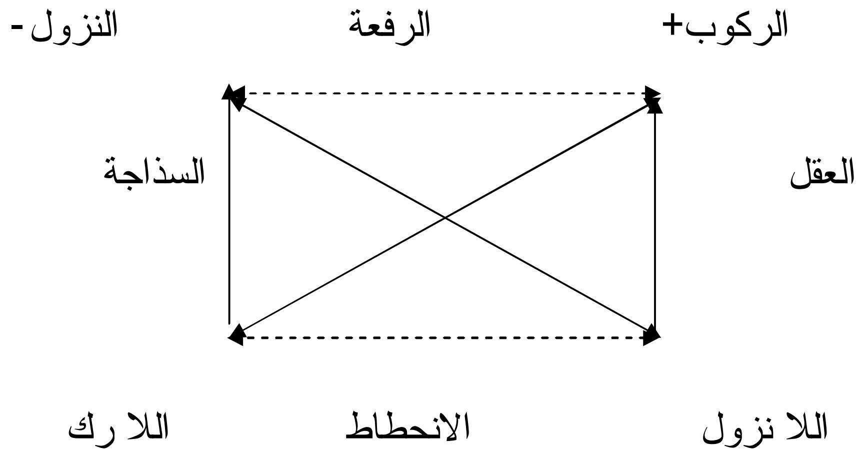


لا يبين هذا المربع التضاد الحاصل بين الإذلال والاعتزاز و متضمنيهما فقط بل إنه يوضح التناقض العمودي بين الحياة والموت من جهة،والتناقض الأفقي بين العقل والحمق من جهة ثانية، ليقيم مجالين دلاليين يحتويان هذه المعطيات الدلالية جميعا،إيجابي يضم الإذلال و اللا اعتزاز والعقل من ناحية،وسلبي من ناحية مقابلة يشمل الاعتزاز و اللاإذلال والحمق،وإن كانت الحياة تفترض الإذلال والاعتزاز،فان الموت يستبعدهما معا،فالأسود لم يذل نفسه لملك الضفادع إلا لحاجة في نفسه قضاها،فلم يفعل ذلك إلا منفعة له،هذا الإذلال والخضوع الطوعي كان من أجل ضمان لحياته،وهو يندرج ضمن الحيلة التي صاغها بواسطة العقل ليعيش حياة طيبة مقابل هذا الخضوع.

إن المثل الذي صاغته هذه الحكاية يعكس في مضمونه مثل الشخصية التي تسعى إلى إصلاح شؤونها بعدما تدهورت وتنجح في ذلك ،تقدم نموذجا إيجابيا للسلوك الذي يتخذه الإنسان من أجل الإطاحة بعدوه.

وبالمقابل نجد ملك الضفادع قد اتخذ من ركوبه على ظهر الأسود شرفا ورفعة ،فكانت سذاجته قد أوقعته في الفخ الذي نصبه له الأسود،فهو يضحي بالضفادع من

أجل ذلك،ويمكن صياغة هذه المعطيات في المربع السيميائي الخاص بملك الضفادع كما يلي:



ينبني على التضاد القائم بين الركوب والنزول وما يتضمنهما ،تناقضان بارزان بين الرفعة والانحطاط من جهة وبين العقل والسذاجة من جهة أخرى،ولما كانت الرفعة تجمع بين الركوب والنزول فإن العقل مفروض في حال الركوب و اللا نزول، وهو ما يضمن حياة الشرف الحقيقي لملك الضفادع،في الحين الذي تفضي فيه سذاجته مع النزول و اللا ركوب إلى موت الضفادع كل يوم طعاما للأسود.وذلك لان ملك الضفادع ظن أن في امتطائه للأسود شرفا ورفعة له ولجماعته،وسذاجته و وسذاجة الضفادع أوقعتهم في مغبة الموت .

ونستشف مما سبق أن عبودية الأسود ليست إلا وجها من وجوه سيادته،وما سيادة ملك الضفادع إلا وجه من وجوه عبوديته،مما يعكس جدلية القوة والحيلة عند الأسود،والهزيمة والنخوة عند ملك الضفادع، فالنص يحتوي على جملة من الدلائل التي تعكس المضامين الخفية له.فعند قراءته تستوقفنا كلمات و عبارات تشده إلى معجم سياسي صريح،من قبيل (ملك،ركوب، شرف،رفعة،اجعل لي رزقا،أمر له،خضوعه للعدو....) ،مما يبرز ظهور قطبين متنافسين هما الأسود وملك الضفادع،والعلاقة

بينهما ذات جانبين،فهي من جهة العادة موسومة بغلبة الأسود على ملك الضفادع، و لكنها من جهة الاستثناء موسومة بغلبة ملك ا لضفادع على الأسود .

كما يجسد النص نوعا من صراع القيم،قيم مادية تتمثل في رغبة الأسود في الحصول على الطعام بطريقة سلمية وسهلة في الوقت نفسه،وقيم معنوية تجلت في رغبة ملك الضفادع في التفاخر والتباهي بركوب الأسود كنوع من السلطة عليه .إذن فالنص يصور عملية تبادل واضحة بين القيم السائدة في المجتمع في تلك الحقبة التاريخية(التي عاش فيها ابن المقفع)، فقد أخذ ملك الضفادع الرفعة وقدم أبناء جلدته قرابين في سبيل تحقيق ذلك، في حين قدم الأسود مجده في سبيل تحصيل قوته. مما يؤكد أن قيم المادة أهم من قيم الروح، فالخضوع لا يضر وإنما ينفع ويفيد.

ومن الدلائل الدينية نجد أن حضور الناسك ليس اعتباطيا،فدعاؤه على الأسود كان سببا في عملية الإقناع التي مارسها على ملك الضفادع كنوع من التطويع التلفظي،هذا الأخير الذي اقتنع بأن الأسود صادق بمجرد ذكره للناسك وبأن دعاء النساك مستجاب،فساهم ذلك في تطويعه لصالح الثعبان(الأسود).

أما عن الدلائل الاجتماعية فتتجلى من خلال علاقة الأسود بملك الضفادع وهي علاقة من قبيل جنس بجنس باعتبارهما ينتميان إلى صنف حيواني مختلف،فالثعبان من الزواحف والضفادع من البرمائيات،وهذا يفسر اختلاط الأجناس في زمن ابن المقفع،كما نلتمس نوعا آخر من العلاقات وهي تلك التي تجمع بين ملك الضفادع والضفادع،وهي علاقة طبقة بطبقة،السيد بالمسود مما يفسر تمايز الطبقات الاجتماعية في ذلك العصر وهو ما شكل أحد المحاور الأساسية للفكر الإصلاحي والتعليمي الذي اختص به ابن المقفع.

وباعتبار أن النص ينتمي إلى حقبة تاريخية شهدت طورا خطيرا من أطوار الدولة العربية الإسلامية ،والتي عرفت امتداد السلطان الإسلامي ليشمل نطاقا أوسع من

بلاد فارس ،وابن المقفع فارسي الأصل عربي النشأة، وهو صاحب النص كان ينتمي إلى أمة مغلوبة ،فيغير انتماءه إلى الأمة الغالبة ،ثم ينقل هذا الكتاب(كليلة ودمنة باعتبار أن النص ينتمي إليه)من أمته القديمة إلى أمته الجديدة،والنص يزخر بهذا الواقع،فهو في الظاهر نصح وتثبيت لإقدامه،ولكنه من أصل فارسي باطنه تهكم وتحيل وخداع ضده.

وهذا ما يعكس القراءة الحضارية للنص،فالأسود الذي كبر وهرم يجسد صورة بلاد فارس التي شاخ سلطانها،وملك الضفادع يمثل السلطان العربي،وركوبه للأسود يعكس ركوب العرب على الفرس إلا أن هذا المركوب الظاهري هو المستفيد الحقيقي،لأنه إن أعوزته القوة فما أعوزته الحيلة والنص انطلاقا من هذا ناطق بإديولوجية صريحة لها دعامتان:

ــ أن أحوال الناس وأحوال المم تتموج،فيوم لك ويوم عليك،وهذه الفكرة تبرر قبول الوضع

ــ إن القانون المتحكم في التاريخ واحد،وهذه الفكرة تولد من حنايا الاستقرار والهزيمة ومضة الأمل في عودة الأحوال إلى صورتها الأولى.

ومن الدلائل الفكرية نجد الدور البارز الذي يشغله العقل في الحقل المعرفي، فبالعقل تمكن الأسود من السيطرة على ملك الضفادع ذهنيا،وتطويعه لمنفعته الخاصة رغم خضوعه الجسدي له،وتمثل ذلك في استخدام الحيلة بعقل مدبر للسيطرة على الآخر،حيث يروم في ذلك أساسا إلى تغليطه وخدعه والتلاعب بمشاعره. وكذلك تظهر آثار الفلسفة اليونانية التي تأثر بها ابن المقفع من خلال العقوبة التي نالها الأسود من الناسك وهي اللعنة على جريمته بلدغه لولده.

خاتمة

خـــاتـــــمـــــــة:

يعدّ حقل التحليل السيميائي للنصوص السرديّة، من أكثر المجالات النقديّة توسعا ورواجا في هذا العصر. ويندرج هذا البحث ضمن الدراسات التي تسعى إلى إبراز أهمية النظريّة السيميائية لــ غريماس (A.J.Greimas) في تحليل النصوص السردية، وذلك بالوقوف عند البنى الأساسية المشكلة لها، والتي تضمّ: بنى سطحيّة وأخرى عميقة، حيث تشكل البنيتان كلا متكاملا، من الصعب تناول الواحدة دون الأخرى. وعلى هذا الأساس نحاول صياغة أهمّ ما توصلنا إليه من نتائج:

- تشكل البنية السرديّة هيكلا دلاليّا متكاملا، فلا يمكن فصل عناصرها عن بعضها المتمثلة في المكوّنيْن السردي والخطابي، وعلاقتهما بالمكوّن الدلالي العميق.
- لاحظنا أن المكوّن السردي بجميع تفرعاته يشكل جهازا نظريّا قائما بذاته ويساعد على فضّ الإشكالات التي يطرحها النصّ السردي، من منطلقات العلاقات التي تنشأ بين الفواعل ومواضيع القيمة التي تشكل رهانات حقيقية، يسعى كل طرف فيها إلى الظفر بالقيم التي تجلّيها.
- تبرز البنية العامليّة التوزيع المعقّد لمجموع العوامل وكيفيّة انتظامها في النصّ. كما تساعد هذه البنية على تأطير البرامج السرديّة.
- تتشكل البرامج السرديّة من العوامل، انطلاقا من توزيع الموضوعات عند انتقالها من ذات إلى ذات، تنهض على تحويلات تراتبيّة ومتمفصلة ومنظمة في وحدات متميّزة، وهذا ما يكسب النصّ حركيّة وفاعليّة في التوليد.
- هناك ارتباط وثيق الصلة بين البرامج السرديّة والبنيات العامليّة، فهي ذات طبيعة علائقيّة، خاصّة في قراءة المقاطع السرديّة.
- يستعمل مربع المصداقيّة لدراسة مستوى الحقيقة في النصوص، انطلاقا من ثنائيّة الظاهر والكينونة، وتتحرّك حالات التصديق وفقا للفعلين الإقناعي والتأويلي. وأنّ إنتاج الحقيقة يتصل بممارس فعل المعرفة.

- يقوم المربع السيميائي على تشخيص علاقات التضادّ والتناقض والتضمين، والتي من خلالها يولّد المعنى في أشكال تصويريّة مختلفة، ويتمظهر على مستوى السطح بصيغ تعبيريّة مختلفة، وهو يمثّل نواة البنيات الدلاليّة الأولية، ويعتبر أهمّ ما توصّل إليه غريماس في أبحاثه.
- برهنت منظومة الوسائل الإجرائية والإصلاحية للنظرية السيميائية الغريماسية، على فعاليتها في دراسة النّماذج القصصيّة، ممّا يؤكد جدواها في فهم النصّ السردي، وخلقها لإمكانيّة تجديد فهم التراث القصصي العربي.

وهذا وقد التمسنا من الدراسة التطبيقيّة لنماذج حكائية من مؤلف "كليلة ودمنة" الإستنتاجات الآتية:

- يعدّ العقل أهمّ الأطراف المشكلة للنّماذج العامليّة، ويتجسّد من خلال الحيل التي تلعب دور المساعد أحيانا، ودور المعارض أحيانا أخرى، وهذا ما يؤدي على نجاح أو فشل البرنامج السردي، وهو بذلك مفتاح الظفر في كل مرّة.الى جانب التزاوج بين الجدل والمنطق تزاوجا كاملا من حيث التجربة والتطبيق.

وأن المتمتّع بالقدرة المادّيّة ليس بالضرورة هو من يحقق النجاح في نهاية المشاريع.

- تلعب الحيلة دورا هامّا في تشكيل علامات الحقيقة، فتلجأ الفواعل دائما لها، لإجراء عمليّة الإقناع، ممّا يولّد بدوره الأفعال التأويليّة، فتظهر الوضعيات التي تعكس الظاهر والكينونة، ويتجلّى فعل التصديق من خلال: السرّ والبطلان والكذب والبطلان.
- المجتع الفاضل، يقوم أسس نبيلة وقيم سامية تتجسّد في الصورّ التي رسمتها الحيوانات على امتداد الحكايات من صداقة، وتعاون وعدل....، وفي المقابل تتدهور المجتمعات بتراجع هذه القيم، وظهور ما يحطمها من: غدر، وخيانة، وعداوة، وخداع وظلم......إلخ.

- تضطلع بالتشاكل الإنساني فواعل حيوانية مراعية اعتقادات القارئ وتوقعاته من جهة،ومجاراة للحس الثقافي المشترك من جهة ثانية(الأسد رمز السلطة والنفوذ،ابن آوى رمز الذكاء والمكر،الجمل رمز السذاجة ....).
- يجلي التشاكلان الإنساني والحيواني ثنائية فلسفية عميقة(الطبيعة والثقافة)،فهي التي تؤطر سياقات النصوص وتبين ما يضمره(قانون الغاب)،وما يستبعده (مجتمع متحضر).
- دور الفكر في ترويض السلطة، من خلال النصائح والحكم والأمثال، التي كان الهدف منها هو توعية الملك وإرشاده إلى السبل الملائمة لتسيير أمور الحكم.

- تتميّز الحكايات في المؤلّف بكونها نصوصا تعليمية بالدّرجة الأولى، فمعظم الأفكار التي تخلّلتها لم يغِب عنها البعد الإصلاحي، فهي تقوم في معظمها على العقل.
- وتكتسح الثنائية (خير/ شر) معظم الحكايات، وهو ما يشكلّ بؤر الصراع فيها.
- تحتوي الحكايات على خصائص جمّة، ما يؤهلها لأن تكون محلّ دراسة سيميائية ونأمل أن نكون قد أسهمنا في تجديد القراءة للموروث السردي العربي، باستنطاقه بمناهج حداثيّة، بهذا البحث المتواضع، وتبقى الدراسات السيميائيّة مفتوحة تواكب التطوّرات الحضاريّة، ولا يزال مؤلّف "كليلة ودمنة" أرْضًا بكرا لقراءات أخرى، ممّا يؤكد اعترافنا على أن النقص يبقى ظاهرة حتميّة، أو كما قال أبو البقاء الرّندي: "لكلّ شيءٍ إذا ما تم نقصان".

وما توفيقي إلاّ باللّه ربّ العالميــــــــــــــــــــــــــــــن.

قائمة المراجع

قائمة المصادر والمراجع

• المصادر:

القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع.

1- عبد الله بن المقفع، كليلة ودمنة، شرح الشيخ خليل اليازجي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط1، 1428-1429هـ، 2008م.

• المراجع العربية:

1- ابن رشد، تلخيص كتاب المقولات، تحقيق محمود القاسم، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر 1980.

2- أنور المرتجى،سيميائية النص الأدبي ،إفريقيا للنشر،الدار البيضاء،المغرب.

3- د. أحمد طالب، المنهج السيميائي من النظرية إلى التطبيق، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران.

4- د. حميد حمداني، بنية النص السردي، المركز العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 2000م.

5- رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، دار الحكمة، الجزائر 2001م.

6-رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، عربي- إنجليزي- فرنسي، دار الحكمة، تلمسان، الجزائر، فيفري 2000م.

7-رشيد بن مالك، مقدّمة في السيميائية السردية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000م.

8-سامي سويدان، في دلالية القصص، و شعرية السرد،دار الأدب بيروت لبنان ط1، 1991م.

9-سعيد بن كراد، السميائيات السردية، منشورات الزمن، الرباط، المغرب، ط1، 2001م.

10-سعيد يقطين، قال الراوي، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1997م.

11-السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، دراسة سيميائية، "غدًا يوم جديد" لابن هدوقة عينة، رابطة كتاب الإختلاف، ط1، أكتوبر 2000.

12-سمير المرزوقي، وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، تحليلا وتطبيقا، الدار التونسية للنشر و التوزيع، تونس،1985م .

13-صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط3، 1985م.

14- صلاح فضل،لغة السرد وعلم النص،الشركة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع،لونجمان،القاهرة ،مصر،ط1،1996.

15- الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة، دار الجنوب للنشر، تونس 2000م.

16- د. عبد الحميد بورايو، المسار السردي و تنظيم المحتوى، دراسة سيميائية لنماذج من حكايات ألف ليلة وليلة ، دار السبيل للنشر والتوزيع، 2008م .

17- عبد الله إبراهيم، المتخيل السردي، مقاربة نقدية في التناص والرؤى والدلالة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 1990م.

18- عبد الله الرقيق، أدبية الحكاية المثلية في كليلة ودمنة، دار صامد للنشر والتوزيع، ط1، 2007م.

19- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1998م.

20- عبد المجيد عابدين، الأمثال في النثر العربي القديم، دار المعرفة الجامعية، القاهرة 1989م.

21- عبد الفتاح كليطو، الحكاية و التأويل ،"زعموا أنّ" ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م.

22- عبد الفتاح كليطو، "الغائب"، دراسة في مقامات الحريري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988م.

23- عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق 2006م.

24- د. محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناص، دار التنوير للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 1985م .

25- محمد مفتاح،دينامية النص تنظيروانجاز،المركز الثقافي العربي،ط1987،1.

26- محمّد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي، نظرية غريماس، الدار العربية للكتاب، تونس 1991.

27- مصطفى الضبع، الاستهلال السردي في الحكاية، مجلة القصة، العدد 81، يوليو، أغسطس، سبتمبر 1995م.

28- موريس أبو ناضر، الألسنية والنقد الأدبي، في النظرية والممارسة، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان.

29- ناجي مصطفى، نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، منشورات الحوار الأكاديمي و الجامعي، ط1، الدار البيضاء 1989م.

30- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر 2008م.

31- د. يمنى العيد ، تقنيات السرد الروائي ، في ضوء المنهج البنيوي، دار الغرابي، بيروت، لبنان، ط2 ، 1991م .

• المراجع المترجمة:

1- آن إينو و آخرون، السيميائية الأصول ، القواعد و التاريخ، ترجمة، رشيد بن مالك، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1428هـ-2008م .

2- أرسطو، فن الشعر، ترجمة إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة 1983.

3- جان كلود جيرو وآخر، السيميائية نظرية لتحليل الخطاب، ترجمة رشيد بن مالك، دار مجدلاوي، للنشر والتوزيع، ط1، 1428هـ-2008م.

4- جان كلود كوكي، السيميائية مدرسة باريس، ترجمة رشيد بن مالك، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران 2003م.

5- رولان بارت و آخرون، طرائق تحليل النص الأدبي منشورات، إتحاد كتاب الغرب سلسلة ملفات، الرباط ، ط1 ، 1992م .

6- فلاديمير بروب، مورفولوجية الحكاية، ترجمة إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط، المغرب، ط1، 1986م.

7- فليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة سعيد بن كراد، دار الكلام، الرباط، ط1، 1990م.

8-جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ترجمة دكتور جمال الحضري، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1428هـ-2007م.

- **المراجع الأجنبية:**

1 - Adam Jean Miche, le récit, PUF, paris 1991.

2-Brémond Claude, Logique de récit, collection poétique, Seuil, Paris 1973.

3-J.Courtès, introduction à la sémiotique narrative et discursive, méthodologie et application classique, Hachette, paris 1986

4-Jean Claude Coquet- sémiotique litérraire,ed mame ,paris 1973 .

5- A.J.Greimas, J.Courtès, Sémiotuque, dictionnaire raisonné, de la théorie du langage, T1- la rousse 1972.

6- A.J.Greimas. Elément pour une théorie du l'interprétation du mythique, in communication,N°8.

7 - A.J.Greimas, Moupassant, la sémiotique du texte, Lyon 1976.

8-A.J.Greimas, Sémiotique et sciences, Seuil 1976.

المجلات والدوريات

ـ مجلة النص والناص العدد7.

ـ الموقف الأدبي،اتحاد كتاب العرب،دمشق 25آيار2005،العدد409ـ412.

ــ عالم الفكر، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ــ الكويت، المجلد40، 1يوليوــ سبتمبر2011.

ــ مجلة القصة، يوليوــ أغسطس، سبتمبر1995، العدد81.

ــ مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد25، 1983.

المواقع على الإنترنت:

1ــ موقع فيلادلفيا الثقافة.

2-http://dz.echoroouknin.com/montada/showthread

3-DOROOB.htm

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات